



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

كلية اللغات

قسم اللغة العربية

الدلالة والسياق عند تمام حسان

Semantics and contexts by Tmmam Hassan

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية تخصص علم اللغة

إشراف:

إعداد الدراسة:

أ.د. كمال محمد جاه الله الخضر

فاطمة عثمان محمد عثمان

د. عثمان ابراهيم يحيى

(1440هـ - 2018م)

استهلال

"وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا"

(طه: 114)

إهداء

إلى من علمني الصمود والصبر مهما كانت الصعوبات..

أبي

إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها..

إلى من علمتني وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه..

وعندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانها ليخفف من آلامي ..

أمي

إلى فلذات الكبد والروح

أبنائي

إلى من كانوا يضيئون لي الطريق

إخوتي

إلى من استقيتُ منهم الحروف، وتعلّمت كيف أنطق الكلمات، وأصوغ العبارات

وأحتكم إلى القواعد..

أساتذتي

شكر وعرافان

أشكر الله العلي القدير الذي أنعم عليّ بنعمة العقل والدين، ثم أتقدم بجزيل الشكر لأولئك المخلصين الذين لم يألوا جهداً في مساعدتنا في مجال البحث العلمي، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور: **كمال محمد جاه الله الخضر** صاحب الفضل في توجيهي ومساعدتي، كنت ولا زلت كالنخلة الشامخة تعطي بلا حدود، فجزاك الله عنا أفضل ما جزى العاملين المخلصين وبارك الله لك وأسعدك أينما حطت بك الرحال. كما أتقدم بالشكر للدكتور **عثمان إبراهيم يحيى**، الذي لم يبخل علي يوماً بالمساعدة منذ شروعي في هذا البحث، كلمات الشفاء لا توفيك حقك، شكراً لك على عطائك. كما أتقدم بجزيل شكري إلي كل من مدوا لي يد العون والمساعدة في إخراج هذه الدراسة علي أكمل وجه، وأخص بالذكر الزميل الدكتور: **علي عبد الرحمن** الذي لطالما قدم لي المساعدة حتى خرج هذا البحث بهذه الصورة، لا أستطيع أن أوفيك حقك، شكراً جزيلاً جميلاً لك. وأتقدم بجزيل شكري لأسرة مكتبة كلية اللغات جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، وأسرة مكتبة جامعة أدرمان الإسلامية المركزية، ومكتبة جامعة النيلين المركزية على حسن تعاونهم معنا حتى تمكنا من جمع المادة العلمية لهذا البحث، شكراً جزيلاً لكم.

مستخلص

المعنى أو الدلالة هو الغاية التي تتجه إليها دراسة اللغة، والدلالة وتحديد المعنى على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لعلماء اللغة وغيرهم، فكان اهتمام علم اللغة بهذا المستوى من مستويات دراسة اللغة كبيراً، وفي هذا البحث نتناول الدلالة وسياقاتها عند تمام حسان.

وقد هدفت الدراسة إلى تقصي مواضع الدلالة والسياق في دراسات تمام حسان وتبيين مدى تأثيره بالدرس اللغوي القديم والحديث، وكذلك التأكيد على أهمية التراث اللغوي العربي على أنه المنبع لكثير الدراسات المحدثّة.

وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي ومن أدواته التحليلالذي يقوم على استقراء الظاهرة وتحليلها للوصول إلى نتائج علمية.

وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها أن تمام حسان في بداياته كان يتطلع إلى تطوير منهج دراسة اللغويين للغة، ولكن في دراساته الأخيرة انقلب تراثياً خالصاً، وقد اتبع طريقة أستاذه جون فيرث في دراسة السياق، وذلك في تحديد المعنى من خلال تتبع التدرجات السياقية للمنطوقات ابتداءً من الأصوات فالنحو والصرف والدلالة المعجمية، ومن ثم دلالة المنطوقات في سياق التركيب اللغوي وسياق المقام.

Abstract

Meaning or semantics areas are the goals of studying language, as well as identifying semantics and meaning are of great concerns to linguists and others, the interest of linguistics at this level of study language was great, in this study the researcher has examined semantics and its contexts which has been dealt by Tamman Hassan.

The study aimed to investigate the area of semantics and contexts to what extent Tamman Hassan is influenced by ancient and modern linguistic studies, as well as emphasizing the importance of the Arabic language heritage as the source of several updated studies.

The researcher has adopted descriptive and analytical approach by using analysis tools based on extrapolation of phenomena and analysis it to reach scientific results.

The study concluded with number of results the important ones are: that Tamman Hassan was looking forward to develop the method of studying language by linguistics but he ended up a tradition studies, and he has adopted the method of his teacher John Firth when he was studying context, in order to identify meanings through following the steps right from sounds, grammar, morphological, conjunction & lexical dictionary meanings of the words, then finally the meaning of the spoken in it is phenomena of language and it is context within the environment that it took place.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	استهلال
ب	الإهداء
ج	شكر وعرفان
د	مستخلص البحث باللغة العربية
هـ	Abstract
و	فهرس الموضوعات
27	الفصل الأول: أساسيات البحث والدراسات السابقة
27	الفصل الثاني: تمام حسان نشأته وثقافته وإسهاماته اللغوية والفكرية
27	نشأته
29	حياته العلمية
32	وضعه الاجتماعي
32	وفاته
32	نشاطه العلمي
32	مؤلفاته
45	ترجماته
46	بحوثه ومقالاته
52	إشرافه على الرسائل الجامعية
53	أوليات تنسب له
54	إنجازات أخرى
56	شعره
56	منهجه
69	الفصل الثالث: الدلالة: مفهوما وأنواعها وتطورها وظواهرها ونظرياتها

69	مفهوم الدلالة
70	أنواع الدلالة
89	تطور الدلالة
99	الظواهر الدلالية
108	نظريات الدلالة
129	الفصل الرابع: السياق
129	مفهوم السياق
134	النظرية السياقية في الفكر اللغوي الغربي
134	أنواع السياق
149	تطور النظرية السياقية
160	أصول النظرية السياقية في التراث العربي
161	السياق عند النحويين
166	السياق عند البلاغيين
169	السياق عند اللغويين
172	الفصل الخامس: الدلالة عند تمام حسان
172	مفهوم الدلالة عند تمام حسان
176	الدلالة الصوتية
192	الدلالة الصرفية
211	الدلالة النحوية
238	الدلالة المعجمية
252	الفصل السادس: السياق عند تمام حسان
253	مفهوم السياق عند تمام حسان
275	الظواهر السياقية
310	الخاتمة
312	فهرس المصادر والمراجع

الفصل الأول

أساسيات البحث والدراسات السابقة

أولاً- أساسيات البحث:

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على معلم البشرية، ومربي الإنسانية وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيعد موضوع علم الدلالة أو علم المعنى -كما يطلق عليه بعض المؤلفين- أي شيء أو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز سواء ما كان منها داخل نطاق اللغة أو خارجه، على الرغم من أن العلماء ركزوا على اللغة من بين أنظمة الرموز باعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان.

وتعد نظرية السياق في الدراسات اللغوية الحديثة من أكثر النظريات اللغوية التصاقاً بعلم الدلالة؛ وذلك لدورها الرئيس في تحديد معنى النص وكشف مغاليقه، ونعني بالسياق السياق اللغوي، والموقف الذي قيل فيه، والبيئة الثقافية التي نشأ فيها، فهذه النظرية ترى أن المعنى أو الدلالة هو الغاية التي تتجه إليها دراسة اللغة.

انطلاقاً من هذين المفهومين نبع موضوع هذا البحث (الدلالة وسياقاتها عند تمام حسان)، وتمام حسان عالم لغوي ونحوي مصري، عرف باجتهاداته اللغوية التي حاول فيها تجديد النحو العربي، وله العديد من الإسهامات في مجال علم اللغة، وسنتحدث عنه بالتفصيل في الفصل الثاني من هذا البحث.

فهذه الدراسة تتحدث عن الدلالة وسياقاتها كعلم لا يمكن فصله عن غيره من فروع اللغة الأخرى، فكما تستعين علوم اللغة الأخرى به للقيام بتحليلاتها، يحتاج علم الدلالة لأداء وظيفته إلى الاستعانة بهذه العلوم، وكما تناولها عالم اللغة تمام حسان ومنهج دراسته لها.

منهج الدراسة:

يتبع الباحث المنهج الوصفي ويستخدم من أدواته الملاحظة والتحليل، وذلك بتتبع الدرس الدلالي تاريخه وتطوره وأهم الظواهر والنظريات، ثم تناول الدرس الدلالي ومناقشته عند تمام حسان.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في عنوانه، حيث تعد الدلالة من أهم المستويات اللغوية، لا سيما وهي تطرق عند عالم لغوي هو الدكتور تمام حسان.

أهداف البحث:

- 1- تسليط الضوء على عالم لغوي له إسهامات واسعة في الدرس اللغوي.
- 2- تقصي مواضع الدلالة والسياق في دراسات تمام حسان وتبيين مدى تأثيره بالدرس اللغوي القديم والحديث.
- 3- التأكيد على أهمية التراث اللغوي العربي على أنه المنبع لكل الدراسات المحدثه.

أسئلة البحث:

إلى أي مدى قرأ الدكتور تمام حسان التراث اللغوي العربي؟ وإلى أي مدى احتاج إلى النظريات الغربية ليرسم حدود تحليل اللغة وبيان أسرارها علمائاً التراث العربي قد صنع نفسه رغم احتكاكه بالثقافات الأخرى، وما هي إسهاماته في مجال الدرس الدلالي وسياقاته؟

فرضيات البحث:

يتوقع الباحث بعد فراغه من البحث التوصل إلى الآتي:

- 1- تأثر الدكتور تمام حسان في بداية دراساته بالدراسات اللغوية الغربية حيث أنه لم يطلع في ذلك الحين على التراث اللغوي العربي اطلاقاً واسعاً.
- 2- تأثره في دراساته الحديثة إلى حد ما بالتراث العربي القديم بعد اطلاعه عليه.
- 3- وجود إسهامات مقدره ذات طابع خاص في الدرس الدلالي وسياقاته عند تمام حسان.

هيكل البحث:

يتكون البحث من ستة فصول وخاتمة وفهارس. يتناول الفصل الأول أساسيات البحث والدراسات السابقة. ويتناول الفصل الثاني تمام حسان نشأته وثقافته إضافة إلى الإسهامات الفكرية واللغوية. أما الفصل الثالث فيتحدث عن الدلالة من حيث مفهومها وأنواعها وتطورها وأهم ظواهرها وأهم النظريات في بابها. ويكرس الفصل الرابع للسياق مفهومه وأنواعه وتطور نظرياته. وأما الفصل الخامس والسادس فيركزان على الدلالة والسياق عند تمام حسان على التوالي.

الدراسات السابقة:

نتناول في هذا الجانب مجموعة من الدراسات السابقة التي لها علاقة بأحد مفردات موضوع البحث، وقد اخترنا من هذه الدراسات ما يلي:

1- "العلاقات الدلالية بين الكلمات وتطبيقاتها عند العلماء العرب"

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات اللغوية

إعداد الطالبة انتصار بدوي عبد الله محمد أحمد

جامعة أمدرمان الإسلامية- كلية اللغة العربية، 1998م.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي

النتائج:

أ- لقد أخفق علماء العربية في وضع تعريف جامع مانع للكلمة في اللغات الإنسانية وذلك لأن لكل لغة خصائصها التي تختلف بها عن اللغات الأخرى.

ب- المشترك اللفظي يوجد في المعاجم العربية أما في نصوص اللغة العربية واستعمالاتها فلا وجود إلا لمعنى واحد من معاني هذا المشترك.

ج- كتب الأضداد لها أهمية كبيرة في تتبع معاني الألفاظ بين القبائل المختلفة ولذلك تعد مصدرا من مصادر دراسة لغات القبائل ولهجاتها.

د- لقد اعتبر بعض الباحثين من أبناء العربية أن الترادف يقع في الجمل والعبارات وقد فاتهم أن الترادف الذي تواضع عليه المحققون من العلماء يقع في الألفاظ المفردة وقد تتوالى الجمل على معنى واحد وذلك من باب تنوع الأساليب البيانية في التعبير.

هـ- لا يكون الحكم صحيحا على الحقيقة والمجاز في الألفاظ إلا إذا اقتضت الدراسة على بيئة معينة وجيل معين فالمجاز القديم مصيره إلى الحقيقة والحقيقة القديمة قد يكون مصيرها إلى الزوال والاندثار وتبقى الألفاظ إذا قدر لها البقاء أن تنتقل من مكان إلى آخر جيلا بعد جيل.

و- كتاب مجاز القرآن يوهم عنوانه القارئ بأنه أول ما ألف في المجاز البياني للقرآن مع أن منهجه بعيدا كل البعد ويسمي البعض هذا الكتاب تفسيرا وترى الباحثة غير ذلك فهي ترى أن كتاب أبي عبيدة لم يكن تفسيرا بالمعنى الشامل لكلمة تفسير لأنه لم يتناول آيات القرآن كلمة كلمة كما فعل أصحاب التفسير ولأنه صرف النظر عن الاشتغال بالقصص القرآني وتفصيل القول فيه وصرف النظر أيضا عن أسباب النزول وإنما يعتبر هذا الكتاب كتابا في شرح وتبيان مفردات القرآن.

ز- رغم اختلاف الأفراد إزاء الألفاظ نرى قدرا كبيرا من الاشتراك بينهم وذلك القدر المشترك في فهم المعنى هو الذي يساعد في تمييز الأنواع الدلالية وفهمها على حقيقتها.

ح- يعزى سبب تضخم المعجم العربي إلى كثرة أمثلة المشترك والأضداد والترادف والمجاز في كثير من الأحيان .

ط- إذا تفحصنا أمثلة العلاقات الدلالية يتبين لنا أنها تولدت من عوامل نفسية واجتماعية وجغرافية وتاريخية متنوعة تكفل كل ظاهرة منها بخلق مفردات تختلف عن غيرها.

ي- هنالك ارتباط وثيق بين نظرية العلاقات الدلالية وبين نظرية الحقل الدلالية كلتا النظريتين تقومان على أساس أن الدلالة المعجمية لأي كلمة يمكن تحليلها إلى عناصر أساسية وبالوصول إلى هذه العناصر نستطيع أن نحدد طبيعة العلاقات الدلالية وكذلك طبيعة المجالات التي تربط بين الكلمات.

ك- الأنواع الدلالية في اللغة العربية دليل على الثراء اللفظي للعربية فقد أفادت هذه الأنواع في طرق الفصاحة والبلاغة في الشعر والنثر.

2- "الدلالة النحوية لقراء البصرة"

دراسة تحليلية ونحوية وصرفية ولغوية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية

تخصص نحو وصرف

جامعة أمدرمان الإسلامية- كلية اللغة العربية، 2000م.

إعداد الباحث: أحمد بابكر حسن محمد

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي

أهداف البحث:

- أ- دراسة الكلمات القرآنية التي قرئت على أكثر من وجه.
- ب- توضيح أثر الدلالة النحوية لقراء البصرة في المعنى.
- ج- استخراج الأحكام الشرعية من آيات القرآن التشريعية.
- د- إبراز آراء النحاة والمفسرين والقراء فيما يتعلق بالدلالة النحوية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية وتعرضهم للنواحي النحوية والصرفية واللغوية والقراءات.
- هـ- ربط النحو بالقرآن الكريم لأنه أساس اللغة.
- و- التنبيه للرجوع إلى كتب التفسير وإعراب القرآن الكريم والوقوف عليها فيما يتصل بالتحليل النحوي للآيات القرآنية.

النتائج:

- أ- المعاني تختلف باختلاف وجوه القرآن.
- ب- تعد الحركة وسيلة من وسائل اللغة في التفريق بين المعاني المختلفة.
- ج- الفقهاء استنبطوا كثيرا من الأحكام الشرعية بمقتضى الدلالة الإعرابية.
- د- تعدد القراءات سند لقواعد مختلفة نحوية وصرفية.
- هـ- تأثر الأحكام الفقهية بالأحكام النحوية.
- و- معظم نحاة البصرة من قراء القرآن الكريم.
- ز- للحركات أثر في بناء الكلمات واختلاف مدلولاتها.

ح- أي تغيير في بنية الصيغ الصرفية يؤدي إلى تغيير في دلالتها التي كانت عليها.

ط- يؤثر معني الفعل على عمله في كان التامة والناقصة.

ي- ورد الجر على الجوار في القرآن الكريم وكلام العرب المنظور والمنثور.

ك- اختلاف قارئ البصرة أبي عمرو ويعقوب في بعض القراءات القرآنية.

ل- استشهد سيويه بالقراءات القرآنية في العديد من الموضوعات اللغوية والنحوية والصرفية.

م- استشهد سيويه البصري لقراءة البصريين في الكتاب.

ن- استشهد أبي زرعة لقراءة البصريين في كتاب حجة القراءات.

س- أبو عمرو ويعقوب البصريان إلى جانب إجادتهما للقراءات عالمان في اللغة وفي القواعد النحوية.

3- "الدلالة النحوية لقراء الكوفة"

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية (نحو وصرف)

جامعة أمدردمان الإسلامية- كلية اللغة العربية، 2004م.

إعداد الطالب: عبد السلام محمد عبد الرحيم

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي التطبيقي.

أهداف البحث:

أ- ارتباط موضوع البحث بكتاب الله وحجة القول والفصل في كل أمر.

ب- بيان أهمية الكوفة وما حظيت به من شرف في المجال النحوي والفقهني والقرآن.

ج- توضيح أثر الدلالة النحوية لقراء الكوفة على المعنى.

د- إبراز الأحكام الشرعية المستنبطة من أثر الدلالة النحوية لقراء الكوفة.

هـ- عملاً بما اقترحت وأوصيت به في بحث رسالة الماجستير بتخصيص دراسة لقراء الكوفة.

و- إظهار آراء علماء النحو والتفسير والقراءات فيما يتعلق بالدلالة النحوية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية.

ز- كشف أهمية علم النحو وأساره في تعدد المعاني وأثر ذلك على قراءات أهل الكوفة.

النتائج:

أ- إن اللغة العربية تتسم بتعدد معاني مفرداتها وهذا سر من أسرار بلاغتها التي اختلفت بها دون سائر اللغات.

ب- إن الإعراب ظاهرة امتازت بها اللغة العربية وإن اختلاف الإعراب يؤدي إلى اختلاف المعاني والدلالات النحوية لها أثر على المعنى.

ج- إن تنوع القراءات القرآنية له أثر في المعنى اللغوي واستنباط الأحكام الشرعية التي أخذ بها كثير من الفقهاء.

د- إن كثيراً من قراء الكوفة نحاة لذلك نجد التلاؤم بين النحو والقراءات عند أهل الكوفة.

هـ- من الملاحظ اختلاف قراء الكوفة فيما بينهم فنجد عاصماً قد خالف في كثير من قراءته الكسائي وحمزة.

و- احتج سيبويه وأبو زرعة البصريان لقراءات الكوفيين خاصة في الكتاب وحجة القراءات.

ز- أخذ بعض فقهاء المذاهب الأربعة بقراءات الكوفيين للدلالة على بعض مسائلهم الفقهية والاحتجاج لها بهذه القراءات.

ح- عرض البحث في توسع لصيغ الأفعال والأسماء التي وردت في قراءات أهل الكوفة ودلالاتها على المعاني اللغوية والتشريعية.

4- "العلاقة بين النحو والدلالة في شرح المفصل لابن يعيش"

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات اللغوية

إعداد الطالبة: رشا إبراهيم عبد القادر

جامعة النيلين - كلية الآداب، 2006م.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي

تناولت الباحثة المعنى النحوي والدلالي، والأسس الدلالية للتركيب النحوية عند ابن يعيش، ودلالة الوظائف النحوية عند ابن يعيش، ثم تناولت التركيب المتشابهة والمختلفة دلاليا عند ابن يعيش، خاتمة دراستها بتناول ظواهر دلالية نحوية متفرقة عند ابن يعيش.

الهدف من الدراسة:

يهدف البحث إلى ضرورة البحث في التقاء النحو والدلالة والكشف عن هذا الجانب المهم في تراثنا النحوي ومدى اهتمام القدماء به. فالنحو القديم والحاجة إليه باقية ما بقيت الفصحى ولا نستطيع التخلي عنه وتكون محاولة النظر إليه من جوانب مختلفة مطلوبة تجلية وكشفا.

النتائج:

أ- يطلق على المعاني النحوية الوظائف النحوية، والدلالة النحوية، وأنها تتمثل في معاني نحوية عامة، ومعان نحوية خاصة، كما أنها تمثل الأسس التي يبنى عليها النظام النحوي.

ب- قد أدرك النحاة المعنى على المستوى النحوي إدراكا عميقا، وأدركوا أثره في فهم دلالات الكلام، وقد استطاعوا أن يصنفوا المعاني النحوية من فاعلية ومفعولية ...، وأن يحدّوها بحدودها ويضبطوها بضوابطها، حتى تؤدي دورها في إيضاح المعنى الدلالي.

ج- إن في العربية سياقاً لغوياً مسموحاً به، لأنه توافقت فيه المعاني النحوية والدلالية معاً، وسيقاً لغوياً غير مسموح به وإن كانت عناصره النحوية صحيحة.

د- لا يوجد فرق بين ما أقره فيرث في نظريته وبين ما أوضحه ابن جني فيما يتعلق بسياق الحال، كما أن ابن جني من الذين تنبهوا إلى فكرة سياق الحال قبل العالم الإنجليزي فيرث.

هـ- إن جهد تمام حسان في دراسته للقرائن أثرها في إظهار المعنى الدلالي جهد كبير، وقد استفاد مما ذكره النحاة القدامى، مما جعل دراسته تتسم بالجدة في البحث، وبالأصالة التراثية، وقد عمل على ترتيب القرائن التي تعين على معرفة المعنى النحوي وذكرها، وهي قرينة الإعراب، مع أنهم تنبهوا إلى بقية القرائن الأخرى مثل الرتبة والمطابقة، إلا أنهم لم يجمعوها تحت باب واحد.

و- نظر ابن يعيش إلى الإعراب من جانب دلالي، حيث ربط الدلالة بالإعراب، لكي توضع ضوابط لغوية أساسية للجانب الدلالي، وقد اتفق مع غيره من العلماء على أن الإعراب من العناصر الدالة على المعاني النحوية.

ز- يؤكد ابن يعيش ارتباط المعاني بالحركات الإعرابية ويرى أن معاني الحركات دعت إلى كثرتها وتعددتها وهي الرفع والنصب والجر وأن كل واحد منها

علم على معنى من معاني الاسم التي هي الفاعلية والمفعولية، وقد جعل العلامة الإعرابية قرينة لفظية تساعد على كشف المعنى الوظيفي للكلمة.

ح- نسب ابن يعيش الإعراب إلى العامل دون الصرف، وعن طريقه قام بتفسير حركات الإعراب التي تظهر على آخر الاسم أو الفعل كما أنه قد جعل العامل قرينة تؤدي إلى تغيير المعنى ويعلل به الكثير من الأبواب النحوية والعلامات الإعرابية. ويسوغ ابن يعيش نظرية العامل ويطبقها تطبيقاً عملياً على مختلف الأبواب والمسائل النحوية.

ط- نظرية العامل بما تحمله من دلالات قامت بدور مهم في تفسير بعض المسائل النحوية وتسويغها وتوجيهها، ومنها: إضمار العامل وإعمال العوامل وإهمالها وتعدد مبنى العامل وتنازع العاملين معمولاً واحداً.

ي- علاقة الإسناد تربط بين العناصر الأساسية للجملة التي تقيد معنى يحسن السكوت عليه، فهي علاقة لازمة بين المسند والمسند إليه لإفادة المعنى، فمن المعلوم أن الإسناد اعتبار دلالي، فالعلاقة الإسنادية بين المبتدأ والخبر -مثلاً- لازمة لأن المعنى النحوي الدلالي لا يتضح إلا بالإسناد أو الإخبار.

ك- نظر ابن يعيش إلى دلالة الفعل من ناحية حدوث الحدث، ويرى أن وجوده قبل الفعل، أي أن الفاعل موجد للفعل، ويرتبط الفاعل ارتباطاً وجوداً وعدم بالفعل الذي يؤديه والحدث جزء أساسي من معنى الفعل ويحتاج إلى فاعل يقع منه ذلك الحدث.

ل- تتضافر العلامة الإعرابية والرتبة لإيضاح المعنى، وقد سمى ابن يعيش ذلك بالاتساع، وهذا الاتساع يجعل بناء الجملة العربية متنوعاً، والاتساع بالتقديم والتأخير عن طريق الإعراب من باب الترخيص عند أمن اللبس، وشبهه تمام حسان بما لدى الأصوليين من أصل "لا ضرر ولا ضرار" كما أن لتقدم الخبر على المبتدأ أغراضاً دلالية منها التخصيص والافتخار والتقديم والتأخير أمر يحكمه المقام ويتطلبه الموقع والغرض الذي يرمي إليه هو المعنى.

م- تؤدي دلالة المقام إلى جواز الحذف ففي الجملة العربية عنصرا منطوقا وآخر غير منطوق، والعنصر غير المنطوق يفسر العنصر المنطوق ويؤتى به لفهم المعنى فإذا فهم المعنى من غير النطق به جاز للمتكلم أن يحذفه أو يذكره طالما أن هناك دليلا لفظيا أو حاليا في الجملة، والحذف دائما مع وجود القرينة الدالة على المحذوف، والحذف ظاهرة مشتركة في التراكيب حيث يميل المتكلم إلى حذف العناصر المكررة أو التي يمكن فهمها من السياق، وأن هناك الكثير من الوظائف التي يشترط فيها ابن يعيش في كل منها شرط دلالي.

ن- ربط ابن يعيش بين تقدير الفعل والمعنى في شواهد كثيرة وتبوعت عنده التراكيب التي جاء فيها حذف الفعل، ومنها: تقدير الفعل المحذوف في النداء وفي الاختصاص وفي الإغراء والتحذير، وهو يحذف الفعل إذا فهم المعنى، ويقدر الفعل المحذوف لدلالة الحال عليه، ويمكن اعتبار المعنى والسياق المقامي والمقالي عناصر تتحكم في حذف الفعل وتقدير الفعل المحذوف.

5- "دراسة خصائص البنيوية بين القدماء والمحدثين من علماء اللغة"

دراسة مقارنة

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة

إعداد: الطالب عبد الرسول أحمد عايد عليان

جامعة أمدرمان الإسلامية- كلية اللغة العربية، 2006م.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي

أهداف الدراسة:

أ- تهدف الدراسة إلى تأصيل الكشف في الصلات اللغوية قديما وربطها بالحاضر والمستقبل.

ب- تهدف الدراسة إلى استقراء أفكار علماء العربية القدماء وآرائهم ومصطلحاتهم التي توافق آراء المحدثين من علماء العربية.

ج- جمع الآراء والأفكار في بحث واحد حتى يسهل تتبعها ومناقشتها وإعادة تقويمها بما يواكب التطور العلمي.

د- تقويم تلك الجهود والآراء في ضوء ما توصلت إليه الدراسات الحديثة وخاصة الصوتية والتركيبية التي كانت نتائجها مترتبة على أبحاث ميدانية تعيش الواقع والحياة.

هـ- تهدف الدراسة إلى أن البنيوية عمل يقوم على أساس التحليل التركيبي وأن تحليل أي عنصر من عناصر اللغة لا يمكن أن يتم بمعزل عن البعض الآخر .

و- تهدف الدراسة إلى أن الظواهر اللغوية تختلف عن القواعد النحوية و أن التقعيدية هي عملية وضع القواعد واستخراجها واستخلاصها من الظواهر اللغوية وجعلها أحكاما كلية في الدرس اللغوي.

النتائج:

أ- إن دراسة القدماء للأصوات هي في الواقع لأحد مستويات التقطيع الصرفي (مورفيم).

ب- أما المحدثون فكانت دراستهم للأصوات تحليلية وفقا لمنهج وصفي ثابت يراعي المخارج والأداء الوظيفي للصوت عند التركيب البنيوي بل دراسة أصغر وحدة صوتية (فونيم).

ج- القدماء يدرسون الكلمة في شكل بنية كاملة لا تجزيء فيها.

د- المحدثون يدرسون الكلمة بدءا من الصوت وتنظيمه (فونولوجي) ثم مقطع ومن ثم مورفيما.

ه- القدمات يتناولون الجملة بالتعليل على غرار تعليلهم لبنية الكلمة ولكن الجملة علوها كما هي في الواقع باعتبار الأشكال المتداولة (فعلية- اسمية).

و- المحدثون يتناولون الجملة باعتبارها جزءا كاملا متكاملًا من حيث نظم المفردات وتركيبها مع مراعاة الجانب الوظيفي للمفردة اللفظية والصوت فيها وعلاقات المفردات فيما بينها وينظرون إليها من مبدأ الثنائية في الدرس البنيوي.

ز- القدمات بنوا تراكيبيهم اللفظية على أساس العوامل المعنوية في بعض المسائل والقضايا النحوية وتلك قاعدة تفسيرية.

ح- المحدثون ركزوا على العوامل اللفظية وبحثوا تأثير الاستعمال فيها من حيث الأصوات الصامتة والصائتة في بنوية الجمل.

ط- تناول القدمات الإعراب باعتباره علامة عارضة في أواخر الكلم.

ي- المحدثون جعلوا الإعراب أساس التركيب بل جعلوه من ثوابت اللغة في تركيبها.

6- "المعنى والدلالة في البلاغة العربية"

دراسة تحليلية لعلم البيان

بحث لنيل درجة الدكتوراه تخصص البلاغة والنقد

جامعة أمدرمان الإسلامية- كلية اللغة العربية، 2006م

إعداد الطالب: محمد جاسم جبارة

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج التحليلي الاستقرائي

الأهداف:

أ- التفرقة بين مصطلحي المعنى والدلالة.

ب- مزج المصطلح النقدي الحديث بالمصطلح البلاغي القديم.

ج- الاستعانة بعلوم الدلالة واللغة والنص والشعرية والأسلوبية فضلا عن مصطلحات القارئ والخطاب والسياق وتوظيفها في فهم المصطلح البلاغي وذلك من أجل ترقيته وإخراج البلاغة من عزلتها المدرسية.

د- وضع الشواهد البلاغية القديمة بين تحليل القدماء وقراءتنا نحن لها.

هـ- توسيع مجال التحليل البلاغي ليشمل النصوص السردية والشعرية معا حيث يتم التركيز على الشواهد القديمة من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الغنائي لأنها تمثل القاعدة الحقيقية التي قامت عليها البلاغة العربية وكذلك توسيع مجال التحليل من الجملة البلاغية إلى النص والخطاب.

7- "دور السياق في إزالة الغموض الدلالي"

دراسة تطبيقية في القرآن الكريم

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية (علم اللغة)

جامعة النيلين - كلية الآداب، 2007م

إعداد الطالب: كمال علي بابكر عبد العزيز

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج التحليلي الوصفي

تناول الباحث مفهوم السياق، ونظريات علم الدلالة، ودور السياق في الظواهر الدلالية الخاصة، خاتما بحثه بتطبيق للسياق في القرآن.

أهداف الدراسة:

أ- محاولة إبراز الفهم الحديث للنظريات الدلالية من حيث تأثيرها بنظرية السياق، أي إبانة أن النظريات الدلالية التي حاولت إيضاح المعنى لم تكن بمنأى عن فكرة السياق.

ب- إن هذه النظريات قادرة علي الوصول إلى تطبيق نظرية السياق وتوضيح المراد في النص دون احتمال للتعدد في معاني المشترك وكذلك التضاد وكذا بالنسبة لما عرف باسم الترادف، أي أن يكون تحديد المعنى بحسب السياق فقد يكون اللفظ مستخدما في سياق بمعنى معين ويأتي اللفظ نفسه في سياق آخر بمعنى مغاير لما كان في السياق الأول وكذلك الشأن في التراكيب وقضية الحذف والزيادة.

ج- إظهار أوجه التكامل بين الدراسات القديمة والحديثة في حقل علم الدلالة من جهة والدراسات التطبيقية من جهة أخرى.

د- محاولة تأكيد دور السياق في كشف ما تعددت دلالاته بغرض إزالة الغموض في المفردات والتراكيب القرآنية من خلال تطبيق نظرية السياق اللغوية على أن يلاحظ أن هذا الهدف الأخير هو الغاية الأساسية من هذه الدراسة.

النتائج:

أ- في جانب ما كتبه اللغويون القدامى عن دور السياق في تحديد المعنى أو الدلالة أوضحت الدراسة أن هؤلاء العلماء القدامى قد عرفوا وتعمقوا في كتاباتهم لفكرة الأثر السياقي على المعنى وقد استخدموا في معالجاتهم لهذه القضية مصطلحات مغايرة لما عليه الحال في علم اللغة المعاصر.

ب- تم في هذه الدراسة استخلاص تعريف للسياق (ص:30) يمكن أن يمثل صورة توفيقية تجتمع عليها جميع آراء السابقين في هذا الصدد.

ج- تعرضت الدراسة لموقف فيرث من نظرية السياق حيث ركز على وجود جانبيين للسياق: اللغوي والمقامي ، فأبانت بالتمثيل ضرورة تكامل الجانبين في تحديد المعنى وهو بالطبع موجود عند العرب.

د- في إطار تعريف المعنى أو الدلالة تعرضت الدراسة إلى الفكرة التي تقصر الدلالة أو المعنى على ما يتم في العقل من عمليات ذهنية لتأكيد دور السياق في تحديد المضمون الأساس وهذا ينطبق أمره على كل النظريات المتعلقة بالدلالة.

هـ- فيما يختص بالموازنة بين القدماء والمحدثين في مفهوم المعنى أو الدلالة نجد أن وجهات النظر لدى المحدثين تلتقي في كثير من جوانبها مع ما جاء به علماء اللغة الأقدمون في مفهوم الدلالة .

و- فيما يتعلق بالنظرة التاريخية لمفهوم أو دلالة الكلمة أبرزت الدراسات جانب الضرورة الخاصة بربط هذه الفكرة بالجانب الاجتماعي حيث يراد بذلك ضرورة ارتباط المعنى المعجمي بالنظر إلى التطور الذي يطرأ عليه ويلبسه معنى جديدا يستفاد منه في اللغة التي لا تنفصل عن مجتمعا.

ز- من النتائج النظرية المهمة التي قادت إليها هذه الدراسة بيان أن جانب الغموض الذي صاحب المراحل المختلفة لتطور النظريات الدلالية والتي كشفت عنها الدراسة بصورة واضحة هو علة ظهور نظرية السياق التي أصبحت المحور المعول عليه في إزالة الغموض في أي نص فكأنها صارت المرجع أيا كان نوع النظرية الدلالية المحتكم إليها في النص موضع الشاهد.

ح- فيما يختص بالظواهر الدلالية الثلاثة (المشترك والتضاد والترادف) قامت هذه الدراسة بمناقشة وجهات النظر المختلفة على نحو قاد إلى أن حقيقة إنكار ثبوتها إنما جاء لمعالجة قضاياها خارج إطار السياق أي أن السياق هو الفيصل في إثبات أو نفي أي من هذه الظواهر الثلاث.

8- التراكيب النحوية في الحديث النبوي الشريف

دراسة وصفية دلالية في صحيح البخاري

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية تخصص علم اللغة

إعداد الطالبة: سوسن الفاضل محمد الحسن

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا- كلية اللغات

2013م

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي

أهداف البحث:

- 1- الوقوف على الأنماط المستخدمة في الحديث النبوي، ومدى موافقة قواعد النحو العربي لها.
- 2- مناقشة القضايا التركيبية المرتبطة بالحديث النبوي الشريف.
- 3- إيضاح المعنى حين يؤثر في إبراز الأوجه الإعرابية أو يسهم في مناقشة القضايا اللغوية.
- 4- الوقوف على دلالة بعض العناصر التوسيعية وتوضيح وظائفها ومن ثم توضيح استخدام النبي ﷺ للدلالة التركيبية.
- 5- إثبات أن فهم السنة النبوية المطهرة يقتضي المعرفة التامة بعلم الدلالة والتراكيب.

النتائج:

- 1- وافقت أنماط الجملة الاسمية التي وضعها النحاة ما ورد في الحديث النبوي الشريف.

- 2- جاء الجملة الفعلية في الحديث النبوي على الأصل، وخالفته حين اقتضى المعنى ذلك، ففصل فاصل بين الفعل والفاعل في بعض المواضع، مثال حديث "كمل من الرجال كثير".
- 3- تبادلت الأفعال مواقعها في الحديث النبوي، إذ نجد الفعل الماضي يدل على المستقبل أحياناً بغرض تأكيد المعنى.
- 4- اهتم الحديث النبوي بتوضيح المعنى بشتى الطرق و الوسائل، فاستخدم النبي ﷺ الأبنية للدلالة على معانٍ محددة، مثل استخدامه صيغة (افتعال) لتدل على الحركة.
- 5- تنوعت أنماط الجملة (اسمية أو فعلية) فجاء المسند إليه نكرة ومعرفة وضميراً، إلا أن النمط الذي جاء فيه المسند إليه فيه ضميراً كان أكثر الأنماط شيوعاً في الجملتين الاسمية والفعلية بالنسبة للأنماط الأخرى فيهما.
- 6- المسند إليه الذي جاء في صورة ضمير اتخذ كل أشكال الضمائر وأحكامها، فجاء مضمراً وظاهراً.
- 7- المسند إليه الذي يأتي نكرة يؤتي في بقية التركيب بمكملات يكون فيها تعريفه.
- 8- جاءت بعض تراكيب الحديث النبوي خلافاً للأصل وذلك بحسب اختلاف العناصر الدلالية مثل: التخصيص، أو إزالة الشك، أو العناية والاهتمام، وغير ذلك.
- 9- كان عنصر العناية والاهتمام من أكثر العناصر التي تسببت في تغيير تركيب مكونات تراكيب الحديث النبوي في الجملتين الاسمية والفعلية مقارنة بالأسباب الأخرى.
- 10- استخدم النبي ﷺ "الحذف" فحذف الخبر، وحذف الفاعل، وحذف المفعول، وحذف الفعل، ليبدل على معنى معين، وقد حذفت العرب لبعض هذه المعاني والأغراض وقصرت عن بعضها، فزاد عليها النبي ﷺ الفعل في بعض حديثه "التأدب" مع الحق عز وجل.

- 11- كان للسياق بنوعيه دور واضح في تحديد المعنى في الحديث النبوي الشريف.
- 12- استخدم النبي ﷺ "الدلالة التركيبية" لتوضيح المعنى، وقد جاءت في أشكال مختلفة، منها: الأمثال، والملاحن، وتأويل الرؤى.
- 13- استخدم النبي ﷺ عناصر التوسع المختلفة للدلالة على معانٍ مختلفة، وكانت "إن وأخواتها" و"كان وأخواتها" أكثر العناصر شيوعاً في لغة الحديث النبوي الشريف.
- 14- جاءت التراكيب الخبرية والإنشائية على الأصل في بعض الأحاديث، كما خرجت عما وضعت له إلى دلالات أخرى يحددها السياق والقرائن المختلفة، وذلك لتأدية وظائف معينة.
- 15- كانت الهمزة أكثر شيوعاً من بين عناصر الاستفهام المستخدمة لأداء عناصر نحوية ودلالية في الحديث النبوي الشريف.

9- السياق وأثره في تحديد دلالة المشتقات، دراسة تطبيقية في سورة يوسف

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالب: فتحي إبراهيم عبد الله عثمان

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - كلية اللغات

2014م

منهج الدراسة:

المنهج الوصفي التحليلي.

الأهداف:

- 1- الوقوف على السياق نظرياً.
- 2- بيان أثر السياق في توجيه الدلالة.

3- بيان أثر السياق في توجيه دلالة المشتقات.

النتائج:

- 1- إن السياق هو عقد من الألفاظ تحمل في طياتها معاني مترابطة تفسر بعضها البعض.
- 2- إن السياق هو الطريق السليم لحل مشكلة تعدد معاني الكلمة، وإزالة الاحتمالات التي تدعها الذاكرة.
- 3- إن الدلالة الاصطلاحية التي استخدمها علماء اللغة المحدثون لمفهوم السياق ودلالته اللغوية ليست متنافية، بل وجدوها حتى في القرآن الكريم، وكانت تعني الحركة والتتابع والاتصال.
- 4- وردت ألفاظ في السورة لا تخضع لمعايير القياس التي وضعها علماء الصرف، وفي دلالتها تدل على ما لا تخضع له، مثلاً لفظ (دلو، سكين) دلالتها في السياق يدلان على الآلة أما في القياس فلا.
- 5- إن تفسير معاني القرآن اعتماداً على المعجم يعتبر قاصراً عن الكشف في أداء المعنى المقصود.
- 6- إن صيغ المشتقات تتداخل بعضها البعض وهذا يقودنا إلى إصدار حكم بأن اللغة هي أكبر من أن تضبط بقواعد تحكمها وتقيدها، فمثلاً صيغة فعيل نجدها صالحة للصفة المشبهة وصيغة المبالغة واسم المفعول.

10- الدلالة الصرفية للمشتقات في سورتي الإسراء والكهف

دراسة دلالية صرفية

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - كلية اللغات، 2014م

إعداد الطالب: عمران عثمان عبد الرحمن محمد

منهج البحث:

المنهج الوصفي الاستقرائي

الأهداف:

- 1- معرفة دلالة المشتقات وأثرها في تفسير معاني الآيات القرآنية.
- 2- تحديد المعنى الذي جاءت لأجله المشتقة.
- 3- إنابة الصيغ عن بعضها البعض لأغراض يحددها هدف المتكلم.

النتائج:

- 1- تحقق دلالة المشتقات التفسير الصحيح للآيات القرآنية.
- 2- تبادل المشتقات المواقع لتحديد دلالتها الصرفية.
- 3- اسم المفعول هو الأكثر استخداماً في سورة الإسراء، بينما كان اسم الفاعل هو الأكثر وروداً في سورة الكهف.

11- الدلالة النحوية في خطاب بني إسرائيل لأنبيائهم في القرآن الكريم

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - كلية اللغات، 2015م.

إعداد الطالبة: صالحة عامر حامد عثمان

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي

الأهداف:

- 1- تأكيد أهمية الدلالة النحوية في بيان معنى الكلام.
- 2- بيان الخصائص التركيبية لخطاب بني إسرائيل أنبياءهم في القرآن الكريم.
- 3- توضيح الدلالات النحوية التي وردت في خطاب بني إسرائيل لأنبيائهم.

- 4- بيان أثر دلالة الحذف والتقديم والتأخير في توصيل كلامهم.
- 5- بيان أثر دلالات التوسع في التوصل إلى معرفة شخصياتهم.
- 6- إبراز العلاقة التي تربط بين علمي النحو والدلالة.
- 7- ربط الدلالة المعجمية بالدلالة النحوية.

النتائج:

- 1- غلبة الإطناب في خطاب بني إسرائيل أنبيائهم مما أثر في قلة دلالات الحذف في خطابهم.
- 2- كثرة الجمل المعقدة -دون غيرها- مع الأنبياء.
- 3- وفرة دلالات التوسع في خطاباتهم.
- 4- ظهور العتوّ والعناد والتكبر وعدم المبادرة في الاستجابة للأنبياء على غالب بني اسرائيل.

12- دور المقام والسياق في فهم الأحاديث النبوية الخاصة بالنساء

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية
جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - كلية اللغات، 2016م.

إعداد الطالبة: رقية قطبي على أحمد

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي

أهداف البحث:

- 1- تحديد الأسباب التي أدت للفهم المغلوط للأحاديث الخاصة بالنساء، خاصة وأن الإسلام قد أنقذ المرأة من الوهدة التي تردت فيها قبل البعثة المحمدية.
- 2- معرفة الدور الذي يؤديه المقام والسياق في تجلية المعنى وإيضاح المقصود ومن ثم الفهم الصحيح للأحاديث النبوية الشريفة الخاصة بالنساء.

3- ربط الأحاديث الخاصة بالنساء بغيرها من الأحاديث الأخرى والتي تعين على الفهم والترجيح لبعض المعاني دون غيرها والوصول إلى المرامي والمقاصد.

النتائج:

1- التأثير بالمعتقدات والمفاهيم السائدة في بعض البلاد التي فتحها المسلمون، والتي كانت حضارتها وديانيتها تقوم على النظرة الدونية للمرأة، وبتر الأحاديث عن سياقها يدعم هذه النظرة وكذلك الأحاديث الموضوعية التي تقلل من شأن المرأة والتي يكثر تداولها بين من يعتقدون ذلك.

2- المقام والسياق في الأحاديث النبوية الشريفة يدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم - على المسلمات وتعليمهن ما ينفعهن في الدنيا، وسبل النجاة في الآخرة بصيغ مختلفة من الخطاب.

3- قطع الأحاديث النبوية عن سياقها ومناسبات ورودها تفرغها من محتواها المقصود وقد ينعكس معناها تماماً.

4- المعلومات العلمية الحديثة تمد الدارس للأحاديث بعنصر جديد من عناصر المقام يتضح فيه الإعجاز في اختيار النبي - ﷺ - للمفردات والتراكيب مما يعين على إجلاء المعاني المتجددة وحل كثير من إشكاليات الفهم بالنسبة لكثير من طبقات المجتمع من متعلمين وغيرهم.

الموازنة بين الدراسات السابقة والدراسة موضوع البحث:

الموضوع:

كانت الموضوعات التي تناولت السياق تدور حول الاستعانة بالسياق في إزالة الغموض وتحديد الدلالة في فهم المعنى.

أما موضوعات الدلالة فقد تنوعت بتنوع مستويات دراسة اللغة، ولكن كان حظ المستوى النحوي هو الأكثر، فقد وردت خمسة من الموضوعات حول الدلالة النحوية.

وتتاول موضوع هذا البحث الدلالة وسياقاتها عند عالم لغوي هو تمام حسان، وقد عالج موضوع البحث الدلالة من خلال دراسة مستويات دراسة اللغة: الأصوات، والصرف، والنحو، والمعجم، ثم الاستعانة بالسياق بجانبه اللغوي وغير اللغوي في تحديد المعنى، وكل هذا كما يراه تمام حسان.

الأهداف:

اختلفت أهداف كل دراسة عن الأخرى، لكن هناك بعض الأهداف المشتركة، ففي الدراسات التي تناولت السياق كان الهدف المشترك يدور حول تأكيد دور السياق في تحديد المعنى وإزالة الغموض الدلالي، أما الهدف المشترك في دراسات الدلالة فيدور حول أثر المستوى موضوع الدراسة في بيان المعنى.

أما أهداف هذا البحث فتدور حول توضيح كيفية تناول تمام حسان للدرس الدلالي والسياق.

المنهج:

استخدمت جميع الدراسات المختارة في هذا البحث المنهج الوصفي، كذلك استخدم هذا البحث المنهج الوصفي.

النتائج:

اختلفت نتائج كل دراسة عن سابقتها حسب موضوع الدراسة، إلا أن النتيجة المشتركة في دراسات السياق هي أن السياق هو الطريق السليم لتحديد معاني الكلمات وإزالة الغموض عن النصوص.

ما استفادته الباحثة من الدراسات السابقة:

استفادت الباحثة من الدراسات السابقة عدة فوائد أهمها:

- 1- الاطلاع على الطرق المختلفة التي عالج بها الدارسون موضوعاتهم، والاستفادة من هذه الطرق في معالجة موضوع الدراسة.
- 2- الوقوف على الأهداف والنتائج التي اتفق عليها الباحثون والمختلف عليها، ومقارنة هذه الرؤى بما يدور في ذهن الدارس.
- 3- تعد هذه الدراسات مستخلص لكثير مما توصلت إليه الأبحاث في مجال الدلالة والسياق؛ لذلك يعد الإطلاع على مثل هذه الدراسات أمر ضروري باعتباره نقطة انطلاق يبدأ منها الباحث تاركاً بصمته اتفاقاً أو اختلافاً مع ما سبقه من الدراسات.

الفصل الثاني

تمام حسان نشأته وثقافته وإسهاماته اللغوية والفكرية

تمام حسان عالم لغوي ونحوي مصري، عرف باجتهاداته اللغوية التي خالف فيها النحاة القدامى، له العديد من الإسهامات في مجال علم اللغة، يقدم الباحث في هذا الفصل جوانب متعددة من حياته، ومولده وتعليمه وحياته العملية ونشاطه العلمي، خاتماً هذا الفصل بالمنهج الذي اتبعه في دراساته المختلفة.

2-1-نشأته:

ولد تمام حسان عمر محمد داود في اليوم السابع والعشرين من شهر يناير سنة 1918م، بقرية الكرنك محافظة قنا، إحدى محافظات صعيد مصر، وأتم حفظ القرآن وتجويده على قراءة حفص سنة 1929م¹.

وقد تحدث عن قرينته في حوار أجراه معه الدكتور جاسم المطوع، ذكر أنها تقع على حافة الصحراء على ربوة تحتها الوادي الزراعي ووراءها الصحراء، سكان هذه القرية من قبيلة "هواره"، التي يقال أنها هاجرت إلى مصر من المغرب في أيام الدولة الفاطمية، وانتشرت في الصعيد -تقريباً- في كل بلاده، حتى تقلصت أخيراً فبقيت ما بين سوهاج وقنا².

ثم أعقب قائلاً: ووالدي -رحمه الله- كان صاحب أرض زراعية، ولم يكن مثقفاً، ولكنه كان يقول الشعر العامي الجيد، وكان حريصاً علينا نحن الإخوة الخمسة أن يتعلم أكثرنا، وأن يبقى اثنان من الإخوة يعينانه على إدارة أملاكه في البلدة³.

¹ تمام حسان رائداً لغوياً، عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى، 2002م، (ص:13).

² حديث الذكريات (برنامج حوارى)، حاوره جاسم المطوع، المشرف العام على شبكة العلماء الالكترونية، كان التسجيل في 2003/1/1م.

³ المرجع نفسه.

وأما عن حفظه للقرآن فيحكي قائلاً: في سن الخامسة تقريباً أُلحقت بكتاب تعليم القرآن وتحفيظه، وبدأت في هذا الوقت أحفظ القرآن الكريم، وطبعاً كل طفل يبدأ في حفظ القرآن ولا يفهم معناه، لكن قد يكون هذا عاملاً مهماً في التحفيظ؛ لأنه لو عُلم المعنى يمكن أن توضع جملة بدل جملة، أو شي من هذا القبيل، فعدم فهم المعنى يخدم قضية الحفظ¹.

ثم يردف قائلاً: لم يكن بين المحفظين في القرية من يجيد قواعد القراءة القرآنية ليعلمها، يعني يقرأ القرآن جيداً، ولكنه ليس لديه الطريقة النظرية التي يعطيها لتلاميذه، فذهبت إلى قرية قريبة من القرية التي نشأت فيها، وكان فيها رجل يعلم أحكام التجويد القرآني اسمه الشيخ توفيق القاضي، فتعلمت كيف أتلو القرآن عنده².

ثم التحق بمعهد القاهرة الديني في السنة الدراسية 1930-1931م، وفيه حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة 1934م، وعلى الشهادة الثانوية سنة 1939م³.

وتحدث عن الفترة التي أعقبت حصوله على الثانوية الأزهرية قائلاً: وسجل اسمي في كليتين: أولاً كلية اللغة العربية الأزهرية، وثانياً كلية دار العلوم، أنا فضلت أن أذهب حقيقة إلى دار العلوم؛ لأنها ستكون نوعاً مختلفاً من التعليم عن التعليم الأزهرى، فيكون الإنسان قد ألم بهذا النوع وبذاك النوع⁴.

والتحق بعد ذلك بمدرسة دار العلوم العليا (هي الآن كلية دار العلوم بجامعة القاهرة)، وحصل على دبلومها في اللغة العربية سنة 1943م، وكان شغوفاً أثناء دراسته بالتدريب العسكري، حيث انخرط في دورة إعداد الضباط الاحتياطيين، وتخرج فيها سنة 1942م برتبة ملازم ثان، وفي عام 1945م حصل على إجازة التدريس من دار العلوم بعد أن أمضى فيها سنتين لدراسة التربية وعلم النفس، وكان ترتيبه

¹حديث الذكريات، (برنامج تلفزيوني).

²المرجع نفسه.

³تمام حسان رائداً لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف (ص:13).

⁴حديث الذكريات، (برنامج تلفزيوني).

الأول على فرقته، وبعد تخرجه مباشرة عينته وزارة المعارف -آنذاك معلماً بمدرسة النقراشي النموذجية، ولم يمكث بها طويلاً إذ سرعان ما اختارته دار العلوم معيداً بها، وأوفدته في بعثة دراسية في فبراير 1946م إلى جامعة لندن ليتخصص في علم اللغة بمشورة من الدكتور إبراهيم أنيس (يرحمه الله)، وبدأ هناك يتعلم اللغة الإنجليزية التي أتقنها بعد عام واحد من التحاقه بالجامعة، وانتظم بالدراسة بمعهد الدراسات الشرقية والأفريقية التابع لجامع لندن، وحصل فيه سنة 1949م على شهادة الماجستير في علم اللغة العام، فرع الأصوات اللغوية، وكان موضوع رسالته (دراسة صوتية لهجة الكرنك في صعيد مصر)، ثم حصل على درجة الدكتوراه في الفرع نفسه سنة 1952م، وكان موضوع أطروحته (دراسة صوتية وفونولوجية لهجة عدن في جنوب بلاد العرب)، وقد تطلب منه هذا التخصص عملاً ميدانياً سافر من أجله إلى عدن، وأقام بها ستة أشهر (مايو إلى نوفمبر 1951م)، وبعد شهر واحد من حصوله على الدكتوراه عاد إلى مصر وعين في أغسطس 1952م أستاذاً مساعداً بكلية دار العلوم قسم فقه اللغة (علم اللغة والدراسات السامية والشرقية حالياً)¹.

2-2- حياته العملية:

لما وقع العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956م تطوع للمشاركة في صدّه ودحره، ومكث في الجيش من أغسطس 1956م إلى مارس 1957م ولم يشطب اسمه من كشف ضابط الاحتياط إلا في سنة 1962م، ولما كان في عام 1957م أرسلته الكلية إلى أمريكا لاختيار أجهزة حديثة لمعمل الأصوات اللغوية، والتدريب على استخدام هذه الأجهزة، وكيفية استخراج النتائج منها، وذلك بناء على المنحة التي قدمتها مؤسسة "فولبرايت" الأمريكية، وهناك أقام شهراً كاملاً في جامعة "ميتشجان"، تم خلاله اختيار جهاز الأوسيلوغراف، وجهاز السبكتروغراف، وهما الجهازان اللذان أهدتهما المؤسسة، وكان موجوداً قبل جهاز الكيميوغراف، فكونت هذه

¹ تمام حسان رائداً لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف (ص:13-14).

الأجهزة الإلكترونية لتحليل الأصوات نواة لمعمل لغوي متكامل، كما قضى شهراً ثانياً بأقسام الدراسات الشرقية بالولايات المتحدة الأمريكية¹.

وفي عام 1959م رقي إلى درجة (أستاذ مشارك). واضطر لظروف خاصة إلى ترك قسم فقه اللغة والانتقال إلى قسم النحو والصرف، ولم يكن راضياً بهذا ولذا سرعان ما أبدى موافقته على انتدابه سنة 1961م للعمل مستشاراً ثقافياً بسفارة الجمهورية العربية المتحدة -آنذاك- في العاصمة النيجيرية (لاجوس)، وهناك قام على مدى خمس سنوات (من 1961م إلى 1965م) بتوثيق الروابط الثقافية بين جمعيات التعليم الأعلى الإسلامي في نيجيريا والمؤسسات الثقافية والتعليمية في مصر، وعمل على استقدام الأساتذة المصريين للتدريس بمدارسها، وأنشأ في مدينة (كانو) مركزاً ثقافياً، وأثناء عمله في نيجيريا تقدم بإنتاجه العلمي لكلية دار العلوم للحصول على درجة أستاذ كرسي في النحو والصرف، وركي إلى هذه الدرجة العلمية سنة 1964م، وفي مطلع 1965م عاد إلى مصر ليشغل منصب رئيس قسم النحو والصرف، ووكيل كلية دار العلوم، واستمر على هذه الحال مدة عامين، أعير بعدهما إلى جامعة الخرطوم سنة 1967م، وهنا كلفته الجامعة بإنشاء قسم للدراسات اللغوية، وعهدت إليه برئاسته، ثم عاد في سنة 1970م إلى كلية دار العلوم وكلف مع العمادة بأمانة اللجنة الدائمة للغة العربية (لجنة ترقية الأساتذة) التابعة للمجلس الأعلى للجامعات المصرية لمدة ثلاث سنوات (1970-1973م)².

كما أنشأ خلال العام 1972م الجمعية اللغوية المصرية وانتخب أول رئيس لها، وظل مضطعاً برئاستها حتى تاريخ سفره إلى المغرب نهاية سنة 1973م، معاراً لجامعة محمد الخامس-بالرباط- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وخلفه في رئاستها الأستاذ الدكتور حسين نصار، وظل يعمل بالمغرب حتى تاريخ إحالته إلى التقاعد المبكر حسب طلبه سنة 1978م، وبقي في عمله بجامعة محمد الخامس على سبيل التعاقد الشخصي حتى صيف 1979م، ثم عاد إلى مصر لينتخب عضواً بمجمع

¹ تمام حسان رائداً لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف، (ص: 14).

² المرجع نفسه، (ص: 14-15).

اللغة العربية بالقاهرة، في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ إبراهيم عبد المجيد اللبان (ت 1977م)، وكان حفل استقبله الرسمي بالمجمع صباح يوم الاثنين 14 من أبريل سنة 1980م، وقد ألقى الدكتور أحمد محمد الحوفي -عضو المجمع- كلمة ترحيبية في استقبله، ورد عليه الدكتور تمام بكلمة مماثلة، كما جرت عادة المجمع في مثل هذه المناسبات، وبقي بالمجمع ثماني سنوات يؤدي رسالته الجمعية على أكمل وجه، فيواظب على حضور جلسات مؤتمره السنوي، ويشارك في أعمال لجنتي الأصول والمعجم الكبير، وكذا أعمال المجمع الدورية التي كانت تعقد بالقاهرة، رغم إقامته الدائمة في مكة المكرمة حيث يعمل هناك، إلا أن هذا الوضع لم يرق لبعض أعضاء المجمع، مما دفعهم لمطالبته أكثر من مرة بالبقاء في القاهرة والمحافظة على عضوية المجمع، أو أن يظل بمكة ويفقد هذه العضوية، وذلك مما جعله يعتذر عن هذا الطلب ويضطر أسفاً لتقديم استقالته من عضوية المجمع سنة 1988م، التي قبلت بأغلبية صوتين فقط، ولا شك أن المجمع خسر بذلك عضواً فاعلاً ونشطاً، وحرم من الانتفاع بعلمه وخبرته اللتين كانتا معقد الآمال، ومحط الأنظار حينما وقع عليه الاختيار لعضوية المجمع¹.

وكان الدكتور تمام قد وقع صيف 1980م عقداً للعمل أستاذاً بجامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة (جامعة أم القرى حالياً)، وتحديدًا في معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها، بترشيح من الأستاذ الدكتور عبد الله بن سليمان الجربوع عميد المعهد آنذاك، وأثناء عمله بالمعهد تم تكليفه بإنشاء قسم جديد هو: قسم التخصص اللغوي والتربوي، يتخرج فيه معلمو اللغة العربية لغير الناطقين بها، وعين رئيساً له منذ ذلك الحين وحتى أواخر 1994م، حيث قدم استقالته الاضطرارية من رئاسة القسم، ليتم تعيينه بعدها نائباً لرئيس وحدة البحوث والمناهج بالمعهد، وظل يواصل عطاءه العلمي بالمعهد حتى أواخر عام 1996م، حيث انتهى عقده بالجامعة نظراً

¹ تمام حسان رائداً لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف (ص: 15-16).

لبلوغه السن النظامية، وعاد إلى مصر بعد ستة عشر عاماً قضاها بمكة المكرمة
وجامعتها أم القرى ليعمل أستاذاً متفرغاً بكلية دار العلوم¹.

2-3- وضعه الاجتماعي:

الدكتور تمام متزوج وله من الأبناء أربعة: ثلاث بنات وابن واحد، ويكنى
بأبي هاني، ويقول في هذا الجانب: "تزوجت بعد العودة من الحصول على الدكتوراه
، ورزقت بأربعة، ثلاث بنات، وولد، ثلاثة منهم أطباء (الولد طبيب عظام، والبناتين
واحدة منهما في التخدير والأخرى في الأطفال)، أما البنت الصغرى فهي المذيعة في
التلفزيون المصري الآن واسمها أميمة تمام².

2-4- وفاته:

توفي إلى رحمة الله في صباح يوم الثلاثاء الموافق 2011/10/11م، بعد
مرض قصير وعملية جراحية بالمخ³، رحمه الله رحمة واسعة وأدخله جناته جزاء ما
قدم خدمة للغة القرآن الكريم.

2-5- نشاطه العلمي:

يمكن توزيع النشاط العلمي للدكتور تمام بصفة عامة إلى ثلاثة مجالات
رئيسية : أولها مجال التأليف، وثانيها مجال المقالات والبحوث، وثالثها مجال
الترجمة، يضاف إلى ذلك حضوره ومشاركاته العلمية في الندوات والمؤتمرات، وإلقاءه
المحاضرات في الأندية الأدبية والثقافية، والمجامع اللغوية، والمعاهد التعليمية
المتخصصة، وإسهامه في الإشراف على الرسائل العلمية والاشتراك في مناقشتها.

2-5-1- مؤلفاته:

فأما مؤلفاته فقد بلغت عشرة مؤلفات، هي بحسب تأريخ صدورها :

¹ ا تمام حسان رائداً لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف، (ص:16).

² حديث الذكريات، (برنامج تلفزيوني).

³ وكبيديا، الموسوعة الحرة.

أ-مناهج البحث في اللغة، صدر لأول مرة سنة 1955م، بمكتبة الأنجلو المصرية، وتوالت طباعته بعد ذلك في مصر والمغرب.

وفي هذا الكتاب تناول الدكتور تمام أفكار المنهج الوصفي في تحليل مستويات اللغة الخمسة: الأصوات، والصرف، والنحو، والمعجم، والدلالة، وحاول تطبيقها على اللغة العربية الفصحى.

ويتحدث "تمام حسان" عما جاء في هذه الدراسة ذاكراً أن العالم العربي في مختلف العصور، لم يعدم من يدعو إلى التجديد في منهج الدراسات اللغوية؛ ولعل أول محاولة لها خطرهما في هذا الباب، هي محاولة ابن مضاء الأندلسي الظاهري المذهب، الذي دعا إلى اعتبار ما هو مستعمل فحسب من صيغ اللغة، دون الحاجة إلى التقدير والتعليل، وقد كثرت هذه المحاولات في العصر الحديث، حتى إن بعض هذه المحاولات، جاءت من أكثر الهيئات الثقافية محافظة على القديم وغيره عليه، ألا وهي الأزهر، على أن هذه المحاولات قامت دائماً على الذكاء، والاجتهاد الشخصي ولم تقم على فلسفة لها عمقها في فهم اللغة. ولست أدعي لنفسي قسطاً من الذكاء الشخصي، أكبر من حظ هؤلاء الذين قاموا بهذه المحاولات، بل إنني لا أسمح لنفسي -وهم أساتذتي الأجلاء- أن أساوي ذكائي بذكائهم الذي أشهد لهم به، ولكنني لا أستطيع أن أغمط حق النظرية، التي بنيت عليها هذه الدراسة، وهي نظرية جاءت نتيجة تجارب القرون في الغرب، فهيكلا غربي، وتطبيقها على اللغة العربية هو القسط الذي أنا مسؤول عنه في هذا الكتاب، ويقوم تطبيق النظرية في هذا الكتاب على اللغة العربية الفصحى أولاً، وقبل كل شيء، وحين يقضي المقام بالتمثيل من اللهجات العامية، يجد القارئ أن معظم الأمثلة، قد جاءت من لهجة الكرنك بمديرية قنا، وقد درستها لرسالتي التي حصلت بها على الماجستير من جامعة لندن، ولهجة عدن في جنوب بلاد العرب، وقد حصلت بدراستها على الدكتوراه من نفس الجامعة، فأما ما عدا ذلك من ذكر لهجات أخرى، فأمثلته مقتبسة من بطون المراجع، أو من ذاكرتي السمعية، وتبدو الحاجة ملحة في أيامنا هذه إلى بناء الدراسات اللغوية على منهج له فلسفته، وتجاربه إرواء للروح العلمية الخالصة من جهة، وتوفيراً لجهود

عشاق اللغة من جهة أخرى، فقارئ اللغة العربية في الوقت الحاضر، يجد نفسه أمام أمشاج من الأفكار غير المتناسبة يأتي بعضها من المنطق، وبعضها الآخر من الميتافيزيقا، وبعض ثالث من الأساطير، ورابع من الدين وهلم جرا، ومن هنا كانت الرغبة ملحة إلى تخلص منهج اللغة من هذه العدوى، حتى يسلم لقارئ اللغة نص في اللغة واللغة فحسب، غير معتمد على أسس من خارجها، تلك هي الرغبة التي أملت هذا الكتاب¹.

ب- اللغة بين المعيارية والوصفية، نشر لأول مرة سنة 1958م، بمكتبة الأنجلو المصرية، وتعددت طبعاته بعد ذلك في مصر والمغرب.

وفيه قسم النشاط اللغوي إلى معياري ووصفي، وفرق بين ناحيتين من نواحي هذا النشاط، هما: الاستعمال اللغوي الذي هو وظيفة المتكلم، والبحث اللغوي الذي هو وظيفة الباحث، وفي ضوء هذا التفريق ربط بين المعيارية والأمور الاستعمالية، كالقياس والتعليل، والمستوى الصوابي، كما ربط بين الوصفية والأمور المنهجية، كالرموز اللغوية، والاستقراء والتعديد، والنماذج اللغوية.

وبصفة عامة فإن كتابه هذا يعد مكملاً لكتابه السابق، وترسيخاً للمنهج الوصفي الذي كان قد دعا إليه، ونقداً للمنهج المعياري الذي اتسمت به الدراسات اللغوية القديمة عند العرب.

وقد وصف الدكتور صبحي الصالح (يرحمه الله) هذين الكتابين بقوله: "لقد جاء آيتين في الدقة والتقصي فيما صوراً من المذاهب الحديثة في بحوث اللغة، وإن فيهما جهداً مشكوراً في رد طائفة من تلك المذاهب إلى مبتدعيها، ومحاولة ناجحة أحياناً في المقارنة بين العربية واللغات الحية من خلال ما استحدث العلماء من مناهج، ولكن في الكتابين عيباً أجسم من عيوب الكتب العصرية السابقة، فكثيراً ما يدخل الدكتور حسان الضيم على العربية، وهو يطبق عليها ما

¹ مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، (ص: 4-6).

أثقنه من المناهج الغربية، ماسخاً بذلك أصوات العرب في رموز وطلاسم
"استشراقية" فيها من عجمة الدخيل ما لا يطاق"¹.

وبطبيعة الحال لم يسلم هذا الكتابان، كلاهما أو أحدهما من النقد الذي جاء
بعضه علمياً محضاً، وكان بعضه الآخر لمجرد النقد ليس إلا²، ومن ذلك ما
قاله عبد القادر الفاسي الفهري: "ومن أزمات البحث اللساني العربي ادعاء
العلمية، أو المنهجية، وهذه الظاهرة تأخذ أشكالاً متعددة، من تصور خاطئ
للعلم، إلى تصور خاطئ للافتراضات العلمية، إلى تصور خاطئ لما يعتبر
تطبيقاً لنظرية ما، فتمام حسان مثلاً شأنه شأن الوصفيين يرفض العلة، ونظرية
العامل، والإعراب التقديري، وعدداً من الأصول والمفاهيم الموجودة في التراث،
ويرفض الخروج من شيء ملاحظ إلى شيء مجرد، بدعوى أن هذه الأشياء في
نظره ليست من العلم، وأن العلم يجب أن يكتفي بالملاحظة الخارجية، والتساؤل
عن الكيف، ولا يتعدى ذلك إلى التساؤل عن علة وجود الظاهرة... ولا يدلنا تمام
حسان على مرجع في الموضوع نسترشد به، لأن هذا شيء "معروف" كما يقول،
وطبعاً نحن لا نعرف هذا بل نعرف عكسه، ونعرف أن النظرية العلمية يجب أن
ترقى إلى مستوى تفسيري، ولا تكتفي بالملاحظة الخارجية في جميع الأحوال، بل
تبحث عن الكيف وفيما وراء الكيف، فأين هذا العلم "المعروف" كما يعرفه تمام
حسان"³.

**ج- اللغة العربية معناها ومبناها، صدر في طبعته الأولى سنة 1973م، عن الهيئة
المصرية العامة للكتاب، وتكررت طبعاته بعد ذلك في مصر والمغرب.**

¹دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح،(المقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة السادسة عشر-
2004م،(ص:10).

²تمام حسان رائداً لغوياً، (ص:18).

³اللسانيات واللغة العربية(نماذج تركيبية ودلالية)، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،
ط3، 1993م،(ص:57-58).

وفي هذا الكتاب أودع الدكتور تمام خلاصة الأفكار التي كانت تدور في ذهنه منذ أمد بعيد، عن المنهج الوصفي البنوي في دراسة اللغة، ومحاولة تطبيقه على العربية¹.

واحتوى الكتاب على أهم نظرياته في اللغة، كنظرية القرائن النحوية، هذه النظرية التي تحولت فيما بعد عبر أتباعها الذين تأثروا بأفكارها إلى ما أطلق عليه مصطلح "مدرسة تضافر القرائن" أو "القرائن النحوية"².

و"الكتاب من قبل ومن بعد يمكن تصنيفه ضمن تلك المحاولات الإصلاحية للنحو العربي، وإن كانت تفضلها بالنظرة الشمولية لأنظمة اللغة، وعلاقتها ببعضها، ومزاوجتها بين المعنى والمبنى، وسعيها للكشف عن المعنى النحوي، وهذا الكتاب هو مشروع قراءة أخرى للتراث اللغوي العربي من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، أو بعبارة ثانية هو إعادة صياغة للنحو العربي وترتيب الأفكار اللغوية بوجه عام في ضوء أحد مناهج البحث اللغوي الحديث وهو المنهج الوصفي"³.

وقد حظي هذا الكتاب بدراسات نقدية خصصت له، أو وردت ضمن أعمال علمية كتبها أصحابها في تقويم التفكير اللساني الحديث في العالم العربي، وإن كانت هذه الدراسات الناقدة تأخر زمن صدورها رغم دعوة المؤلف المبكرة لجمهور الدارسين المختصين بتناول عمله هذا بالنقد البناء⁴.

وتباينت ردود الفعل تجاه هذا الكتاب وما يحمله من أفكار ونظريات لغوية، سلباً وإيجاباً، فمنها ما رأت فيه أنه عمل لساني رائد، وأنه من أهم ما قيم به في

¹ تمام حسان رائدا لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف(ص:18).

² على سبيل المثال: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقى، تقديم: تمام حسان، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط2، 2008م، من ص: 26 فما بعدها/ ونظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م،(ص:5-6)..

³ تمام حسان رائدا لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف(ص:18).

⁴ الخلاصة النحوية، تمام حسان (ص: 8).

إطار الاتجاه الوصفي، وأنه استطاع أن يطور منهجاً جديداً من التراث النحوي والبلاغي القديم معتمداً على منهج من مناهج الدرس اللغوي الحديث، وأنه أشمل كتاب في قراءة التراث، وأنه أعطى للنحو مفهومه ومكانه الصحيح بين أنظمة اللغة العربية، وأنه يقف في الصدارة من تلك المحاولات التي احتوت الغاية التعليمية، واتسع أفقها المنهجي ليعالج مسائل العلم المتصلة بوظيفة النحو البحثية وغاياته الأكاديمية، وهو جهد يصير يباين في جوهره جميع ما سبقه من جهود، وفي مقابل هذا فهناك من يرى أن الكتاب لا يكشف عن أي تجديد حقيقي في مقارنة اللغة العربية، وأنه ليس نموذجاً جديداً يقف بإزاء النموذج البصري، وإنما هو دراسة نقدية شاملة مع إعادة ترتيب للدراسات اللغوية العربية وفق المنهج الوصفي البنيوي ليس إلا، وأنه لم يتوصل إلى وضع وصف جديد كامل للعربية بل جدد فيه بعض التجديد، ولم تقف هذه الدراسات الناقدة عند هذا الحد، بل تجاوزته -مع الأسف الشديد- إلى التجريح والخروج عن الموضوعية العلمية، وهو ما كان يحسن أن يتجنب في تقييم الأعمال العلمية¹.

وقد تقبل الدكتور تمام تلك الانتقادات بترحاب كبير، وصدر متسع، وابتسامة واثقة، واستجاب بوجه خاص لتلك الملاحظة العلمية البناءة التي أبدأها كثير من الباحثين من أن نظريته في القرائن النحوية تقتصر إلى التطبيق العملي والعلمي على أبواب النحو جميعها، فكان ذلك مدعاة لتأليف كتابه "الخلاصة النحوية"²، الذي سنتحدث عنه بعد قليل.

ويتحدث خالد خليل هادي وزميله مؤيد آل صوينت عن النقد الموجه لتعاطي تمام حسان مع التراث، ورصدا مجموعة من المآخذ التي يمكن تسجيلها عليه، والتي يمكن إدراجها على النحو الآتي³:

¹ تمام حسان رائدا لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف(ص:19-20).

² الخلاصة النحوية، تمام حسان(ص:8).

³ تمام حسان في معيار النقد اللساني، خالد خليل هادي، مؤيد آل صوينت، الأسقاط، العدد204، 2012م، (ص:249-250).

- إن تمام حسان في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" قد درس اللغة العربية بشواهدَ ونصوصٍ من كتب النحاة، فباين بذلك منهجه الوصفي التزامني، الذي يدرس الظاهرة في حقبة محددة، وكان بإمكانه أن يسمي منجزه هذا ب"اللغة العربية معناها ومبناها في القرنين الأول والثاني الهجريين"، لكي ينسجم مع مقررات منهجه وفرضياته.
 - لم يقدم أنموذجاً نحويًا يقف أمام الأنموذج البصري، وإنما كانت محاولته في الحقيقة دراسة نقديةً تسعى إلى إعادة ترتيب اللغة العربية على وفق المنهج البنيوي الوصفي، وهي محاولةٌ ميزت جهدَ تمام حسان من جهود الباحثين الآخرين، الذين يكتفون عادةً بنقد النحو العربي، من دون محاولة إعادة الترتيب، وفي أحيان أخرى يكتفون بتناول جزئياتٍ وجوانبٍ محددةٍ من مستويات الدرس اللغوي، ولا تنتظر نظرةً شاملةً على نحو ما موجود في معناها ومبناها.
 - استعار تمام حسان بعض أفكاره من اللسانيات، مع إعطائها مصطلحاتٍ عربيةً تراثيةً، ذات مفاهيم مستقرة قديمة، ومحاولة تأصيلها بالبحث عن مفاهيم تُشبهها في العربية، وقد جعل عمله أقرب إلى نحو سيبويه (ت ١٨٠هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) منه إلى غيرهما، ولم يفعل ذلك عفواً بل كان قاصداً ذلك، وواعياً له. ف"معناها ومبناها" في جوهره ليس أنموذجاً وصفيًا للغة العربية الكلاسيكية أو المستعملة في هذا العصر، أو في أي عصرٍ من عصور العربية أو إحدى لهجاتها، وإنما هو من قبيل إعادة النظر في كتب النحو والصرف.
- وأياً ما كان الأمر فإن هذا الكتاب "اللغة العربية معناها ومبناها"، فضلاً عن كونه محاولة جريئة وحدثاً علمياً متميزاً في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، حسبه أن لفت الأنظار إلى أن هناك متسعاً من القول في النحو العربي، وأن باب الاجتهاد فيه ما زال مفتوحاً لمن تتوافر فيه شروطه"¹.

¹تمام حسان رائدا لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف (ص: 20-21).

د- الأصول -دراسة ايستيمولوجية¹ لأصول الفكر اللغوي العربي- صدر في طبعته الأولى عام 1981م، عن دار الثقافة بالدار البيضاء(المغرب)، وتوالت طبعاته بعد ذلك في مصر والعراق.

وفي هذا الكتاب دراسة معرفية تناول بها جذور الفكر اللغوي ومصادره في ثلاثة حقول من أهم حقول الدراسات اللغوية العربية وهي: النحو وفقه اللغة والبلاغة.

وقد تحدث "تمام حسان" عن سبب تأليفه لهذا الكتاب قائلاً: "وقد دعاني إلى إخراج هذا البحث للقراء ما أعتقده من أن النحو العربي لم يعرض حتى الآن في صورته المتكاملة على رغم جهود علماء أفاضل صرفوا الجهد المشكور في استخراج أصوله من بطون الكتب ومن أقوال النحاة أنفسهم، ولكنهم صادفوا عقبة كأداء في الطريقة التي اختارها الشراح العرب لكتابة شروحهم، لقد كان مما أخذه العرب عن السريان طريقة شرح المتون ، وكانت الطريقة السريانية تعتمد على إقحام الشرح بين كلمات المتن وعلى شرح الكلمات المفردة وما يتعلق بها من أفكار فرعية وإيضاح لمدلولاتها دون اللجوء إلى شرح الهياكل العامة لأفكار المتن ونظراته الشاملة، وهكذا حسبوا أنفسهم وحبسوا قراء شروحهم في أسر الكلمات وشق على من يتصدى بعد ذلك للإحاطة بفلسفة أفكارهم أن يهتدي بسهولة إلى عالم هذه الفلسفة؛ لأن هذه الفلسفة قد اختفت وراء غابات كثيفة من العناية بدلالات الألفاظ المفردة... وبزعمي أن المكتبة بحاجة ماسة إلى هذا النوع من الكتب، لأن طالب النحو المتخصص له ومعلم النحو كذلك لا بد لهما وقد نصبا نفسيهما لفهم التراث النحوي من أن يقفا على أرض نظرية واضحة المعالم... فإذا عنى الطالب أو المعلم بفهم الأساس النظري لهذه المسائل كان أقدر على رد كل فرع منها إلى أصله وبدا النحو العربي في رأيه بسيط البنية سهل الفهم منسجم التكوين منطقي التفكير (من المنطق الطبيعي لا الصوري)، وأصبح المعلم بهذا

¹ايستيمولوجيا: فرع من فروع الفلسفة يهتم بنظرية المعرفة (معجم المعاني الإلكتروني)، ودراسة ايستيمولوجية، أي معرفية.

أقدر على الإفهام وأدنى من النجاح في عمله، وعادت الفائدة من ثم على المتعلمين كما عادت على المعلمين"¹.

"نظراً لمكانة مؤلفه وأثره في الدارسين والباحثين، والقيمة العلمية لهذا المؤلف، فقد أفرد بدراسات ناقدة كشفت عن نواحي الائتلاف والاختلاف في بعض القضايا المتصلة بتاريخ النحو وأصوله"².

ولقد جاء عن هذه الكتب الأربعة السابقة أن تمام حسان قد "قدم أوفى قراءة للنحو العربي عبر تأليف أربعة : اثنان منها عرض فيهما أصول اللسانيات الوصفية، وهما "مناهج البحث في اللغة " و"اللغة بين المعيارية والوصفية"، أما الاثنان الآخران فقد خصصهما لدراسة التراث وتقويمه، وهما "اللغة العربية معناها ومبناها" و"الأصول"، لكن هذا التقسيم لا يعني أن تقويم التراث غائبٌ عن كتابيه الأولين، بل كان حاضراً في كتابه الأول حضور الهاجس الملح، وهو الذي قدمه مدخلاً لهذا العلم"³.

كما حُصَّ بتكريم علمي آخر، حيث حصل بهذا الكتاب عام 1984م على جائزة آل بصير العالمية لخدمة الإسلام والأدب العربي والعلوم، في حقل الإنتاج الأدبي واللغوي⁴.

هـ- التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، نشر في معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) عام 1984م.

وفيه قام تمام حسان بجمع عدد من الظواهر الأسلوبية المعدول بها عن الأصول النحوية، وأجرى لها دراسة فاحصة توصل فيها إلى أن المسوق الوحيد لهذه الظواهر التي تتحدى قواعد النحو هو قيمتها الأسلوبية، وأطلق على هذه الظواهر مصطلح "الاستعمال العدولي، وذلك كالاتقادات، والتغليب، والتضمين...الخ.

¹ الأصول، تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، طبعة 2009م، المقدمة، (ص:10-12).

² تمام حسان رائدا لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف(ص:21).

³ تمام حسان في معيار النقد اللساني، خالد خليل هادي (ص:252).

⁴ تمام حسان رائدا لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف(ص:21).

والكتاب كما هو واضح من عنوانه يقع في مجال تعليم العربية لغير أبنائها، أو بعبارة أدق في ميدان علم اللغة التطبيقي.

ولكنه كغيره من مؤلفات تمام حسان لم يسلم من النقد، إذ يرى أحد الباحثين أن هذا العمل "بالإضافة إلى الخلط الواضح في عنوانه يتميز بالانطباعية، والخروج بالمصطلحات اللسانية التطبيقية عن مفاهيمها المألوفة، لذلك لا نجد في الكتاب مساهمة حقيقية في اللسانيات التطبيقية، ولا غرو، فليس في مراجع الدراسة أي إشارة إلى مرجع لساني في موضوع اكتساب اللغة أو تعلمها"¹.

و- مقالات في اللغة والأدب، نشر في معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) عام 1985م.

ويتضمن الكتاب مجموعة من المقالات والبحوث التي كان قد نشرها في مجلات علمية مختلفة، أو ألقاها في مؤتمرات وندوات علمية متخصصة، وجميع موضوعاته تدور حول اللغة تعليماً، ونقداً، وتقويماً للتراث اللغوي عند العرب.

ز- البيان في روائع القرآن، صدر عام 1993م في جزء واحد عن عالم الكتب بالقاهرة، ثم صدر عن الدار نفسها في جزءين (مجلد كبير).

وقد تحدث "تمام حسان" في مقدمة هذا الكتاب عما تناوله فيه قائلاً: "ليست هذه الدراسة محاولة لتفسير القرآن الكريم تفسيراً لغوياً وأدبياً، وليست محاولة أخرى للكشف عن إعجاز القرآن إعجازاً لغوياً وأدبياً، فإذا صادف القارئ في هذه الدراسة تفسيراً غير مألوف لأحد الألفاظ أو التراكيب، أو صادف القارئ ظاهرة تتم عن الإعجاز اللغوي لأساليب القرآن الكريم، فإن المؤلف لم يقصد إلى الكشف عن ذلك قصداً، ولا ادعى لنفسه مكان المفسر، ولا موقف الباحث في الإعجاز، فلقد كان اهتمام المؤلف منذ البداية متجهاً إلى الغايات العملية التي أملت عليه أن يغشى

¹تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "يونسكو"، اللسانيات التطبيقية في العالم العربي، محمود إسماعيل صيني، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، (ص:235).

ساحة القرآن متأملاً بعين اللغوي، وقلب الأديب، ما اشتمل عليه بناء النص القرآني من مباني اللغة ومغاني الأدب"¹.

وكانت البداية عندما كُلف بإنشاء قسم من أقسام معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى -مكة المكرمة- ، فقد قرر حينها أن يتولى تحديد موضوعات مادة "دراسات لغوية وأدبية في القرآن" وتدريسها، وكان طلاب المعهد من غير الناطقين بالعربية، وكانوا جميعاً من المسلمين، فكان من المطلوب لمادة دراسية تخاطب هؤلاء أن تعد لهم مذكرات تنزع إلى البساطة في التعبير، وانتقاء ما يتييسر فهمه على الطلاب من ظواهر اللغة ولمحات الأدب، هكذا كانت مقاصد الدراسة في بدايتها عملية الطابع، تسعى إلى التعليم والتطبيق، لا إلى العلم والنظر، ثم تحولت المقاصد بعد ذلك إلى الطابع العلمي بإغراء الثراء الذي بدا في تركيب القرآن وأسلوبه، فلم يجد المؤلف لنفسه منصرفاً دون الولوج إلى رحاب القرآن راجياً من الله التوفيق، وجاعلاً عمله هذا قرباناً في ساحة القرآن².

ح- الخلاصة النحوية، صدر عام 2000م عن عالم الكتب بالقاهرة، والكتاب -كما سبق القول- تطبيق عملي لما أودعه في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" من نظريات لغوية، وخاصة نظرية القرائن النحوية وتضافرها على بيان المعنى.

وقد ذكر أهداف هذه الدراسة قائلاً: "إن هذه الخلاصة لم يقصد بها أن تكون متناً من متون النحو التي تعز على الحصر، وإنما أريد لها أن تحقق الأمور التالية³:

- أن تكون تطبيقاً للدراسة النظرية المشار إليها، وذلك بإبراز تضافر القرائن على بيان المعنى.
- أن تكون مركزة تركيزاً شديداً بحيث تخلو من إيراد الشواهد إلا في أضيق الحدود.

¹البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى، 1993م، المقدمة، (ص:3).

² المرجع نفسه، (ص:3-4).

³الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الثانية، 2004م، المقدمة، (ص:8-9).

- أن تلجأ إلى نوع جديد من عرض حقائق النحو عن طريق الأشكال الإيضاحية المُعينة على تصور العلاقات بين الأحكام.
- أن تكون مبنية على أنواع الجمل للوصول من داخلها إلى أبواب المفردات طمعاً في أن يكون ذلك أكثر كشافاً عن الأساليب النحوية.
- اشتملت أمثلة القواعد في هذه الخلاصة على لفظ "زيد" و"عمرو" في معظم الحالات وجعلت هذا موازياً لما في علوم الرياضة من رمزي "س" و"ص" فالمهم هو المثال أما أناقة العبارة فتلتبس في الشواهد لا في الأمثلة.

ط- اجتهادات لغوية، صدر عام 2007م عن عالم الكتب بالقاهرة، وقد ذكر في تقديم هذا الكتاب "أنه اجتهادات لأنه في مجمله اتخذ القرآن الكريم مصدراً لشواهد، بل جعله في الأغلب الأعم موضوعاً لدراسته، ولقد كان القرآن طيلة التاريخ الإسلامي موضوعاً لاستخراج المعاني والتفسيرات، حتى لقد أصبحت الإضافة إلى تراثه تتجاوز المأثور وتدخل في باب الاجتهاد، وأما أن هذه الاجتهادات لغوية فلأن موضوعاتها مسخرة في خدمة اللغة من حيث هي نظام حيناً ومن حيث هي نصوص حيناً آخر، ولقد تناول الكتاب نظام اللغة تحت عناوين متعددة هي منهج النحاة العرب والرصف والنظام والبنية واللبس ومكونات الضمائر والثوابت والمتغيرات والصحة والجمال كما تناول الاصطلاح ونظام الكتابة ثم أضاف إلى النظام مقالاً يتناول جانباً من مفهوم علم النص تحت عنوان العلاقات الملفوظة، والعلاقات الملحوظة في النص القرآني"¹.

ثم يتحدث عن بعض الموضوعات التي أدرجها داخل هذا الكتاب قائلاً: "أما تناول اللغة من حيث هي استعمال فقد تناول الكتاب مشكلة إبداع المعنى من منظور تعدد الحقول المعرفية واختص المعنى الانطباعي بمقال خاص عنوانه مأخوذ من القرآن الكريم هو "تعرفهم بسيماهم" ودراسة قرينة السياق بعناصرها المختلفة بوصفها دليلاً على المعنى واتخاذ شواهد هذه الدراسة من النص القرآني الكريم ثم استخراج بعض المعاني التي لم يشر إليها المفسرون من سياق الآيات القرآنية مثل الدلالة

¹اجتهادات لغوية، تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة ، الطبعة الأولى،المقدمة، (ص:9).

على "ماضي" و "مايلي" واستعمال " هؤلاء " لإفادة الانتقاص والمقصود بأن الرجال قوامون على النساء وما في القرآن من إشارة إلى "أيام الله" ثم استعمال أدلة متصيدة من أصوات ومفردات مستخرجة من القرآن الكريم، وانتهى الكتاب بمقالين مترجمين أحدهما مأخوذ من كتاب Linguistic Encyclopedia المنشور بواسطة Kirsten Malmkiaer كابرديج 1991م بشرح مصطلحات لغوية، والآخر مقدمة لكتاب "نظرة سيميوطيفية للنصوص" كتبها فلويد ميريل¹.

وأخيراً أشار إلى أن إنتاج مجموع هذه المقالات امتد على مرحلة زمنية أولها أوائل خمسينات القرن الماضي وبعضها (أو معظمها) نشر في مجلات علمية في مصر أو خارجها وجميعها يصدق عليه أنه اجتهادات².

ي- الفكر اللغوي الجديد، صدر عام 2011م عن عالم الكتب بالقاهرة، وهو آخر ما صدر له في مجال التأليف.

وقد ذكر في هذا الكتاب أن القرآن اختزن في دلالاته من الأمور ما يدعو إلى مزيد من العناية بالنظر في دلالات أعمق مما تنبه له العلماء في القرون الأربع عشرة السابقة، وقد اشتملت هذه الدلالات على نتائج من أنواع مختلفة تناولت حروف المعاني وعلاقاتها والصيغ الصرفية وتكويناتها والبنية النحوية وإشاراتها، كما تناول النظر إلى مقاصد السياق العام، وقد انعكست العناية بكل ذلك على أمور اجتماعية لا سبيل إلى إهمال النظر إلى أنواعها مما تناولته جهود العلوم اللغوية المختلفة، هذا التراث الذي تركه السلف على حسن تناوله لم يكن كافياً لإعطاء القرآن حقه من التأمل ومن السعي إلى الغوص في الدرس والوصول إلى ومضات من المعاني لم يصل إليها جهد السلف، وهدى إليه عباده الباحثين في الجديد من التقدم العلمي أن يجتدوا في البحث عن مطالب النص بعد أن زعم السلف أنه استوفى حقه من العناية وهذا الكتاب محاولة متواضعة للبحث في هذا الاتجاه³.

¹اجتهادات لغوية، تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى، المقدمة، (ص:9-10).

²المرجع نفسه، (ص:10).

³الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، المقدمة، (ص:9).

وذكر في موضع آخر أن اللغة لفظ ومعنى، ولكل من اللفظ والمعنى نموه وتطوره، على نحو تراكمي حيناً وعلى نحو تجديدي حيناً آخر عبر توالى الأزمنة، ولقد كان الإنسان مصدراً لهذا التراكم وذلك التجدد، وكان من طبيعة علاقة ذلك باللغة أن يصيب اللغة في كل العصور سواء من حيث اللفظ أو من حيث المعنى قدر من التغيير إيجاباً أو سلباً، وكان الفكر الجديد في الحالين إما أثراً من آثار التحول التراثي الذاتي، وإما غاية من غايات التفكير الإنسان، إذ إن هذا التفكير هو مصدر الفكر اللغوي الجديد، وهو موضوع هذا البحث، ومن المقبول طبعاً أن يكون الفكر اللغوي المقصود بما نقوله هنا منصّباً في معظمه على تاريخ اللغة العربية لا ينحرف عنه إلا لسبب يدعو إلى الانحراف على نحو ما نراه في تناول بعض الظروف التي سيأتي ذكرها في موضوع هذا الفكر اللغوي الجديد¹.

هكذا نرى أن حياة تمام حسان كانت حافلة بالعطاءات العلمية التي شرقت في بلاد العرب وغربت، حيث لم يحل بقطر عربي إلا وترك أثراً علمياً فيه، فحينما كان في السودان تبلورت لديه فكرة كتابة "اللغة العربية معناها ومبناها"، ولما انتقل إلى المغرب أصدر هناك كتابه "الأصول"، وفي المملكة العربية السعودية نشر ثلاثة كتب أثناء إقامته بها، وهي: "التمهيد في اكتساب اللغة..."، و"مقالات في اللغة والأدب"، و"البيان في روائع القرآن"، وعندما عاد إلى مصر ألف كتابيه: اجتهادات لغوية، والفكر اللغوي الجديد.

2-5-2- ترجماته:

لم يتوقف إسهام تمام حسان العلمي عند حد التأليف، بل أسهم في عملية النقل والترجمة إلى العربية عن مؤلفات ذات مناحٍ علمية متعددة، بلغت خمسة أعمال مترجمة هي بحسب تأريخ صدورها:

أ- مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، تأليف: ديلاس أوليري، نشره سنة 1957م، بمكتبة الأنجلو المصرية.

¹الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، المقدمة، (ص: 11).

ب- أثر العلم في المجتمع، تأليف برتراند آرثوليم رسل، نشره سنة 1958م، بمكتبة نهضة مصر، ضمن سلسلة حياة المجتمعات التي تصدرها الجمعية الثقافية المصرية آنذاك.

ج- اللغة في المجتمع، تأليف: موريس ميكابيل لويس، نشره بالقاهرة سنة 1959م، بدار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي.

د- الفكر العربي ومكانه في التاريخ، تأليف: ديلاسي أوليري، نشره لأول مرة سنة 1961م، في عالم الكتب بالقاهرة، وصدر ضمن إصدارات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ثم نشر في طبعة ثانية عام 1997م عن الهيئة المصرية للكتاب ضمن مشروع الألف كتاب الثاني.

هـ- النص والخطاب والإجراء، تأليف: روبرت دي بوجراند، نشره سنة 1998م، في عالم الكتب بالقاهرة، وهو آخر ما صدر له من أعمال ترجمة، وموضوع الكتاب الأصلي هو لسانيات النص أو علم اللغة النصي.

وهكذا نرى تشعب مجالات هذه المترجمات، فبعضها لغوي صرف، وبعضها فلسفي، وبعضها تاريخي، ولا شك أن هذه الأعمال المترجمة سدت فراغاً في المكتبة العربية، وكشفت في بعض مناحيها عن رأي الآخرين ونظرتهم في تأثير الثقافات الوافدة على الفكر العربي في جوانبه العلمية واللغوية والدينية، كما كشفت من جهة ثانية عن علاقة اللغة بالمجتمع، وعن إنتاجية النص اللغوي وكيفية تحليله، وتعدد وجهات النظر إليه، وهذا إضافة مهمة للدرس اللغوي، وللثقافة العربية بشكل عام.

2-5-3- بحوثه ومقالاته:

نكر عبد الرحمن العارف أنه عندما حاول إحصاء بحوث ومقالات تمام حسان أنه من الصعوبة بمكان أن نورد إحصاءً دقيقاً شاملاً لجميع بحوثه ومقالاته التي نشرها في الدوريات العلمية، أو التي شارك بها أو ألقاها في الندوات والمؤتمرات الثقافية والعلمية، فهي من الكثرة بحيث يجعل حصرها أمراً

ليس في مقدورنا، وهو نفسه يعترف بهذا في مقدمة كتابه "مقالات في اللغة والأدب"، لكننا سنحاول أن نذكر معظم ما وصل إليه علمنا من تلك البحوث والمقالات، مع التنويه إلى أننا أغفلنا ذكر ستة عشر بحثاً كان قد جمعها وأودعها ضمن كتابه السالف الذكر "مقالات في اللغة والأدب"، وهذا بيان تفصيلي بتلك البحوث والمقالات¹:

أ- مجلة الأزهر - مصر:

- نشأة النحو العربي، المجلد 32، الجزء الأول، 1960م، ص 47-56.
- مشكلة الخط العربي، المجلد 32، الجزء الخامس، 1960م، ص 439-454.
- النحو والمنطق، المجلد 32، الجزء السابع، 1960م، ص 704-709.
- مصطلحات سيبويه في أصوات اللغة العربية، المجلد 32، الجزء العاشر، 1960م، ص 1077-1084.

ب- مجلة منبر الإسلام - مصر:

- نظرة في فكرة النظم كما حددها عبد القاهر، العدد 5، 1968م، ص 167-169.

ج- حوليات كلية دار العلوم - القاهرة:

- أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية، 1968-1969م، ص 123-140.
- منهج النحاة العرب، 1969-1970م، ص 35-62.

د- مجلة المجلة - مصر:

- وظيفة اللغة في مجتمعنا المعاصر، العدد 114، 1966م، ص 31-40.

هـ- مجلة اللسان العربي - المغرب:

¹تمام حسان رائد لغويًا، عبدالرحمن حسن العارف (ص: 23-28).

- القرائن النحوية واطّراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي، المجلد 11،
الجزء الأول، 1974م، ص24-63.

- نحو تنسيق أفضل للجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية، المجلد 11،
الجزء الأول، 1974م، ص284-301.

و-مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة محمد الخامس- الرباط-
المغرب:

- مشكلة الترجمة، العدد 3-4، 1978م، ص181-194.

ز- مجلة فصول- مصر:

- اللغة العربية والحداثة، المجلد 4، العدد3، الجزء الأول، 1984م، ص128-
140.

ح- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

- من طرق القرآن الكريم، الجزء 49، 1982م، ص172-190.

- درجات الخطأ والصواب في النحو والأسلوب، الجزء 56، 1985، ص55-
88، ونشر هذا البحث أيضاً تحت عنوان: "درجات الخطأ والصواب في
الاستعمال العربي"، ضمن مجلة "بحوث لغوية وأدبية" الصادرة عن معهد
اللغة العربية بجامعة أم القرى عام 1986، ص21-35.

- وحدة البنية واختلاف الأنظمة، الجزء 57، 1985م، ص22-56.

- تأملات في بعض القيم الصوتية في القرآن الكريم، الجزء60، 1987م،
ص258-276.

- لغة الإعلام، الجزء 62، 1988م، ص44-55.

- الإفادة والعلاقات البيانية، الجزء65، 1989م، ص45-58.

ط- مجلة المناهل- المغرب:

- موقف الأديب والفنان بين الحرية والالتزام، العدد 3، 1975م، ص73-89.

- في الشعر السياسي للدكتور عباس الجراري "تعليق"، العدد 4، 1975م، ص332-338.
- اليقين بين الإسلام والفلسفة، العدد5، 1976م، ص 59-78.
- التضام وقيود التوارد، العدد1976، 6م، ص100-113.
- رأي في الارتباطات الطبيعية والنفسية في التذوق الفني، العدد 9، 1977م، ص57-74.
- أصول النحو وأصول النحاة، العدد 10، 1977م، ص 71-84.
- نحن والتراث والمعاصرة، العدد 12، 1978م، ص75-88.
- قضايا اللغة، العدد 14، 1979م، ص 79-89.
- الازدواج اللغوي، العدد 16، 1979م، ص 147-160.
- ي- مجلة معهد اللغة العربية (جامعة أم القرى - مكة المكرمة):
- كيف نعلم غير الناطقين بالعربية تحديد المعنى النحوي في غيبة العلامة الإعرابية، العدد الأول، 1982م، ص19-35.
- مشكلات تعليم الأصوات لغير الناطقين بالعربية، العدد الثاني، 1984م، ص353-364.
- ك- مجلة الحصاد - الكويت:
- التحليل اللغوي للأدب، العدد الأول، 1981م.
- ل- مجلة الدراسات القرآنية(تصدر عن مركز الدراسات الإسلامية بكلية الدراسات الشرقية والأفريقية - جامعة لندن):
- الصحة والجمال في النص القرآني، المجلد1، العدد1، 1999م، ص240-266.
- العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة، المجلد3، العدد 2، 2001م، ص172-200.

وبالإضافة لما تقدم فهناك مقالات وبحوث شارك بها في دورات وندوات ومحاضرات علمية، بعضها نشر في كتب خاصة، وبعضها لمّا ينشر بعد، وهي على النحو التالي:

- شاعرية ابن زيدون في ضوء منهج مستحدث، بحث ألقى في مؤتمر الذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون الذي عقد في المغرب عام 1975م، ونشر في مجلة الكتاب التي يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين (بغداد)، العددان 11-12، 1975م، ص 95-116.
- إعادة وصف اللغة العربية ألسنياً، بحث ألقى في أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية عام 1978م، ونشر ضمن كتاب "اللسانيات واللغة العربية" سلسلة اللسانيات(4)، 1981م، ص 145-184.
- موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية، بحث ألقاه في ملتقى "قراءة جديدة لتراثنا النقدي"، الذي عقده النادي الأدبي الثقافي بجدة في عام 1409هـ - 1988م، ونشر ضمن كتاب بعنوان "قراءة جديدة لتراثنا النقدي"، المجلد الثاني(الآخر)، 1410هـ - 1990م، ص 783-795.
- الطابع الاقتصادي لنظام اللغة، محاضرة ألقى في النادي الأدبي الثقافي بجدة بتاريخ 1405/4/3هـ، ونشرت ضمن سلسلة: المحاضرات، المجلد الثالث، 1988م، ص 183-214.
- اللغة العربية والشعوب الإسلامية، منشور ضمن كتاب "من قضايا اللغة العربية المعاصرة، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1990م، ص 69-88.
- قرينة السياق، بحث قدم بمناسبة الاحتفال بالعيد المنوي لكلية دار العلوم عام 1991، وطبع ضمن الكتاب التذكاري الخاص بهذه المناسبة، 1413هـ - 1993م، ص 375-395.

- الاتصال والكفاءة الإعلامية، محاضرة أقيمت ضمن النشاط الثقافي لمعهد اللغة العربية بجامعة أم القرى (مكة المكرمة)، عام 1411هـ-1991م.
 - نحو الجملة ونحو النص، محاضرة أقيمت ضمن النشاط الثقافي لمعهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، عام 1413هـ-1992م.
 - وضع المصطلح العربي في النحو والصرف، بحث أرسل إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية الأردني، عام 1994م.
 - أساسيات النحو العربي وتيسير تعليمه، محاضرة أقيمت في الموسم الثقافي السادس عشر لمجمع اللغة العربية الأردني في 25 نيسان عام 1998م.
- ويلحق بهذه المقالات ما كان قد كتبه تقديماً لمؤلفات بعض طلابه، أو مؤلفات شارك مع غيره في تأليفها، فمن النوع الأول ما يأتي:
- تقديمه لكتاب "اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية"، للدكتور فاضل مصطفى الساقي(العراق)، نشر المجمع العلمي العراقي عام 1970م، وجاء تقديمه في أربع صفحات.
 - تقديمه لكتاب "أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة"، للدكتور فاضل الساقي -أيضاً-، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة عام 1977م، وجاء هذا التقديم في ست عشرة صفحة(7-22).
 - تقديمه لكتاب "ظاهرة التماثل عند توالي الأصوات العربية الصامتة"، للدكتور عبد الرحمن حسن العارف، وتقديمه لكتاب "اتجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة في مصر" للمؤلف نفسه.
- أما النوع الآخر من تقديماته فيشمل ما يلي:
- تقديمه لكتاب "قائمة مكة للمفردات الشائعة"، الذي أصدره معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، ص 7-26.
 - تقديمه لمجلة "بحوث لغوية وأدبية"، الصادرة عن معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى عام 1406هـ-1986م، ص 7-19.

- تقديمه لكتاب "الأخطاء اللغوية التحريرية لطلاب المستوى المتقدم في معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى" الذي أصدره المعهد، ص 7-13.
- كتابته مبحث "النظام الصرفي في اللغة العربية" ضمن "المعجم العربي الأساسي" الذي صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، عام 1989م، وقد استغرقت صفحاته أربعاً وثلاثين صفحة (18-51).

2-5-4-الإشراف على الرسائل الجامعية:

بلغ عدد الرسائل العلمية التي أشرف عليها في أقطار عربية مختلفة ما يقرب من مائة رسالة، وكان عدد لا بأس به من هذه الرسائل يدور حول موضوعات مستوحاة من مؤلفاته المذكورة آنفاً، ومن هذه الموضوعات: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، الجملة الوصفية في النحو العربي، تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، القيمة النحوية للموقع، المقطع الصوتي بين الكمية والمدة الزمنية، الزمن النحوي، التضام في النحو العربي، قرينة الإعراب، الترخص في القرائن، الوحدات الصرفية ودورها في بناء الكلمة العربية، دور الصرف في منهجي النحو والمعجم، الضرورة الشعرية في النحو العربي، الإسناد النحوي، المعنى الوظيفي لأدوات النفي في العربية، طلب الخفة في العربية، ظاهرة التماثل الصوتي، الربط في التركيب العربي...إلخ، كما أن بعضاً آخر مما أشرف عليه من الرسائل كان دراسة ناقدة -ليست بالضرورة قاذحة- لمنهج النحاة العرب في ضوء الدراسات والمناهج اللغوية الحديثة، كالبحت في طبيعة معيار الصواب والخطأ لدى النحاة، وأمن اللبس ووسائل الوصول إليه في النحو العربي، وأصول النحو العربي...إلخ، وكان التصدي لبحت هذه الموضوعات وأمثالها في رسائل علمية سبباً في نشأة مدرسة فكرية متميزة في حقل الدراسات النحوية واللغوية بصفة عامة، وأكثر هؤلاء التلاميذ في مصر، ومنهم عدد لا بأس به في البلاد العربية الأخرى، كالمغرب، والسودان، وليبيا، والكويت، والعراق، والأردن، والسعودية¹.

¹ تمام حسان رائدا لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف(ص:28-29).

كما شارك تمام حسان في مناقشة عدد كبير من الرسائل الجامعية في الجامعات العربية، منها بالإضافة إلى جامعة القاهرة، جامعة الإسكندرية، جامعة عين شمس، جامعة الأزهر، جامعة الخرطوم، جامعة أمدرمان الإسلامية، فرع جامعة القاهرة بالخرطوم، جامعة الكويت، جامعة اليرموك بالأردن، جامعة المستنصرية ببغداد، جامعة محمد الخامس بالرباط(المغرب)، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس(المغرب)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة(السعودية)، جامعة الملك سعود بالرياض(السعودية)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، جامعة أم القرى بمكة المكرمة¹.

2-6- أوليات تنسب له²:

- أ- أول من استنبط موازين التنغيم(نماذج التنغيم) في اللغة العربية، وذلك في كتابه "مناهج البحث في اللغة"، وهي محاولة رائدة وفيها جدة وابتكار.
- ب- أول من ارتضى التقسيم السباعي للكلم، وبرره من حيث المبنى والمعنى.
- ج- أول من قال بمبدأين مهمين في وظائف أقسام الكلم، هما: النقل، وتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، وفسر بهما من ظواهر الاستعمال ما كان قبل مستعصياً على التفسير المقنع.
- د- أول من أنشأ للنحو العربي نظاماً متماسكاً قوامه القرائن اللفظية والمعنوية، بعد أن كان النحو في أفهام الدارسين تحليلاً إعرابياً فقط.
- هـ- أول من قال بفكرة تظافر القرائن مبطلاً بذلك فكرة العامل النحوي.
- و- أول من أبرز فكرة الترخص في القرينة عند أمن اللبس، وربطها بالشواهد من كافة أنواع النصوص(القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والنثر).
- ز- أول من فرق بين الزمن الصرفي البسيط والزمن النحوي المعتمد على السياق، وذكر للنحو ستة عشر زمناً، كما أنشأ مفهوم "الجهة" وجعلها عوناً على تعدد الزمن النحوي.

¹تمام حسان رائدا لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف، (ص:29).

²المرجع نفسه، (ص:30).

ح- أول من قام بمحاولات متفرقة لتشقيق المعنى، وتحليل كل شق منه على حدة.
2-7- إنجازات أخرى:

قدم تمام حسان خلال مسيرته العديد من الإنجازات، كما حصل على العديد من الجوائز، وبيان ذلك كما يلي¹:

أ- تولى الإشراف والمشاركة الفعلية في إخراج قائمة مكة للألفاظ الشائعة، وهي عمل علمي ذو فائدة كبرى في حقل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من اللغات.

ب- حاز على الدرجة الأولى في المسابقة التي أقامها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط سنة 1972م، وذلك عن بحثه الموسوم بـ"القرائن النحوية وأطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي".

ج- شارك في وضع المعجم العربي الأساسي الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(اليكو) سنة 1989م، واضطلع بمهمة مراجعة هذا المعجم.

د- اختير لمراجعة مجلة "البنك الإسلامي للتنمية" التي تصدرها منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، واستمر بها من تأريخ صدورها حتى تركه العمل في جامعة "أم القرى".

هـ- وقع عليه الاختيار من قبل الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام 1410هـ - 1990م، للانضمام إلى اللجنة المشكلة لمراجعة مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية.

و- حصل على جائزة آل بصير العالمية لخدمة الإسلام والأدب العربي والعلوم في فرع الإنتاج الأدبي واللغوي عام 1984م، بترشيح من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وذلك عن كتابه "الأصول".

ز- حصل على جائزة صدام للدراسات اللغوية سنة 1987م، بترشيح شخصي.

¹تمام حسان رائدا لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف، (ص:30-32).

ح- مثل المملكة المغربية في برنامج التعاون الثقافي بين المغرب وموريتانيا، واشتمل نشاطه على إلقاء عدد من المحاضرات العلمية والعامية، وذلك عام 1977م.

ط- تولى جانباً مهماً من إنجاز سلسلة الكتاب الأساسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها التي أصدرها معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) في ستة أجزاء، عام 1984م.

ي- كان له دور بارز في مشروع إنشاء قسم علم اللغة التطبيقي بمعهد اللغة العربية بجامعة أم القرى سنة 1994م، ليكون قسماً علمياً ثالثاً من أقسام المعهد، وإليه يعود الفضل في فكرة هذا القسم، وإعداد خطته ومناهجه، إلا أن أمر هذا القسم أوكل بعد أن تمت الموافقة على إنشائه إلى قسم الدراسات العليا العربية بكلية اللغة العربية.

ك- شارك في الندوتين الأولى والثانية لمشروع مكافحة الأمية باستعمال الحرف العربي في كتابة عدد من لغات الشعوب الإسلامية في الدول الإفريقية والآسيوية التي عقدتا عام 1988م بالبنك الإسلامي للتنمية بجدة.

ل- اختاره المركز الدولي للبيوغرافيا في كامبردج بإنجلترا ضمن الأعلام الواردة أسماؤهم في موسوعته المسماة:

INTERNATIONAL WHO,S WHO IN EDUCATION.

م- ورد اسمه ضمن موسوعة "أعلام مصر في القرن العشرين"، التي أصدرتها وكالة أنباء الشرق الأوسط (أ ش أ) بالقاهرة سنة 1996م (ص146).

ن- كرمته جامعة القاهرة عام 1998م ضمن تكريمها لجيل الرواد من الأساتذة الجامعيين بها، ومنحته جائزة تقديرية ودرعاً تذكاريّاً.

وهكذا يبدو لنا مما تقدم أن النشاط العلمي للدكتور تمام حسان كان غزيراً ومتنوعاً، شمل مجالات عدة وجوانب مختلفة من العلوم والمعارف.

2-8- شعره:

لعل الكثيرين لا يعرفون أن تمام حسان كان يتعاطى الشعر، ويجيد النظم فيه، وتطور موضوعات شعره حول قضايا اجتماعية، وأخرى سياسية، وبعضها خاصّ بمناسبات أقيمت في كليته دار العلوم.

وقد اطلعت على مجموعة كبيرة من القصائد التي نظمها وهو طالب بدار العلوم، وأخرى نظمها وهو أستاذ بها، ومن ضمنها قصيدة بعنوان: "عيد ميلاد الملك فاروق"، وأخرى بعنوان "السياحة في مستنقع الرفض"، وثالثة بعنوان "الشرق والغرب يلتقيان"... الخ.

وجميع هذه القصائد مخطوطة بخط يده، وهو يحتفظ بها في مكتبته الخاصة¹.

2-9- منهجه:

أقام "تمام حسان" منهجه على فكرة التعليق التي استلهمها من "الجرجاني" حيث قال: "وفي رأيي - كما في رأي عبد القاهر على أقوى احتمال - أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي"² وقد تأثر في ذلك أيضاً بأستاذه "فيرث"³ الذي أقام نظريته على فكرة السياق وقد صرح "فيرث" بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة"⁴.

ويرى أصحاب "نظرية السياق" أن معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"⁵.

¹ تمام حسان رائدا لغوياً، عبدالرحمن حسن العارف(ص:32).

² اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص:189).

³ جون روبرت فيرث(1890-1960) لغوي بريطاني وشخصية رئيسية في تطوير علم اللغة البريطانية.

⁴ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الخامسة، 1998م، (ص:68).

⁵ المرجع نفسه، ص(68-69).

فقد اهتم "فيرث" بالسياق وجعل الكلمة لا معنى لها ولا تؤدي وظيفة إلا داخل السياق وهو في هذا يشارك الجرجاني الذي يقول " لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض".¹

ومن ثم نجد تمام قد ربط بين "نظرية السياق عند فيرث وفكرة التعليق عند الجرجاني منتهياً هذا التأثير عنده بالمنهج الوصفي.

ويعرف المنهج الوصفي بأنه "العلم الذي يقوم بدراسة لغة ما في ذاتها ولذاتها دراسة علمية دقيقة، تعطي وصفاً دقيقاً تاماً لأنظمة اللغة وكيف تعمل هذه الأنظمة أو الأجهزة اعتماداً على ملاحظة الظواهر اللغوية ثم دراستها ووضع النظريات لتعليل الملاحظات ثم وضع النظريات موضع التجريب الدقيق بالتطبيق لمعرفة ما ينطبق من اللغة على القواعد والقوانين وما يخرج عليها ولمعرفة انسجام هذه القواعد و القوانين أو النظريات مع الاستعمال اللغوي، ثم الكشف عن خصائص تلك اللغة ووضع القواعد التي تمكّن من يرغب في تعليمها من أن يحذو حذو أهلها دون أن يقع في الخطأ"².

فيعني المنهج الوصفي بوصف اللغة بمستوياتها المختلفة (الصوتي-الصرفي والنحوي- والدلالي) والألفاظ والتراكيب والمعاجم فهو يعني بدراسة الظاهرة اللغوية؛ وذلك بوضعها في لغة معينة وزمن محدّد ولا يميّز هذا المنهج في تناوله للظواهر اللغوية بين اللّغة واللّهجة"³.

فالباحث المتتبع للمنهج الوصفي يصف اللّغة كما هي موجودة في الواقع دون تدخل منه بتفسير ظاهرة أو تعليل لاتجاه لغوي فالمبدأ الأساسي في وصف النظام

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:69).

² في نحو اللغة وتراكيبها، خليل أحمد عاميرة، ط1404، 1-1984، عالم المعرفة، جدة، (ص:9).

³ مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. - نور الهدى لوشن، جامعة الشارقة، 2008م، (ص:295).

النحوي هو أن يتجنب الباحث أن يدخل مقدماً تصنيفات سابقة وألا يعترف إلا بالأقسام اللغوية التي تعبر عنها اللغة موضوع البحث"¹.

وغالباً ما تنصب هذه الدراسة الوصفية على اللغات واللهجات المعاصرة وإن كان " بعض العلماء قد قاموا بمحاولات لدراسة اللغة دراسة وصفية في زمن معين في الماضي"².

وقد درس دي سوسير اللُّغة لا على أنها مجموعة كلمات وإنما على أساس أنها قد تتركب من مجموعة من العناصر تربطها علاقة تجعل هذه العناصر لا معنى لها في ذاتها وإنما معناها في ارتباطها ببعضها وكل تغيير يصيب عنصر منها يظهر أثره على سائر العناصر بل على النظام كله"³ فالنظام الداخلي للعلاقات وعند دي سوسير هو أساس الوصف النحوي السليم.

وأصحاب هذا المنهج لا يتفقون مع منهج النحاة القدماء ويرون أن قواعدهم هذه عبارة عن معايير ذهنية لا تتفق في طبيعتها مع طبيعة اللُّغة ولا مع موقف الباحث فاللُّغة ليست مجموعة من القوانين والقواعد بل مسلك اجتماعي يقوم به المتكلمون تحقيقاً لصلاتهم والتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم كما أن موقف الباحث من اللُّغة يتنافى مع عرض هذه المعايير على دراسته لأن موقفه يتنافى مع كل ما لم يأت نتيجة ملاحظة لغوية واستقراء، وكثيراً ما يتعارض مسلك اللغة من تلك القوانين فيؤدي ذلك إلى التأويل والتمحل، فوصف النص لا يتحمل المعيار، وعمل الباحث ينبغي أن يخلو من التحكم والافتراض"⁴.

¹ علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. - محمود السعمران. - القاهرة: دارالفكر العربي، الطبعة الثالثة، 1999م، (ص:195).

² المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. - رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، (1997م)، (ص:182).

³ اللغة بين المعيارية والوصفية. - تمام حسان. - القاهرة: عالم الكتب، ط4(1427هـ-2006م)، (ص:22).

⁴ المرجع نفسه ص:22).

وينطلق حسان في منهجه من هذه النقطة قائلاً: " وأما موقف الباحث من اللغة فيختلف اختلافاً تاماً عن موقف المتكلم فإذا كان هدف المتكلم هو صحة الاستعمال فإن هدف الباحث هو الوصف عن طريق المنهج الصالح"¹.

ثم يشرح موقف كل من المتكلم والباحث قائلاً: " الاستعمال الصحيح يجري حسب المعايير ولكن المنهج الصالح لا بد أن يعترف بطبيعة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية كالعادات والتقاليد والدين والملابس وطريقة المعيشة في عمومها ولا بد لها والحالة هذه أن تدرس على نحو ما تدرس الظواهر الاجتماعية بالملاحظة والاستقراء ثم التقعيد"².

فهو يرى أن المعيارية تناسب المتكلم، والمعيارية هنا يحددها الاستعمال، وهي لا تناسب الباحث، وإذا لجأ الباحث إلى المعيار فقد استعار لنفسه موقف المتكلم، لكن عليه أن يتخذ لنفسه منهجاً وصفيّاً يقوم على الملاحظة والاستقراء ثم التقعيد، وهو يرى أن الباحث إذا التزم بهذا المنهج سيجد نفسه قد عالج الموضوع معالجة موضوعية لا ذاتية فيها، وسيخرج من هذه المعالجة بنتائج يلخصها في عبارات يصفها بها، ويسمي هذه النتائج قواعد لغوية، ثم يفصل بعد هذا كيفية تطبيق منهجه، ذاكراً أننا إذا أردنا دراسة النحو عمدنا إلى عدد لا حصر له من الجمل، فلاحظنا العلاقات المتشابهة فيها بعضها ببعض ووازننا بين كل جملة وأخرى تشبهها حتى نلمح أوجه الشبه وهذه الخطوة أساساً للخطوة التالية بعدها"³.

ويتحدث عن الخطوة الثانية وهي التقسيم ثم تسمية الأقسام بأسماء معينة يطلق عليها الاصطلاحات الفنية"⁴

¹ اللغة بين المعيارية والوصفية. - تمام حسان ، (ص:22).

² المرجع نفسه ، (ص:22).

³ اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان (ص:154).

⁴ المرجع نفسه ، (ص:54).

أما الخطوة الأخيرة هي التقييد وهذه الخطوة لا تتعارض مع المنهج الوصفي، ينظر الباحث في أنواع التشابه المطردة بين المفردات ثم استقراءها فيصنفها بعبارة مختصرة نحو: يقع الاسم مسنداً إليه يكون مرفوعاً ولا يتحول عن هذا الرفع إلا في حالات خاصة وليست القاعدة هنا قانوناً يعرضه الباحث على المتكلمين باللغة فمن وافقه كان محسناً ومن خالفه كان مسيئاً وإنما هو تعبير عن شيء لاحظه الباحث وكان عليه أن يصفه بعبارة مختصرة بقدر الإمكان فالتقصير هنا وصفي لا أثر للمعيارية فيه¹.

ثم يذكر لنا سبب اتباع الباحث للمنهج الوصفي، وهذا لأن اللغة موضوع من موضوعات الوصف كالتشريح، لا مجموعة من القواعد كالقانون، إن الباحث في تشريح الجسم الإنساني لا يتوقع منه أن يعبر عن أفكاره بقوله يجب أن تكون العضلة الفلانية بهذا الوضع، أو يجب أن يكون العظم الفلاني بهذا الحجم أو الصورة وإن الباحث في تشريح اللغة (والمقصود هنا تحليلها تحليلاً دراسياً) لا ينبغي أن يعبر عن موقفه من موضوعه بالنص على ما يجوز وما يجوز وهم اللغوي لهذا السبب أن يصف الحقائق لا أن يفرض القواعد².

وهو لهذا ينقد النحاة ويأخذ عليهم تقسيمهم العلل إلى موجبه ومجوزة ويرى أن هذا التقسيم فتحاً لباب من العبارات المعيارية التي حفلت به كتب النحو والصرف والبلاغة ... ولست أظن عبارة أوغل في باب المعيارية من قولك يجب كذا لأن دلالاتها أن من خالف الواجب فقد أخطأ وقد كان خطوة لعدم تمسكه بالمعيار الواجب الذي قننه واضع العلة الموجبة³.

¹ اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، (ص:54).

² المرجع نفسه ، (ص:24).

³ اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان(ص:45)

فهو يرى أن "كل منهج علمي من مناهج البحث في الوقت الحاضر يعني أولاً وأخراً بالإجابة عن " كيف تتم هذه الظاهرة أو تلك فإذا تعدى هذا النوع من الإجابة إلى محاولة الإجابة عن "لماذا" تتم هذه الظاهرة أو تلك لم يعد هذا منهجاً علمياً بل لا مفر من وصفه بالحدس و التخمين وتفسير الإرادة والبحث عن الحكمة الإلهية في وجود هذه الظواهر"¹.

وقد أضاف في موضع آخر بديلاً لمصطلحي واجب وجائز اللذين وردا عند النحاة قائلًا: " ويبدو أن الذي اختار النحاة وصفه بالوجوب كان يمكن أن يسمى مطرد الوجود وأن ما اختاروا أن يسموه جائزاً كان يمكن أن يوصف بأنه " أقل وروداً من سابقة وبذلك يبقون في نطاق المنهج الوصفي دون خروج عنه إلى مضايق المعايير والأقيسة"².

لكن المتتبع لمنهج "حسان" ما بين عامي (1955م) عندما ألف كتابه مناهج البحث في اللغة وعام (2007م) عندما ألف كتابه اجتهادات لغوية يجد اختلافاً كبيراً في طريقه تطبيقه لمنهجه، فهو الذي ذكر في عام 1955م أن النحاة حين ذكروا أن الإعراب فرع المعنى كانوا في منتهى الصواب في القاعدة وفي منتهى الخطأ في التطبيق"³ نجده قد أصبح أكثر مرونة في العام 2007م حيث يقول: " ولا ينبغي مطلقاً أن يظن أن النقد هنا لقيمة عمل النحاة إنما هو للمنهج ذلك بأن النحاة قد وجدوا في عصر كانوا هم نتاجه الفكري وما كان لهم أن يسبقوا الزمن ولا أن يتنبأوا بظهور المنهج الاستقرائي بعد قرون عديدة وإنما ننقد منهجهم هنا لأنه لم يعد صالحاً في وقتنا هذا"⁴.

¹اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان ، (ص:154).

²المرجع نفسه ، (ص:54-55).

³مناهج البحث في اللغة. تمام حسان، 1993م،

⁴اجتهادات لغوية.- تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 2007م، (ص:39).

وقد أضاف في موضع آخر من كتابة اجتهادات لغوية أن الناظر في النحو العربي على الصورة التي دونه بها سيبويه ليجد صرحاً عالياً من الفكر يعجب المرء أن يتم بناؤه.¹

وهو نفسه الذي رفض العلل الموجبة والمجوزة كما سبق ذكره وقال فيها "أن هذه العبارات التي جعلت كتب النحو كغيرة من الدراسات اللغوية تنتفخ بلا مبرر"² وقد كان هذا في كتابة الصادر في العام 1958م.

وقد صرّح في مقدمة كتابه "الأصول" أنه كان من الطبيعي أن يصدر قبل كتابه اللغة العربية معناها ومبناها لكن صدر هذا الأخير أولاً لسببين: أحدهما أن بعض العناصر من أفكار الأقدمين لم تكن في ذلك الوقت من الوضوح في ذهني على نحو ما هي الآن فرأيت عندئذ أنه قد يكون من سوء التدبير أن أعلن للقراء أفكاراً غير ناضجة تماماً³ فهو في هذا النص يعترف أن أفكار القدماء حتى عام 1973م لم تكن واضحة تماماً في ذهنه وأتأ نجاه في السنين الأخيرة قد تنازل عن كثير من آرائه التي أوردها في مؤلفاته الأولى فهو عندما تحدث في كتابه اللغة بين المعيارية والوصفية عن "إصلاح الخط العربي" قال: إنني شخصياً أميل إلى الأخذ باشتقاق رموز عربية من الأبجديتين الإغريقية واللاتينية تراعي فيها كل الاعتبارات المتقدمة وسوف نجد فيها علاجاً لكل ما أشرنا إليه من عيوب في كتابتنا الحاضرة".⁴ وقد دافع في الكتاب نفسه عن هذا الرأي ذاكراً أن اختيار أبجدية عربية منتقاة من هاتين تكتب من الشمال إلى اليمين ستجعلنا نسير مع التيار الفكري العالمي بصورة أوضح وأسهل، وستجعل الاصطلاحات الأجنبية أكثر قبولاً عند الطالب

¹ اجتهادات لغوية.- تمام حسان، (ص: 39).

² اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان (ص: 54).

³ الأصول، تمام حسان (ص: 12).

⁴ اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان (ص: 145).

العربي من الناحية النفسية، وستجعل المطابع الأجنبية أقدر على نشر المعلومات
عنا لأن اصطلاحاتنا ستوضع على صفحاتها المطبوعة بهجائها العربي على نحو
ما تفعل كل لغة أوروبية مع كلمات كل لغة أوروبية أخرى ومصطلحاتها".¹

ويذهب إلى أكثر من هذا إلى أن الذي يهمننا هو اللغة العربية وأن تلك
الرموز لا تؤثر فيها فهي خارجة عنها يقول في هذا " إن الذي نحرص عليه إنما هو
اللغة العربية فتلك رباطنا بالماضي ورباطنا في الحاضر أما شكل خاص من أشكال
الكتابة يستخدم في هذه اللغة فذلك أمر زائد عليها وليس من صلبها وإن النظام
الأبجدي لو أحسن القيام على تنظيمه فسوق يكون ألف مرة خيراً من النظام الحالي
المعيب"².

وإذا نظرنا إلى كتابه "اجتهادات لغوية" الصادر في العام 2007م نجده قد
تراجع عن رأيه السابق كثيراً حيث قال "إذا تأملنا جهود الدول الأوروبية في سبيل نشر
استعمال الحرف اللاتيني في الأوساط الإسلامية أدركنا أن هذه الدول تسعى إلى
تحقيق أمرين:

أ/ توسيع مناطق نفوذها الثقافي.

ب/ توليد الإحساس لدى من استجاب لهم من الأمة الإسلامية بالانتماء الثقافي
لهذه الدول الأجنبية التي تكتب بالحرف اللاتيني ومن ثم إضعاف الانتماء إلى الأمة
الإسلامية"³.

ويتحدث أيضاً عن ضرورة الاهتمام بالخط العربي، وهذا في قوله: " انتماؤها
نحن المسلمين إلى القرآن الكريم أولاً ولا غنى لنا عن حفظه واستظهاره والانتفاع بما

¹ اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان(ص:146).

² المرجع نفسه ، (ص:146).

³ اجتهادات لغوية، تمام حسان(ص:142-143).

يشتمل عليه من تشريعات ومن أسلوب معجز وعن قراءاته للتعبد وكل ذلك يدعو لأن يكون الحرف العربي مألوفاً لدى كل مسلم¹.

ويذهب إلى أكثر من هذا، وذلك في حديثه عن خصائص الكتابة العربية، فيقول في النقطة الثالثة: "كانت عناية الكتابة العربية بالصوامت أكثر من عنايتها بالصوائت، ولكن مع ذلك تعد في مجال استعمال الهجاء والإملاء من أوفى اللغات بمطالب الكتابة بحسب نظام اللغة"².

أما كتابه "الخلاصة النحوية" فقد ألفه ليكون تطبيقاً للتظير الذي ورد في كتابه "اللغة العربية معناه ومبناها" حيث ذكر أن من ضمن النقد الذي وجه إلى هذا الكتاب الأخير "أن النظرية لا تصدق إلا من خلال التطبيق"³ لكن المتتبع لمنهج "حسان" يجده غير ملتزم بما ذكره سابقاً، فهو الذي رفض عبارتي العلة الموجبة والعلة المجوزة وهو الذي ذكر أنه ليس هناك أوغل في باب المعيارية من قولك يجب كذا... وهو الذي استبدلها بعبارتي "مطرود الورد"، و"أقل وروداً" – كما ذكرنا سابقاً – لكن عندما جاء ليطبق منهجه لم يستطع الاستغناء عن كلمتي "واجب" و"جائز"، والمتتبع لكتابه "الخلاصة النحوية" يجدهما قد تكررا كثيراً، ونذكر فيما يلي نماذج لما ذكرنا، نجده مثلاً يقول: "من المعلوم أن حذف أحد ركني الجملة الاسمية قد يجوز وقد يجب"⁴.

الأصل في رتبة المبتدأ والخبر تقديم المبتدأ وتأخير الخبر ولكن هذه الرتبة غير محفوظة، إذ قد تخضع للاعتبارات السياقية والأسلوبية كما قد تخضع لجواز عكسها أو وجوبه وإليك البيان:

¹اجتهادات لغوية، تمام حسان(ص:144).

²المرجع نفسه ، (ص:142).

³الخلاصة النحوية، تمام حسان(ص:8).

⁴المرجع نفسه، (ص:107).

وجوب حفظ الرتبة بتأخير الخبر إذا تطابق المبتدأ والخبر تعريفاً أو تنكيراً نحو
أخي صديقي و ... إلخ.

وجوب عكس الرتبة بتأخير المبتدأ إذا كان ظرفاً أو مجروراً والمبتدأ نكرة
نحو: عندي أمل و ... إلخ.

أما فيما عدا حالتي الوجوب هاتين فيجوز التقديم والتأخير.¹

لا شك أن تمام حسان كان هدفه تطوير اللغة وتجديدها وتيسيرها وأن هذا
التناقض الذي ظهر في بعض الأفكار التي عالجهما قد يكون - كما ذكر - سببه أن
بعض أفكار الأقدمين لم تكن واضحة في ذهنه على نحو ما هي الآن فهو الذي قال
في كتابه " الأصول " إنني حين شرحت بعض أفكار البحث الحاضر في محاضرة
بكلية دار العلوم في صيف 1977م لم أخف إعجابي بأصالة التفكير لدى نحائنا
القدماء ولم أحجم عن وصف بنائهم النظري الذي جردوه تجريداً من المسموع بأنه
صرح شامخ وجهد عقلي من الطراز الأول ومن الواضح أن المرء قد يعجب بفكرة ما
لما يبدو فيها من أصالة وتماسك بين أجزائها، وعلاقات عضوية داخلية بين
عناصرها، ولكن ذلك لا يمنعه أن يلتزم فكرة أخرى تمتاز عليها من جهة البساطة أو
سهولة التطبيق أو قدرتها على تفسير ما لم تفسره الفكرة الأولى من الظواهر"²،

فهو قد أثنى على النحاة كثيراً خاصة في مؤلفاته الأخيرة على الرغم من أنه
انتقد منهم كثيراً فقد أحس مؤخراً بقيمة ما قدمه القدماء من جهود عظيمة، فالنحو
القديم كما قال محمد حماسة عبد اللطيف " سوف تبقى الحاجة إليه ما بقيت الحاجة إلى
الفصحى؛ لأن تراث النحو نفسه ارتبط بالفصحى وارتبطت به، وقد ظل هذا النحو
منذ ما يقرب من أربعة عشر قرناً من الزمان سبيلاً نهجت إلى تفسير تراكيبيها،

¹الخلاصة النحوية، تمام حسان(ص:109).

²الأصول ، تمام حسان(ص:9).

وتحليلها وسيلة طيبة لغير المجيدين لها أن يتقنوها ويبدعوا فيها، ولم نعرف أنه قصر في تحقيق الغاية التي من أجلها وجد ولنيلها طلب"¹.

وذكرنا أن "حسان" انتقد منهج النحاة كثيراً، وفي مقدمة الأشياء التي انتقدهم فيها أخذهم اللغة من قبائل متعددة، والمعلوم أن هذه القبائل كانت تتكلم الفصحى بلهجة خاصة بها، تختلف في النطق أو في النحو أو في الصرف أو في المفردات أو في معظمها عن اللهجات الأخرى، فادعاء نحو واحد وصرف واحد ومعجم واحد لهذه اللهجات المختلفة خطأ في المنهج لا شك فيه"².

وقد اقترح في هذا الجانب أنه كان على النحاة أن يختاروا الفصحى على لسان قبيلة واحدة بعينها لتكون موضوع الدراسة عندهم أو كان عليهم أن يقتصروا على الفصحى كما تبدو في القرآن أسمى نص عربي من جميع وجوهه، فإن اعترض معترض بكثرة القراءات فقد كان عليهم أن يختاروا إحداها"³.

يتضح لنا مما سبق أن بمنهج "تمام حسان" كثيراً من التناقض في الإطارين النظري والتطبيقي، ويرجع هذا التناقض إلى محاولته تطبيق المنهج الوصفي على اللغة العربية رابطاً هذه المحاولة بما ورد في تراثنا اللغوي، ويطلق الدارسون على المزج بين التراث والحداثة مصطلح "التوفيق المعرفي"، وهو ما عبر عنه تمام حسان بقوله: "وتشعبت المسالك أمام الشعب... فوجد أمامه طريقاً في الماضي يقوده إلى التراث العربي الخصب، ورأى أنه لو بعث هذا التراث، وأحياءه لكان دافعاً لعزة جديدة لا تقل روعة عن التاريخ العربي نفسه، ووجد أمامه طريقاً في المستقبل، معالمه ما في أيدي الأمم من علوم، ومعارف يمكن أن ترقى به إلى مستوى هذه الأمم ذات العلوم والمعارف، ثم رأى أنه لو سلك الطريق الأول فحسب، لا نقطع به التاريخ عن

¹بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1996م، (ص:7).

²اجتهادات لغوية، تمام حسان (ص:18).

³المرجع نفسه، (ص:20).

الحياة، ولو الثاني فحسب لانقطعت به الحياة عن التاريخ، ففضل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحى إليه بالاعتزاز، ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزة¹. وأخذ بعض الباحثين على تمام حسان مثل هذا التوجه في مشروعه اللساني على اعتبار أن اللساني الذي يأخذ بمبدأ التوفيق المعرفي لم يتمكن في أحسن الأحوال من تحقيقه إلا عن طريق وصف ظواهر لغوية قليلة جداً من العربية، بحيث لا يعتد بالتأليف المنجز في هذا المجال للحكم على هذا التوجه بالورود والنجاح، وسرعة العدول عنه إيذاناً بفشلها لمحقق، لكن تمام حسان -بحسب بعض الدارسين- تخلى عن فكرة التوفيق المعرفي وانقلب تراثياً خالصاً، منذ العام ١٩٨١م تأريخ صدور كتابه "الأصول"، حتى أن كل الدراسات التي ظهرت بعد هذا التاريخ أنجزت في إطار الفكر اللغوي العربي القديم².

وقد تنوعت الكتابات اللسانية العربية بين لسانيات تمهيدية ولسانيات تراثية ولسانيات حديثة، وقد شمل هذا التنوع مجمل المدونة اللسانية العربية، فاللساني العربي قد يزوج بين كتابتين لسانيتين أو أكثر تتباعدان أو تلتقيان في الموضوع والمنهج والغاية، وجاءت كتابات تمام حسان ضمن إطار هذه الخارطة، فكتابه البكر "مناهج البحث في اللغة" يمكن تصنيفه على أنه يندرج في إطار اللسانيات التمهيدية، حاول فيه إدخال الثقافة اللسانية الحديثة إلى الثقافة العربية. أما كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" فيمكن توصيفه بأنه محاولة تسعى إلى تقديم خطاب لساني عربي، سواء تحت مسميات لسانيات التراث أم تحت عنوان اللسانيات العربية، ومن هنا جاء توصيفه بأنه محاولة سعت إلى قراءة التراث بغية استخراج نظرية لغوية دلالية، أساسها المعنى، تقارب النظريات اللسانية الدلالية الغربية، التي زحزحت الاتجاهات الشكلية في دراسة اللغة عن مكانتها الأولى، وكان لهذه الدراسة أثرها البليغ في الدرس اللغوي العربي الحديث، لما اتسمت به من نزعة شمولية تسعى لاحتواء أنظمة العربية، عبر مقارنة تصل بين التراث والاتجاهات اللسانية الحديثة، منطلقاً من تصور رئيس مفاده: أن الدراسات اللغوية العربية كانت معنيةً بالمبنى أكثر من

¹مناهج البحث في اللغة، تمام حسان(ص:3-4).

²تمام حسان في معيار النقد اللساني، خالد خليل هادي(ص: 252-253).

عنايتها بالمعنى، وأن دراسة المعنى كانت لاحقة للنحو العربي، مع النقد الذي وجهه عبدالقاهر الجرجاني للنحاة العرب، الذين أهملوا المعنى، وحصروا عنايتهم به بفكرة أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، فعبد القاهر يرى أن مدار الأمر كله هو توخي معاني النحو، لذلك جعل تمام حسان مشروعه في هذا الكتاب امتداداً لمشروع الجرجاني، غير أن اهتمام تمام حسان بالمعنى تجاوز الحد المعتدل، وقد جاء هذا الاهتمام على حساب دراسة التركيب، فمن يمعن النظر في أنموذجه لا يجد عناء كبيراً فيعدم الاهتمام بالجملة العربية، مع أن الدارسين جميعاً متفقون على أن الجملة هي الباب الذي يلج منه المحدثون في دراسة النحو العربي، لقد عول تمام حسان في تشكيل "مفهوم المعنى" على نظرية السياق كما وردت عند فيرث، واهتمامه الشديد بالمعنى هو الذي جعل كتابه خاليًا من معلوماتٍ وافيةٍ عن التركيب، فخلا الفصل الذي عقده للنحو من كل إشارةٍ إلى مفهوم البساطةِ والتركيبِ في الجملة وصار أقرب إلى المفهوم التقليدي للنحو منه إلى المفهوم اللساني الحديث¹.

هذه هي السيرة الذاتية والمسيرة العلمية لتمام حسان، ولا بد أن يكون هناك جزء غير يسير لم نتمكن من الإلمام به، وهذا من سنن البحث، لكن السطور السابقة توضح مكانة هذا العالم الجليل، الذي كان له وجود فاعل، وبصمات واضحة، وتأثيرات بالغة في الساحة اللغوية، وفي الساحات الفكرية والعلمية والثقافية.

¹ تمام حسان في معيار النقد اللساني، خالد خليل هادي(ص: 255-256).

الفصل الثالث

الدلالة

مفهومها وأنواعها وتطورها وظواهرها ونظرياتها

استطاع علم الدلالة، أو علم المعنى أن يشق طريقة في التطور من أفكاره الأولى، التي حددت له على أساس تاريخي لا وصفي، والواقع أن علم الدلالة التاريخي يدرس تغير المعنى من عصر إلى عصر، وأن علم الدلالة الوصفي يدرس المعنى في مرحلة معينة من مراحل تاريخ اللغة، وسنتحدث عن هذا العلم بشيء من التفصيل فيما يلي:

3-1-1- مفهوم الدلالة:

3-1-1-1- الدلالة لغة: (الدَّالَّة) الإِرْشَادُ وَمَا يَقْتَضِيهِ اللَّفْظُ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ (ج) دَلَائِلٌ ودلالات¹، والدَّالِيلُ ما يُسْتَدَلُّ بِهِ والدَّالِيلُ الدَّالُّ وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلَالَةً ودلالة ودُلولة والفتح أعلى²، دَلَّ الشَّخْصَ إِلَى الشَّيْءِ/ دَلَّ الشَّخْصَ عَلَى الشَّيْءِ: أرشده وهدهاه إليه، قاده، عيَّن له المكان³، دَلَالَةً، ما يُفْهَمُ مِنَ اللَّفْظِ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ⁴.

3-1-2- الدلالة اصطلاحاً: عرف علماء اللغة القدامى والمحدثون الدلالة، ونورد بعض تعريفاتهم فيما يلي:

¹ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار)، دار الدعوة (ص: 294).

² لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف: القاهرة، (ص: 1414).

³ معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة: ط1 1429 هـ - 2008 م)، (ص: 762).

⁴ المرجع السابق، (ص: 764).

عرفها ابن فارس بقوله: "دلالة الكلام إحضار المعنى النفسي من غير شهادة له بالصحة"¹. ويعرفها الراغب الأصفهاني بقوله: "الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحسابات، وسواء ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي قال تعالى: "مَادَّلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ"²3. أما "المحدثون فقد أجمعوا على أن الدلالة هي دراسة علم المعنى"⁴.

فعلم الدلالة هو "العلم المختص بدراسة معاني الألفاظ والعبارات والتراكيب اللغوية في سياقاتها المختلفة"⁵.

3-2- أنواع الدلالة:

نتناول أنواع الدلالة عند اللغويين القدماء، وأنواع الدلالة عند اللغويين المحدثين، ثم أنواع الدلالة الأخرى بين القدماء والمحدثين، وذلك فيما يلي:

3-2-1- أنواع الدلالة عند اللغويين القدماء:

قسم اللغويين القدماء الدلالة إلى قسمين: لفظية وغير لفظية.

3-2-1-1- الدلالة اللفظية:

الدلالة اللفظية هي "الدلالة العامة التي يكون جزؤها كلا من الدلالة الطبيعية والدلالة الوضعية والدلالة العقلية، ويكون فيها الدال لفظاً"⁶.

ويندرج تحتها ثلاثة أقسام:

أ_ الدلالة العقلية:

¹ علم الدلالة دراسة وتطبيقاً، نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1995م، (ص:24).

² سورة سبأ، الآية: 14.

³ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412هـ، (ص:316-317).

⁴ مصطلحات الدلالة العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، جاسم محمد عبد العبود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2007م، (ص:46).

⁵ اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر (ص: 764).

⁶ مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبد العبود (ص: 93).

وهي 'كدلالة اللفظ المسموع من وراء الجدار على وجود اللافظ، لأن اللفظ عرض لأبد له عقلاً من جرم يقوم به وهو المتلفظ به"¹.

ب_ الدلالة الطبيعية:

الدلالة الطبيعية هي "دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه. والمراد من العلاقة الطبيعية إحداث طبيعة من الطبائع سواء كانت طبيعة اللافظ أو طبيعة المعنى أو طبيعة غيرها عروض الدال عند عروض المدلول كدلالة أح على السعال وأصوات البهائم عند دعاء بعضها بعضاً، وصوت استغاثة العصفور عند القبض عليه، فإنّ الطبيعة تتبع بإحداث تلك الدوال عند عروض تلك المعاني، فالرابطة بين الدال والمدلول هاهنا هو الطبع"².

الدلالة الطبيعية اللفظية هي "ما يكون بحسب مقتضى الطبع. أراد به طبع اللافظ فإنّه يقتضي تلفظه بذلك اللفظ عند عروض المعنى له. ويحتمل أن يراد به طبع معنى اللفظ لأنّه يقتضي التلفظ به. وأن يراد به طبع السامع فإنّ طبعه يتأدّى إلى فهم ذلك المعنى عند سماع اللفظ لا لأجل العلم بالوضع"³.

ج_ الدلالة الوضعية:

الدلالة الوضعية هي "جعل شيء بإزاء شيء آخر بحيث إذا فهم الأول فهم الثاني"⁴.

وتقسم الدلالة اللفظية الوضعية إلى:

_ دلالة المطابقة:

دلالة المطابقة عبارة عن "دلالة اللفظ على ما وضع له كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق ونحوه"⁵.

¹ المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، نشر: دار ابن حزم الطبعة: الأولى، (1422هـ - 2002م) الجزء: السابع (ص:9).

² موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت الطبعة الأولى: 1996م، (ص:788).

³ المرجع نفسه، (ص:788).

⁴ مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبد العبود، (ص:95).

⁵ المرجع نفسه، (ص:96).

_ دلالة التضمن:

دلالة التضمن عبارة عن "دلالة اللفظ على جزءه وموضوعه كدلالة الإنسان على الحيوان وحده أو على الناطق وحده"¹.

_ دلالة الالتزام:

دلالة الالتزام عبارة عن "دلالة اللفظ على ما هو خارج عن معناه بواسطة انتقال الذهن من مدلول اللفظ إلى الأمر الخارج، كدلالة لفظ الإنسان على الكاتب أو الضاحك أو نحوها"².

3-2-1-2- الدلالة غير لفظية:

ويندرج تحتها ثلاثة أقسام:

أ_ الدلالة العقلية:

الدلالة العقلية هي "دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه، والمراد بالعلاقة الذاتية استلزام تحقق الدال في نفس الأمر تحقق المدلول فيها مطلقا سواء كان استلزام المعلول للعلة كاستلزام الدخان للنار أو العكس كاستلزام النار للحرارة أو استلزام أحد المعلولين للآخر كاستلزام الدخان الحرارة، فإنّ كليهما معلولان للنار"³.

ب_ الدلالة الطبيعية:

الدلالة الطبيعية هي "ما إذا كانت الملازمة بين شيئين ملازمة طبيعية يقتضيها طبع الإنسان"⁴، "كدلالة صفرة الوجه على الوجل أي الخوف أو دلالة حمرة على الخجل أي : الحياء فإن من طبع الشخص أن تحدث له صفرة في وجهه عند الوجل ، وحمرة في وجهه عند الخجل"⁵

¹ مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبد العبود، (ص: 96).

² المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

³ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي (ص: 788).

⁴ المجلى في شرح القواعد المثلى، محمد صالح العثيمين، (ص: 10).

⁵ المرجع نفسه، (ص: 9).

ج- الدلالة الوضعية:

الدلالة الوضعية هي التي تكون الملازمة فيها بين شيئين تنشأ من التواضع والاصطلاح على أن وجود أحدهما يكون دليلاً على وجود الثاني، كدلالة المفهمات الأربعة وهي : الخط والإشارة والعقد والنصب ، وتسمى هذه بالدوال الأربعة¹:
الخط هو : النقوش الموضوعية لألفاظ مخصوصة بواسطة القلم
والعقد هو : عقد الأصابع لبيان قدر العدد فهو يدل على قدر العدد وضعاً وليس باللفظ.

والإشارة : تدل على المعنى المشار إليه وضعاً وليست لفظاً .
مثاله : إشارة الرأس على نعم وهو الإجابة ، أو على معنى لا وهو عدم الإجابة.

والنصب هو نصب الحدود بين الأملاك ، ونصب أعلام الطريق.

3-2-2-أنواع الدلالة عند اللغويين المحدثين:

هذه الأنواع ذات تسميات حديثة لكنها مستمدة من علم الدلالة العربي القديم الذي قدم للمحدثين موضوعات سموها بهذه التسميات، وهي:

3-2-2-1- الدلالة الصوتية:

وهي تعني طريقة نطق الكلمة، حيث يمكن للمعنى أن يتغير باختلاف نبرة صوت الكلمة، فهي "تتحقق في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسية والتي يرمز لها بالحروف الأبجدية: أ، ب، ت، ... ويشكل منها مجموع حروف الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي"².
وتتحقق كذلك من "مجموع كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي ومظاهر هذا الأداء، وتسمى بالعناصر الصوتية الثانوية، وتعد هذه العناصر أكثر إسهاماً في الدلالة من العناصر الصوتية التي تصاحب الكلمة المفردة"³.

¹المجلى في شرح القواعد المثلى، محمد صالح العثيمين ، (ص:8).

² التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات: القاهرة، الطبعة الثانية(2011م)، (ص:17).

³المرجع نفسه، (ص:18).

ويطلق العلماء على الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة "الصوت المقطعي الأولي أو الصوت التركيبي، وهو أصغر وحدة صوتية، ويضمنون هذا القسم قسماً آخر سموه بالصوت فوق التركيبي، وهو ما يطلق عليه الصوت الثانوي، وهو ملامح صوتية غير تركيبية مصاحبة تمتد عبر أطوال متنوعة في الأداء الصوتي، وتشارك في تنوع معاني الكلام مثلما تشارك فيه الأصوات التركيبية، وليست بصوت رئيس بل صوت ثانوي يصاحب الصوت الرئيس، وتسمى العناصر الصوتية فوق التركيبية كذلك بالمصاحبات اللغوية، أو السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي، وهي ما يعرف بين اللغويين بالسلوك اللغوي الذي يتمثل في دراسة بنية اللغة الصوتية، وما يصاحبها من عناصر صوتية تشارك في الدلالة وتؤثر في المستمع"¹.

ويتحدث الدكتور محمود عكاشة عن المصاحبات اللغوية أو السمات شبه اللغوية، ويقسمها إلى ثلاثة أنواع²:

النوع الأول_ السمات التحبيرية الصوتية، ويعرف كذلك بالتطريز الصوتي، وهي التي تصاحب الكلام أو الخطاب المنطوق، وتتمثل في: النبر، والتنغيم، والوقفات أو السكتات الكلامية أو الفواصل، ومعدل الأداء الكلامي، ودرجة الصوت وصفته وقوته.

النوع الثاني_ الأصوات غير الكلامية، أو الفضلات الصوتية، مثل: الضحك، والبكاء، والصراخ، والتأوه، والنحنة، والسعال والغمغمة، وغير ذلك من الأصوات التي تصاحب الأداء الكلامي في الخطاب المنطوق وتشارك في الدلالة أو يفهم المستمع منها معنى.

النوع الثالث_ الأصوات غير الإنسانية، مثل أصوات الحيوانات، ومظاهر الطبيعة، مثل صوت الرياح وأصوات الكهوف، وحفيف الهواء بالأشجار وغير ذلك، بالإضافة إلى الأصوات الصناعية، مثل الآلات والأجراس والأبواق التي تستخدم للدلالة على معان معينة.

¹ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، محمود عكاشة (ص:18-19).

² المرجع نفسه، (ص: 19-20).

وتقوم دراستنا على النوع الأول الذي يرتبط مباشرة باللغة، وهو العناصر الصوتية التي تشارك في الدلالة.

ونعرض فيما يأتي أهم العناصر الصوتية المشاركة في الدلالة، وتنقسم إلى نوعين، نوع يرتبط بدلالة الكلمة، ونوع يرتبط بدلالة الجملة:
النوع الأول:

_ الصوت أو الفونيم.

_ الحركات أو علامات الشكل (الضبط).

_ المقطع.

_ النبر.

وهذه العناصر تقع في نطاق الكلمة، وترتبط بها عدا النبر فإنه يرتبط بالكلمة ويقع في الجملة أيضاً.

النوع الثاني:

_ التنغيم أو نمط التنغيم.

_ الوقفة أو الفاصل.

_ طبقة الصوت.

_ حركات الإعراب.

وهذه العناصر ترتبط بالجملة وأدائها الصوتي، وترتبط بالسياق المقالي والحالي.

أ- الصوت (الفونيم):

أصغر وحدة صوتية تستعمل في بناء الكلام، وتؤثر فيه، بحيث لا يمكن استبدالها بفونيم آخر دون تغير في المعنى، فهو عبارة عن "وحدة صوتية صغرى يمكن تجزئها لسلسلة التعبير إليها، مثل الضاد، والراء، والباء، في "ضرب" والتي تمثل الأصوات الرئيسية، والأصوات لبن الكلمات، وهي أسرة من الأصوات في لغة معينة متشابهة الخصائص، ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في

كلمة في السياق الصوتي نفسه الذي يقع فيه الآخر، ويرمز إلى كل صوت منها بحرف من حروف الهجاء في الخط أو الكتابة¹.

ويمكن أن يعرف (أيضاً) على أنه "مجموعة أو تنوع أو ضرب يضم أصواتاً وثيقة الصلة، ينظر إليها المتكلمون على أنها تمثل وحدة واحدة، بغض النظر عن تنوعاتها الموضوعية"².

والصوت يؤثر في دلالة الكلمة، ومثال ذلك الأصوات الأوائل في: ناب، تاب، عاب، غاب، شاب، إن اختلاف الصوت في هذه الكلمات المتشابهة في بناء المقاطع أدى إلى اختلاف الدلالة³.

"ولقد توصل علماء العربية إلى أثر الحرف في دلالة الكلمة لما يؤديه من فروق في الدلالة بين الكلمات "وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حروف الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين كتقارب ما بين المعنيين، كقولهم للأكل بأطراف الأسنان قضم، وبالفم خضم، قال أبو ذر الغفاري: تخضمون ونقضم والموعد الله، وقال عبد الله بن الزبير: يكفيننا من خضمكم القضم"⁴.

ويؤدي اختلاف موقع الصوت في الكلمة إلى اختلاف دلالتها، ومثال ذلك ما أجراه ابن جني من تقليبات صوتية لجذر واحد أو لمجموعة أصوات واحدة فاستخرج منها مجموعة كلمات نوات معاني واستبعد المهمل ومن هذه الأمثلة "ملك" يمكن أن يبني من تقليب أصواتها: ملك، كمل، كلم، ولا شك أن لكل منها دلالة خاصة رغم اتفاقها في الأصوات، ولكن اختلفت دلالتها نتيجة ترتيب هذه الأصوات في الكلمات الثلاث، فوظيفة الصوت الهجائي في الدلالة دفع التباس الصوت بغيره أو التمييز بين الألفاظ⁵.

¹ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة (ص: 30)

² أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر، نشر: عالم الكتب، الطبعة الثامنة (1419هـ-1998م)، (ص: 49).

³ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، (ص: 30)

⁴ المرجع نفسه، (ص: 30-31).

⁵ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة (ص: 31-32).

وتوجد في اللغة أصوات قوية في السمع وأصوات ضعيفة، فالأصوات القوية هي التي يقع خلال نطقها انفجار هوائي، مثل: الدال، والطاء، والضاد، والباء، فمجيء مثل هذه الأصوات في كلمة يوقع دويماً صوتياً عالياً يعزز من دلالتها¹.
نخلص من هذا إلى أن أصغر وحدة صوتية تؤدي إلى تغاير الكلمات تسمى عند علماء اللغة "فونيم"، "وقد يكون الفونيم صوتاً أساسياً في الكلمة، نحو: جَاسَ وحَاسَ، وصلَّ وصلَّ، وشَعَفَ وشَعَفَ، فالفرق بين (جاس وحاس) فونيم الجيم، وفونيم الحاء. ومثل ذلك: الصاد والضاد في (صل وصل)، والغين والعين في (شغف وشعف)، وهذا التغاير تَعَمَّدُ إليه اللغة لتمييز بين الألفاظ؛ لأن الأصل أن يكون لكل لفظ مختلف معنى مختلف، كما هو الحال في (صل وصل) و (شغف وشعف)، إلا أنه مع هذا الاختلاف قد يحدث الترادف بين الكلمتين أحياناً كما في (جاس وحاس)، وليس هناك من شك في أن المعجم قد استفاد من هذا التمايز حيث جعل أساس ترتيب مواده قائماً على تمايز أصوات الكلمات"².

ب- دلالة الحركة:

الحركة سواء أكانت مصاحبة لأصوات الكلمة، أو تقع على أواخر الكلم تعد "جزءاً من الوحدات الصوتية التي تشارك في الدلالة، والحركة التي تصاحب أصوات الكلمة تسمى حركة البناء أو الشكل ويصبح الكلام بها مشكولاً، والحركة التي تقع في آخر الكلمة تسمى حركة الإعراب، وهي الحركة التي تبين وظيفة الكلمة في التركيب وموقعها فيه"³، وفيما يلي تعريف لكل منهما:

أولاً- حركة البناء أو الشكل:

حركة البناء أو الشكل هي "علامة تستعمل أعلى الحرف أو أسفله في الكتابة لتبين صفة النطق في الأداء، والحركة تؤدي دوراً مميزاً في دلالة الكلمة، فهي التي تميز بين الفعل والاسم في مثل: "ضرب" فهي بالفتح فعل وبسكون الزاء اسم أو

¹ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، (ص:33).

² أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية (تاج العروس نموذجاً)، عبد الرازق بن حمودة القادوسي، رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم- قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة حلوان، عام النشر: (1431هـ - 2010م)، (ص:274).

³ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة (ص:34).

مصدر وتحدد زمن الفعل في مثل: ضَرَبَ، يَضْرِبُ، سيضربُ، كما أنها تكشف عن الفاعل الحقيقي ونائبه في مثل: ضَرَبَ، وُضِرَ،...¹، كذلك "يؤدي التغيير في حركة البناء الصرفي إلى تغيير في المعاني، في نحو اسمي الفاعل والمفعول من غير الثلاثي، حيث إن الفرق بينهما فتح أو كسر ما قبل الآخر"²، ومثال ذلك: مترجم، ومترجم، فالكسرة في الكلمة الأولى تعطي معنى الفاعلية، وفي الثانية تعطي معنى المفعولية.

ثانياً_ علامات الإعراب:

علامات الإعراب هي "العلامات التي تقع على أواخر الكلم بما يقتضيه موقعها من المعنى والتركيب وتظهر في صور أصوات تصاحب الحرف الأخير من الكلمة المعربة في الجملة"³.

وليست العلامة الإعرابية إلا رمزاً لوظيفة اللفظ في التركيب، وعلاقته بما جاوره من ألفاظ لتحقيق معنى معين ينشده صاحب التركيب وليست هذه الرموز الإعرابية جزءاً من المعنى، ولكنها توضح وظيفة اللفظ في التركيب، فالحركة تدل على الفاعل والمفعول في مثل: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"⁴، فالمعنى العلماء يخشون الله، فلو غابت الحركة لتوهم السامع أو القارئ أن "الله" تعالى هو الفاعل، لأنه المقدم فيفسد المعنى⁵.

ولهذا "وجب تقديم الفاعل على المفعول في الجمل التي تقدر فيها حركات الإعراب أو لا تظهر فيها، مثل: "ضرب موسى عيسى" وضعت هذه الجملة في ترتيبها المألوف (فاعل، مفعول)، فالترتيب في مثل هذه الجمل يقوم مقام الإعراب؛ أي يحدد وظيفة كل لفظ في التركيب"⁶.

¹ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، (ص:34).

² أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، (ص:186).

³ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، (ص:35-36).

⁴ سورة فاطر، (الآية:28).

⁵ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة (ص:36).

⁶ المرجع نفسه، (ص:39).

وقد تقوم القرينة المعنوية بتحديد أركان الجملة في بعض الجمل، وذلك من خلال دلالة أخرى من قبل المعنى، فلا يلزم الترتيب مثل: "أكل يحيى كمثرى"، و"وقرت الصغرى الكبرى"، لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت، لأن فعل الأكل لا يأتي إلا من "يحيى"، والتوقير من الصغير للكبير¹.

ج- المقطع:

المقطع عبارة عن "وحدة صوتية مركبة من بداية لها قوة إسماع ونهاية تفصله عما بعده، ويتكون من صوت صامت متحرك، وصائت مفتوح أو مغلق، وطويل أو قصير"². أو هو: "هو كمية من الأصوات، تحتوي على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها، من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة، ففي العربية الفصحى مثلا، لا يجوز الابتداء بحركة، ولذلك يبدأ كل مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامته، فالمقطع على هذا عبارة عن "قمة إسماع، غالبا ما تكون حركة، مضافا إليها أصوات أخرى عادة -ولكن ليس حتما- تسبق القمة أو تلحقها"³. وفي العربية الفصحى، خمسة مقاطع هي⁴:

- 1- مقطع قصير مفتوح = صامت + حركة قصيرة، ففي كلمة مثل: "كتب" مقاطع ثلاثة قصيرة: "ك+ت+ب".
- 2- مقطع طويل مفتوح = صامت + حركة طويلة، مثل كلمة: "في".
- 3- مقطع طويل مغلق بحركة قصيرة = صامت + حركة قصيرة + صامت، مثل كلمة: "من" و"عن".
- 4- مقطع طويل مغلق بحركة طويلة = صامت + حركة طويلة + صامت، مثل كلمة: "باب".
- 5- مقطع زائد في الطول = صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت، مثل كلمة: "بنت".

¹التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، (ص:39)

²المرجع نفسه، (ص:41).

³المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثالثة (1417هـ - 1997م)، (ص:101).

⁴المرجع نفسه، (ص:101-102).

ويؤدي اختلاف المقطع إلى دلالات متعددة مثل: "... المقطع الطويل في "قاتل"، "عامل"، للدلالة على اسم الفاعل، "ومقتول"، "مخمور"، للدلالة على اسم المفعول، و"سميع"، "عليم"، للدلالة على الصفة، ويدل التسكين والتحريك على نوع المشتق مثل، ضَرَبَ، وضُرِبَ، ويدل تشديد المقطع (تضعيفه) أو تخفيفه أو فكاه على اختلاف الدلالة، مثل: "عَبَّرَ" و"عَبَّرَ"، الأول يعني الحديث عن الذات، والثاني يعني الاجتياز والمرور"¹.

د- النبر:

والنبر معناه "أن مقطعاً من بين مقاطع متتابعة يعطي مزيداً من الضغط أو العلو (نبر علوي)، أو يعطي زيادة أو نقص في نسبة التردد (نبر يقوم على درجة الصوت)"²، أو هو عبارة عن "القوة أو الجهد النسبي الممنوح لنطق مقطع معين، ليسمع أوضح من باقي المقاطع، أو هو وضوح نسبي للصوت أو المقطع إذا قورن بغيره من الأصوات المجاورة"³.

والنبر يرتبط بمقاطع الكلمة سواء كانت مستقلة أو في تركيب، وتفرع إلى نوعين: نبر صرفي، ونبر تركيبى.

أولاً- النبر الصرفي:

يعرف النبر الصرفي بـ "نبر الصيغة لتعلق النبر بها، فالنبر من اختصاص الميزان الصرفي أو البناء ولا يختص بالمثال، ومثال ذلك بناء فاعل بنبر المقطع الأول منه وهو "فا" ص ح ح، لإظهار بناء الصيغة...، ومفعول يقع النبر على العين في مثل: مقتول، مضروب، لإظهار صيغة المفعول"⁴.

¹ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة (ص: 42-43).

² أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر (ص: 93).

³ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة (ص: 43).

⁴ المرجع نفسه، (ص: 43).

ثانياً_ النبر التركيبي:

يعرف النبر التركيبي بـ "النبر السياقي أو ارتكاز الجملة، وهو الذي يقع في الجمل وليس على الكلمات... ويتمثل في عنايتنا بنطق لفظ فيها أو حرف وإبراز دوره في الجملة بإعطائه مزيداً من قوة الصوت في الأداء، ليؤدي دوراً وظيفياً في التركيب يؤثر في دلالاته، ويساهم في دلالة التركيب، ومن أمثله:

التفرق بين معنى ونقيضه، مثل:

- هذا ما قلته. (الجملة منفية)

- هذا ما قلته. (الجملة مثبتة)

وقع النبر على "ما" في الجملة الأولى، فأبرز دلالاتها في التركيب فأعطت معنى النفي، ووقع نبر الجملة في الجملة الثانية على "قلته" فدل على أن "ما" أسم موصول بمعنى الذي، فأصبح معنى التركيب (هذا الذي قلته) وقد شارك السياق الأدائي في تحقيق الدالتين¹.

هـ- التنعيم:

التنعيم عبارة عن "تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين"²، أو هو "تغييرات موسيقية تتناوب الصوت من صعود إلى هبوط، أو انخفاض إلى ارتفاع، تحصل في كلامنا وأحاديثنا لغاية وهدف، وذلك حسب المشاعر والأحاسيس التي تتابنا من رضا أو غضب، ويأس أو أمل، وتأثر ولا مبالاة وإعجاب أو استفهام، وشك أو يقين، ونفي أو الثبات، فنستعين بهذا التغيير النغمي الذي يقوم بدور كبير في التقريب بين الجمل، فنغمة الاستفهام تختلف عن نغمة الإخبار، ونغمة النفي تختلف عن نغمة الإثبات، وهكذا، وهذه الدلالات تتحقق من مشاركة النبر التنعيم في الإيقاع في عملية الأداء الصوتي"³.

ويحقق التنعيم دلالة سياقية تعتمد على العالم الخارجي، مثل كلمة "نعم"، فدلالاتها تتحقق في الخطاب المنطوق من خلال الأداء، فهي تعطي دلالة الموافقة

¹ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة(ص:46-47).

²أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر (ص:93).

³ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محود عكاشة(ص:49-50).

في المستوى العادي للأداء في مثل أنت مسلم؟ "نعم"، كما أنها تعطي دلالة التحكم والسخرية أو الاستنكار في مثل: أريد حافظة نقودك! نعم!¹.

والتنغيم مثل النبر يقع في الخطاب المنطوق، ويقابله في الخطاب المكتوب علامات الترقيم مثل الفواصل (الوقفات) التي وضعها العلماء بين الكلمات لمعرفة دلالات الجمل غير أن التنغيم أوضع من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة².

و- المفصل:

المفصل عبارة عن "نقطة الاتصال أو عدم الاتصال"³, أو هو "عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية آخر، أو الفواصل التي تفرق بين حدود أصوات اللغة وكلماتها ويدخلها فيها كذلك وقفات المعاني أو الوقفة التي تؤدي معنى كالتأكيد، والإعراض، والغضب، والموافقة"⁴.

ويتبين أثر الوقفات الداخلية في الدلالة من خلال قول الشاعر⁵:

إذا ملك لم يكن ذا+هبة فدعه فدولته ذاهبة

فدو هبة بمعنى صاحب هبة، والثانية من الفعل ذهب، فوقع بينهما جناس لتشابه الأصوات ولكن الفصل بين "ذي" و "هبة" فرق بين الأولى والثانية.

وتشارك العناصر الصوتية الأخرى الوقفات في تحديد الدلالة، فالوقفات وحدها قد لا تكفي لإظهار المعنى، ومثال ذلك⁶:

-أمات: كلمة واحدة فعل ماضي.

-أمات: همزة الاستفهام+مات، كلمتان.

¹ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة (ص:51).

² المرجع نفسه، (ص:52).

³ أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر (ص:93).

⁴ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة (ص:52-53).

⁵ المرجع نفسه، (ص:54).

⁶ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة (ص:54-55).

وهما يتشابهان في الكتابة، وينطقان دون وقفة بين الهمزة ومات، ولكن التنغيم في الأداء الصوتي هو الذي أعطى الثانية معنى الاستفهام.

وترجع أهمية الوقفة في اللغة العربية إلى "أن السامع قد لا يفهم المراد من الكلام إذا لم يراعي المتكلم الوقوف على نهاية الكلمات لبيان المراد مثلما يقف المتكلم عنه رؤوس المعاني لتأكيدا وإظهارها للسامع، ومثال ذلك قول الشاعر:

عضنا الدهر بنا به ليت ما حل بنا به

إن دلالة هذا البيت لا تتضح للسامع إن لم يفصل المتكلم بين "بنا" و"به" في الشطر الثاني، فيقول بنا+به، وإلا التبس الأخير ب"نابه" في الشطر الأول¹.

ز - طبقة الصوت:

طبقة الصوت هي "مستوى الصوت في الأداء من حيث الحدة والغلظة، للدلالة على أمر نسبي يتطلبه المعنى المراد. وتشارك طبقة الصوت في الدلالة من خلال ارتباطها بمشاعر المتكلم وقصده من الخطاب وسياق الحال"².

وهناك أربعة مستويات لطبقة الصوت يمكن ملاحظتها في الأداء الصوتي، هي: "المستوى المنخفض، المستوى المتوسط، المستوى العالي، والمستوى الأعلى، والمتكلم قد لا يتبع مستوى واحد في الخطاب بل قد يجمع بين بعضها، فيحدث نوعاً من التذبذب في مستوى الصوت أو توليناً صوتياً يؤثر في المتلقي ويثيره، فالتنوع الصوتي يثير المشاعر كما أنه يجذب المتلقي إلى المتكلم، ويحافظ على عملية التواصل واستمرارها لفترات طويلة، كما أن تنوع الصوت يشير إلى تنوع المعنى واختلافه، فاستمرار طبقة الصوت على درجة واحدة تسأمه النفس وتمل النمط المؤلف"³.

3-2-2-2- الدلالة الصرفية:

علم الصرف هو "العلم الذي تعرف به الأبنية المختلفة للكلام، وما يشتق منه، كأبواب الفعل، وتصريفه، وتصريف الاسم، وأصل البناء (الفعل أو المصدر)،

¹ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة (ص:55).

² المرجع نفسه، (ص:57-58).

³ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، (ص:58-59).

والمصادر بأنواعها، والمشتقات (اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، أفعل التفضيل، اسم الزمان، اسم المكان، اسم الآلة)، والتصغير، والنسب¹.
والدلالة الصرفية تابعة من علم الصرف من خلال أبنية الكلمات وصيغها "فهي التي تستمد عن طريق الصيغ وأبنيتها، وتغيير تلك الأبنية يعني تغيير في دلالاتها، والبحث في الاشتقاق والتصريف، والأبنية وتغيرها بتغيير المعنى، وهو المسمى بعلم الأبنية"².

وتهتم الدلالة الصرفية بتغيير الصيغة أو الوزن، "فكلمة (كذاب) تزيد في دلالتها عن كلمة (كاذب)، فالصيغة الأولى على وزن (فعال) أقوى دلالة من (كاذب) على وزن (فاعل)، والصيغة الأولى مؤثرة أكثر من الثانية"³.
وتقسم الوحدات الصرفية ذات الدلالة على نوعين⁴:

النوع الأول_ الأوزان الصرفية، مثل: أوزان الأفعال، والمصادر، والمشتقات (اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأسماء الزمان والمكان، واسم الآلة)، وأوزان جمع التكسير والتصغير.

النوع الثاني_ اللواحق، وهي السوابق، واللواحق، والدواخل، وهي التي تدخل في صلب أو أحشاء بنية الكلمة لتحقيق معاني أو تشارك في الدلالة.
3-2-2-3- الدلالة النحوية:

يعرف النحو بأنه: "العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها، أو هو علم يبحث عن أواخر الكلم إعراباً وبناءً، أو هو العلم الذي يختص بقواعد اللغة التركيبية"⁵.
والدلالة النحوية هي الدلالة المَحَصَّلَة من استخدام الألفاظ أو الصور الكلامية في الجملة المكتوبة، أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي، أو هي

¹ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، (ص:61).

² مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبدالعبود (ص:109).

³ المرجع نفسه، (ص:109).

⁴ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، (ص:61-62).

⁵ المرجع نفسه، (ص:114).

"مصطلح يطلق على العلاقة بين الأساليب النحوية ومعناها، ومن تلك المعاني تؤخذ الدلالات التي يقصد بها استخدام أسلوب نحوي معين دون آخر"¹.

ومن أهم المصطلحات التي تخدم الدلالة النحوية:

أ_ الإعراب:

الإعراب هو "الإبانة عن المعاني بالألفاظ"²، ويقول عنه ابن فارس: "من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من مفعول، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد"³.

ب_ العامل:

العامل هو "ما به يتقوم المعنى المقتضي للإعراب، وهو على نوعين: لفظي، ومعنوي" والعامل يأخذنا إلى الدخول في موضوع العلامة الإعرابية التي يكون أثره واضحاً عليها في التركيب أو في الجملة.

ج_ العلامة الإعرابية:

العلامة الإعرابية هي "الحركة الإعرابية، والسكون (وهو علامة إعرابية تخص الفعل المضارع)، ومن علامات الإعراب الحروف النائية مناب الحركات: الواو والألف والياء في الأسماء الستة النائية عن الضمة والفتحة والكسرة، والواو والياء في الجمع المذكر السالم، والألف والياء في المثني"⁴.

¹ مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبدالعبود (ص:110).

² الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة، (ص:36).

³ الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، نشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى (1418هـ-1997م)، (ص:43).

⁴ مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبدالعبود (ص:112).

د_ الجملة:

الجملة هي "أقصر صورة من الكلام تدل على معنى مستقل بنفسه"¹، وللجملة أنواع كثيرة يطول الحديث عنها، فعلى الرغم من وجود دلالات لكل نوع من أنواعها، إلا أنها تحتاج إلى بحوث مستقلة.

3-2-2-4- الدلالة المعجمية:

الدلالة المعجمية هي تلك التي نصت عليها المعاجم في معنى الكلمة، أو هي "دلالة الكلمة التي استخدمت بها في المجتمع مفردة أو في تركيب، سواء أكان المعنى حقيقياً في أصل الوضع، أو مجازياً منقولاً عن معنى حقيقي، فالمعجم يبحث معنى الكلمة بذكر معناها أو مرادفها أو مضادها أو ما يفسرها، وقد يقدم معلومات عنها كأصل الوضع وتطورها التاريخي ومشتقاتها، وقد يذكر بعض السياقات اللغوية التي توضح دلالتها، وقد يكون موجزاً فيكتفي بذكر المعنى دون شواهد توضحه، وقد يفسر المعنى بنقيضه، أو يبين علة تسميته بهذا الاسم"².

والدلالة المعجمية لا تعني دلالة كلمة مفردة فقط، بل يدخل فيها كل التراكيب التي تشكل وحدة دلالية متماسكة لا تتجزأ، فالمعجم يبحث معنى الكلمة المفردة، والتركيب الاصطلاحي، والمثل، والقوالب اللفظية التي تشكل وحدة معنوية، ويبحث كذلك في المعاني السياقية، ويذكر شواهد توضح المعنى السياقي، ويبحث كذلك المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ويسوق للمعنى المجازي شواهد توضحه، وقد توسع مجال الدراسات المعجمية حديثاً فشمّل كافة فروع المعرفة الإنسانية، وأدخل فيه تقنيات العصر، واستعان بالصور والأشكال التي توضح مراد اللفظ وتكشف غموض دلالته، وتقرب مفهومه للأذهان³.

3-2-3- أنواع الدلالة الأخرى بين القدماء والمحدثين:

هناك أنواع أخرى للدلالة بين القدماء والمحدثين نذكرها فيما يلي:

¹ مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبدالعبود (ص:113).

² التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، أحمد مختار عمر (ص:157).

³ المرجع نفسه، (ص:157).

3-2-3-1- الدلالة المركزية والدلالة الهامشية:

أ- الدلالة المركزية:

الدلالة المركزية هي "الحقيقة، أو الدلالة الحقيقية عند القدماء، وهي ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة"¹.

ب- الدلالة الهامشية:

الدلالة الهامشية هي "أن يفتعل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"².

ويطلق عليها "المعنى الثاني، وهو الأغراض التي يقصدها المتكلم من جعل الكلام مشتقاً على تلك الخصوصيات من الإشارة إلى معهود والتعظيم والحصر ومنع الإنكار والشك، ومحصلها الأغراض التي يورد المتكلم هذه الخصوصيات لأجلها، فإن المعنى الأول في أن زيداً قائم، هو إثبات القيام المؤكد بتأكيد واحد لزيد، ومعناه الثاني هو رد إنكار السامع، وقس عليه"³.

3-2-3-2- الدلالة الإيحائية:

الدلالة الإيحائية يقصد بها "المعنى العاطفي الزائد عن المعنى الإدراكي أو هي المعنى الذي يتعلق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء نظراً لشفافيتها"⁴.

فالدلالة الإدراكية لكلمة "أم" هي الوالدة أو ما يرادفها من المعاني، أما دلالاتها الإيحائية فتختلف باختلاف الأفراد: الحنان، العطف، العناية... الخ، وكذا فإن الدلالة الإدراكية لكلمة "ليل" هي الوقت الممتد من المغرب إلى الفجر، أما دلالاتها الإيحائية فقد تكون: السهر، القلق، الخوف، السكون... الخ.

وتعد الاستعارة جزءاً من المجاز، ولها دلالات إيحائية؛ لأنها تحدث نوعاً من الدهشة والمفاجأة الممتعة، ومما تكن مزايا هذه الأفكار الخاصة بسرور القارئ

¹ الخصائص، ابن جني، ج2، (ص:444).

² مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبدالعبود(ص:121).

³ المرجع السابق نفسه، (ص:121).

⁴ مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبدالعبود، (ص:124).

واستجابته فإنها جميعاً تلقتني عند حد اعتبار الاستعارة زينة، والغرض من الاستعارة هنا لا يخرج على الإمتاع والتسلية، والاستعارة انحراف عن الأسلوب الواضح الدقيق، ويقصد بالأسلوب الواضح الدقيق، الذي يصل في دلالاته إلى المتلقي بدون جهد يذكر، وأما المجاز والاستعارة فقد توحى للمتلقي دلالات إيحائية خاصة بكل واحد منهم حسب ثقافته وحالته النفسية¹.

3-2-3-3- الدلالة النفسية:

الدلالة النفسية هي "ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد، فهو بذلك معنى فردي ذاتي، وبالتالي يعتبر معنى مقيدا بالنسبة لمتحدث واحد فقط، ولا يتميز بالعمومية ولا التداول بين الأفراد جميعاً"².

وهذه الدلالة خاصة بالأفراد، ويظهر دورها في استخدام الشعراء والأدباء لدلالات خاصة بهم، تعبر عما يريدون بأسلوب مختلف عن الناس وعن غيرهم من الأدباء³.

3-2-3-4- الدلالة الأسلوبية السياقية:

الدلالة الأسلوبية السياقية هي "ما يفهم من المحيط الاجتماعي للاستعمال، إذ قد تتحول (الأم) على لسان البعض إلى (ماما) أو (أماي) على نحو ما تتحول (زينب) إلى (زوبة)"⁴.

3-2-3-5- الدلالة الانعكاسية:

الدلالة الانعكاسية هي "حيث يكون المسكوت عنه مخالفاً للمذكور في الحكم، إثباتاً ونفيًا، فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به، ويسمى دليل الخطاب، لأن دليله من جنس الخطاب، أو لأن الخطاب دال عليه"⁵.

¹ مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبدالعبود، (ص: 124-125).

² علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص: 39).

³ مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبدالعبود (ص: 125).

⁴ المرجع نفسه، (ص: 126).

⁵ إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس، والدكتور ولي الدين صالح فرفور، نشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى (1419هـ - 1999م)، الجزء الثاني (ص: 38).

3-2-3-6- الدلالة الفلسفية:

الدلالة الفلسفية هي "دراسة المعاني من ناحية فلسفة عامة، ودون الارتباط بلغة ما"¹.

ومن هذا المصطلح والمصطلحات الأخرى توصل الباحثون المحدثون إلى نتيجة، وهي عدم تمكنهم من حد الدلالة وأنواعها؛ لأن دراسة المعنى من التشعب واحتمال المزيد من التشعب بحيث لا يتصور المرء وقوفها عند حد².

3-3- تطور الدلالة

يرتبط التطور الدلالي باللغة، التي هي وسيلة للتواصل وهي مرآة للمجتمع، حيث إن تطور الحياة يؤثر بشكل كبير على تطور اللغة أيضاً. فتطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات، ففي اللغة الإنجليزية (مثلاً)، ظهر هذا التطور عندما جاء شكسبير وأدخل الكثير من المدلولات الجديدة لبعض الألفاظ المستخدمة، وأدخل أيضاً بعض الألفاظ الجديدة. إضافة إلى أن الألفاظ التي استعارتها الإنجليزية من اللغة اللاتينية قد أصبحت ذات دلالات مغايرة لما كانت عليه من لغتها الأصلية.

3-3-1- مفهوم التطور:

3-3-1-1- التطور لغةً:

وردت مادة طور في المعاجم تحمل دلالات ليست بعيدة عن المعنى الاصطلاحي، ومن ذلك: "الطَّورُ: التارة، تقول: طَوَّراً بَعْدَ طَوْرٍ أَي تَارَةً بَعْدَ تَارَةٍ، وَجَمَعَ الطَّوْرَ أَطْوَارًا. وَالنَّاسُ أَطْوَارٌ أَي أَخْيَافٌ عَلَى حَالَاتٍ شَتَّى. وَالطَّوْرُ: الْحَالُ، وَجَمَعُهُ أَطْوَارًا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا"³؛ مَعْنَاهُ ضُرُوبًا وَأَحْوَالًا مُخْتَلِفَةً"⁴، و"تطور) تحول من طور إلى طور، و(التطور) التغيُّر التدريجي الَّذِي يحدث فِي تركيب المُجْتَمَعِ أَوْ الْعِلَاقَاتِ أَوْ النِّظْمِ أَوْ الْقِيمِ السَّائِدَةِ فِيهِ"⁵

¹ مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبدالعبود (ص: 129-130).

² المرجع نفسه، (ص: 130).

³ سورة نوح، (الآية: 14).

⁴ لسان العرب، ابن منظور (ص: 507).

⁵ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (ص: 569-570).

3-3-1-2- التطور اصطلاحاً:

التطور هو "التغيير الذي يحدث في المفردات أو التراكيب، ومتابعة هذا التغيير الذي يؤدي إلى حدوث دلالات جديدة وخلع القديمة، والبحث في أسباب ذلك التغيير ونتائجه ومظاهرة"¹.

3-3-2- أسباب التطور الدلالي:

نذكر في هذا الجانب سببين للتطور الدلالي، السبب الأول هو الاستعمال بعناصره الثلاثة: سوء الفهم، وبلى الألفاظ، والابتدال، والسبب الثاني هو الحاجة، ونفصل ذلك فيما يلي:

3-3-2-1- الاستعمال:

يتبادل الناس الألفاظ في حياتهم الاجتماعية، ويكون هذا التبادل عن طريق الأذهان والتي تختلف بين بيئة وأخرى، وبين أفراد الجيل الواحد نتيجة لاختلاف خبراتهم، مما يؤدي إلى بعض الانحراف في الدلالة، و"استعمال الألفاظ يعني إحياءها وعدم استعمالها يعني موتها، ولا يقف الاستعمال عند الحياة فقط بل يطورها لتوليد دلالات قد تكون جديدة، ومع اشتراك الناس في ناحيتها المركزية تراهم يختلفون في حدودها الهامشية وفي ظلالها"²، وقد حدد الدكتور إبراهيم أنيس للاستعمال ثلاثة عناصر، وهي:

أ- سوء الفهم:

قد يسمع الإنسان اللفظ للمرة الأولى، فيسئ فهمه ويوحي إلى ذهنه دلالة غريبة لا تكاد تمت إلى ما في ذهن المتكلم بأي صلة، ويبقى اللفظ في ذهنه بتلك الدلالة الجديدة، وليس من الشائع أن تتم هذه الظاهرة بين عدد من الأفراد، كلهم يسيئون فهم الدلالة بطريقة واحدة، مما يؤدي إلى التطور الدلالي. وأحياناً يحدث شيئاً أثناء الكلام يؤثر في دلالة اللفظ، على الرغم من أن ذلك الحادث لم يكن مقصوداً أو متعمداً،

¹ مصطلحات التطور الدلالي، جاسم محمد عبدالعبود (ص:176).

² المرجع نفسه، (ص:179).

مما يؤدي إلى ظهور دلالة جديدة. وليس من الضروري أن تنتشر الدلالة الأصلية ولكنها تبقى مع الدلالة الجديدة فيؤدي إلى ظاهرة المشترك اللفظي، الذي يعني أن اللفظة الواحدة دلالتين مختلفتين لا ارتباط بينهما ولا وجه شبه¹.

وقد وصف الدكتور أنيس "سوء الفهم" بأنه: "تجربة يمر بها كل منا حين يسمع اللفظ للمرة الأولى فيسيء فهمه، ويوحي إلى ذهنه دلالة غريبة لا تكاد تمت إلى ما في ذهن المتكلم بأية صلة ثم قد لا تتاح لهذا السامع فرص أخرى لتصحيح خطئه ويبقى اللفظ في ذهنه مرتبطاً بتلك الدلالة الجديدة"².

ويسترسل قائلاً: " أن مثل هذا التغيير الفجائي يتم عادة في البيئات البدائية، حيث الانعزال بين أفراد الجيل الناشئ وجيل الكبار، ثم تسود تلك الدلالة الجديدة، ويحير الدارس في شأنها فلا يستطيع لها تعليلاً، ولا يقدر على الكشف عن ظروفها، وليس من الضروري حينئذ أن تنتشر الدلالة الأصلية أو أن تقنى من الوجود، بل تبقى جنباً إلى جنب مع تلك الدلالة الجديدة، ويخيل للناس بعد ذلك أن للفظ دلالتين مستقلتين، وأنه من الممكن استعمال في هذه أو تلك، وهنا ينشأ في اللغة ما يسمى بالمشترك اللفظي في صورته الأصلية الحقة... فحين تؤكد لنا المعاجم العربية أن كلمة "الأرض" تعني الكوكب المعروف وتعني أيضاً "الزكام"، وحين يقال لنا أن كلمة "الليث" هي الأسد وهي أيضاً "العنكبوت" لا نكاد نجد - تفسيراً معقولاً إلا بالالتجاء إلى تلك الطفرة الدلالية"³.

ب- بلى الألفاظ:

أما العنصر الثاني للاستعمال "فناه حين يصيب اللفظ بعض التغيير في الصورة ويصادف بعد ذلك أن يشبه لفظاً آخر في صورته فتختلط الدالتان ويصبح اللفظ مما يسمى بالمشترك اللفظي... فمثلاً كلمة القماش المألوفة لنا الآن والتي تحل من نفوسنا محل الاحترام والاهتمام لاسيما حين ننسبها إلى الحرير أو الصوف، هذه

¹ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة محمد عبدالكريم حسان، مصر، (ص:104).

² المرجع نفسه، (ص:104).

³ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، (ص:104).

الكلمة نبحت عنها في معجم الفيروزبادي فلا نراه يذكر لها من المعاني إلا: القماش أرادل الناس، والقماش ما وقع على الأرض من فتات الأشياء، غير أن الجوهري يذكر أيضاً من معاني القماش متاع البيت. أيا ما كانت دلالة هذه الكلمة حسب ما جاء في المعاجم العربية القديمة ، فإننا لا ندري كيف تطورت تلك الدلالة حتى صارت على النحو المألوف لنا الآن، وإذا صح ما يرويه بعض الدارسين للألفاظ الدخيلة من أن هذه الكلمة مأخوذة من كلمة فارسية هي "كماش" بمعنى نسيج من قطن خشن، تكون الكلمة العربية قد نطقت قافها "جافاً أو كافاً" لسبب أو لآخر فأشبهت الكلمة الفارسية وانصرفت دلالتها إلى الدلالة الفارسية بمعنى النسيج"¹.

ج-الابتدال:

وهذا العنصر "يصيب بعض الألفاظ في كل لغة من اللغات لأسباب، منها السياسي والاجتماعي والعاطفي... ولعل أقرب مثل لهذا هو إلغاء الألقاب والرتب في مصر، فانزوت كلمات مثل(باشا، بك، أفندي) وغيرها من ألقاب تركية مرت بها تطورات في دلالتها، وانحط قدرها على توالي الأيام وصارت كلمة (أفندي) في آخر عهدها ذات قدر تافه وأصبحت أقل الرتب بعد أن كان لها في أواخر القرن التاسع عشر مركز مهم ومكان مرموق"².

3-3-2-2- الحاجة:

الحاجة هي "أن يلجأ أبناء اللغة إلى الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة فيحيون بعضها ويطلقونه على مستحدثاتهم ملتسمين في هذا أدنى ملابسة"³، ويتم هذا النوع من التطور عادة على يد المهووبين من أصحاب المهارة في الكلام كالشعراء والأدباء، كما قد تقوم به المجامع اللغوية أو الهيئات العلمية حين تعوز

¹ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس ، (ص:106-107).

² المرجع نفسه،(ص:107).

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر(ص:28).

الحاجة إليه، والسبيل إليه هو ما يسمى بالمجاز أو الانتقال باللفظ من مجاله المؤلف إلى آخر جديد عليه¹.

فالحاجة تمثل "عنصراً أساسياً من أسباب التطور الدلالي، فعندما تنتشعب اللغة بتوسع الحياة تحتاج إلى كثير من المفردات للتعبير عن ذلك التوسع، وهو ذو أوجه متعددة، منها ما يستجد في حياة الناس من صناعات ومبتكرات... فكلما اكتشف الإنسان شيئاً أطلق عليه تسمية جديدة مثل اكتشاف الحديد أدى إلى ظهور آلات عديدة منها الفأس والأسلحة وأدوات الصيد قديماً وحديثاً، ويدخل في هذا الحيز القضايا الاجتماعية والسياسية"².

وعندما وجد الإنسان نفسه مضطراً إلى التطور في الألفاظ المعبرة عن أدواته ومواصفاته وصناعاته وملابسه وأبنيته لجأ إزاء هذه الضرورة إلى وسيلتين³:

أولاهما: أن يعمد إلى الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة فيحيي بعضها، ويطلقه على مستحدثاته ملتصقاً في هذا أدنى ملابسة، وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ذلك الفوج الزاخر من الألفاظ القديمة الصورة الجديدة الدلالة كالمدفع والقنبلة والدبابة والمذيع والجراند والصحف والمجلات... وغير ذلك من آلاف الألفاظ التي أحيها الناس أو اشتقوها وخلعوا عليها دلالات جديدة تطلبتها حياتهم الجديدة.

ثانيهما: اللجوء إلى ألفاظ اللغات الأجنبية، فيستعار منها ما تمس الحاجة إليه حيناً، وما لا حاجة إليه حيناً آخر، فاللغات يستعير بعضها من بعض إما لأن الألفاظ المستعارة تعبر عن أشياء تختص بها بيئة معينة ولا وجود لها في غير هذه البيئة، أو تكون الاستعارة لمجرد الإعجاب باللفظ الأجنبي... فقديماً عرف العرب لفظ "الحرير" ثم لم يقنعوا به، فاستعاروا معه ألفاظ منافسة كالسندس والإستبرق والديباج.

¹ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، (ص: 111-112).

² مصطلحات التطور الدلالي، جاسم محمد عبدالعبود (ص: 181).

³ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، (ص: 113-115).

3-3-3- أعراس التطور الدالاي:

يحدث "التطور الدالاي"-غالبا- بصورة تدريجية ، ولكنه في النهاية يحدث تغييراً كبيراً في المعنى. وهذا التغيير يكون تبعا لتغير ميول المجتمعات ، وإن هذه الميول الاجتماعية، أوضح في حالة "التغير الدالاي" منها في حالة "التغير الصوتي"، وقد استطاع اللغويون، بعد طول النظر فيما يطرأ على المعاني من تغيرات، في لغات كثيرة، أن يحدروا هذه التغيرات في "أنواع" رئيسية نبدأ الآن في التعريف بها:

3-3-3-1- تخصيص الدلالة:

التخصيص لغة من مادة "خصّ"، ذ{ خص } الشيء خُصُوصا نقيض عمّ و{ خص } فلاناً أعطاه شيئاً كثيرا و{ خص } فلاناً بكذا خصا وخصوصا وخصوصية وخصيصي أثره به على غيره وكذا لنفسه اختاره فهو خاص¹.
واصطلاحا هو "تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضيق مجالها... أو هو تحديد معاني الكلمات وتقليلها"².

فكثيرا ما يحدث لألفاظ اللغات تخصيصا بعد أن كانت تحمل دلالات عامة، فتدل بعد تخصيصها على جزء من دلالتها الأولى، ومن ذلك كلمة "الفاكهة" في العربية كان من معانيها "الثمار كلها" ثم خصص هذا المعنى للدلالة على أنواع معينة من الثمار كالتفاح والعنب والموز والخوخ... إلخ³، ومن ذلك أيضاً "تخصيص دلالة الأثاث التي كانت تستغرق مدخلات كثيرة في دائرتها الدلالية كالمال والغنم والإبل ومتاع البيت ثم لفظ منها كل تلك المدخلات إلا متاع البيت من حشو ودفار، وتخصيص دلالة العروس التي كانت تشمل على الذكر والأنثى، فصارت في استعمال اللاحق مقتصرة على الأنثى، وكذلك دلالة البلد التي كانت في

¹ المعجم الوسيطن إبراهيم مصطفى وآخرون(ص:237).

² مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبدالعبود(ص: 186).

³ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمد السعمران(ص:231).

كلام السابق أعم وأرحب منها عند اللاحق؛ إذ إنها عند الأخير المكان العامر المسكون ذا الحدود، ولكن هذا المعنى جزء من معناها في المعجم العربي¹

3-3-2- تعميم الدلالة:

التعميم لغة من مادة عَمَّ، ف{عم} الشَّيْءُ عُمُوماً شَمَلُ و{عم} النبات طَالَ و{عم} القَوْمُ بِالْعَطِيَّةِ عُمُوماً شَمَلَهُمْ وَيُقَالُ عَمَّ الْمَطَرُ الْأَرْضَ، و(العام) الشَّامِلُ وَخِلَافُ الْخَاصِّ، و(العامَّة) من النَّاسِ خِلَافُ الْخَاصَّةِ (ج) عوام وَيُقَالُ جَاءَ الْقَوْمِ عَامَّةً جَمِيعًا²

واصطلاحاً يعني: "الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام... ويعني توسيع المعنى أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل"³، و"تعميم المعنى ضد تخصيصه: فكما رأينا الكلمة التي كانت تدل على أفراد كثيرين ينحصر معناها فتدل على فرد واحد منها مثلاً، فكذلك يطرأ على الكلمات التغير المضاد فتستعمل الكلمة التي كانت تدل على فرد مثلاً للدلالة على أفراد كثيرين أو على "طبقة" بأسرها"⁴، ومن ذلك كلمة "الشلل" التي كانت ذات دلالة ضيقة تقتصر على يبس في اليد وذهاب، ثم اتسعت دائرتها الدلالية في كلام اللاحق فاستغرقت الجسم كله أو شقه، وهذا يعني أنها اشتملت على مدخلات جديدة فصارت ذات عمومية واندياح⁵، ومنه أيضاً كلمة "البأس) وتعني قديماً (الحرب) ثم تطورت لتطلق على كل شدة⁶.

¹ التطور الدلالي الإشكالي والأشكال والأمثال، الدكتور مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية: بيروت لبنان، الطبعة الأولى (2002م-1424هـ)، (ص:183).

² المعجم الوسيط (ص:629).

³ الظاهرة الدلالية عند علماء اللغة القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، صلاح الدين ززال، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1: (2008م-1429)، (ص:316).

⁴ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران (ص:231).

⁵ التطور الدلالي الإشكالي والأشكال والأمثال، الدكتور مهدي أسعد عرار (ص:182).

⁶ مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبد العبود (ص:184).

3-3-3-3 - انحطاط الدلالة:

الْحَطُّ [لغة]: "الْوَضْعُ، حَطَّهُ يَحْطُهُ حَطًّا فَانْحَطَّ. وَالْحَطُّ: وَضْعُ الْأَحْمَالِ عَنِ الدَّوَابِّ، تَقُولُ: حَطَّطْتُ عَنْهَا. وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ: إِذَا حَطَّطْتُمْ الرِّجَالَ فَشُدُّوا السُّرُوحَ أَي إِذَا قَضَيْتُمْ الْحَجَّ وَحَطَّطْتُمْ رِحَالَكُمْ عَنِ الْإِبِلِ، وَهِيَ الْأَكْوَارُ وَالْمَتَاعُ، فَشُدُّوا السُّرُوحَ عَلَى الْخَيْلِ لِلْعَزْوِ، وَحَطَّ الْحِمْلَ عَنِ الْبَعِيرِ يَحْطُهُ حَطًّا: أَنْزَلَهُ، وَكُلُّ مَا أَنْزَلَهُ عَنْ ظَهْرٍ، فَقَدْ حَطَّهُ"¹.

وانحطاط الدلالة اصطلاحاً: "ما يصيب بعض دلالات الكلمات من الانهيار والضعف، فنراها تفقد شيئاً من أثرها في الأذهان أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال من المجتمع الاحترام والتقدير"².

هذا النوع من التغيير في المعنى يصدق على الكلمات التي كانت دلالتها تعد في نظر الجماعة "نبيلة" "رفيعة" "قوية" نسبياً ثم تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك مرتبة، أو أصبح لها ارتباطات تزدريها الجماعة، وقد لوحظ أن أكثر الكلمات التي تميل إلى أن تتحط دلالة هي على وجه خاص تلك الدائرة حول الجنس وما يتصل به، حول الزهو الطبقي، وحول ما يثير في الجماعة الكلامية مشاعر كالخجل -كأسماء قطع الملابس الداخلية- والخوف، والذعر إلخ، وحول "الألقاب" وحول ما يثير بطبيعته اشمئزازاً أو نفوراً³.

ويشبه هذا ما نسمعه في بعض لهجات الخطاب، حين "تستعمل كلمة" القتل والقتال" في الشجار حتى مع ضعف شأنه ونتائجه، وكذلك كلمة "الكرسي" استعملت في القرآن الكريم بمعنى العرش في قوله تعالى: "وسع كرسيه السموات والأرض"، غير أن هذه الكلمة أصبحت الآن تطلق على "كرسي" السفرة وكرسي المطبخ⁴.

¹لسان العرب، ابن منظور(ص:272-273).

² دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس (ص: 120)

³ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران(ص:228).

⁴ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس(ص:120).

وأيضاً "بعد إلغاء الألقاب في مصر الحديثة وتلقيب المواطنين جميعاً بلقب "السيد" أصاب الخمول الألقاب القديمة ذات العظمة والبريق مثل "الأمير" و"صاحب السمو الأمير" و"الباشا" و"البك" و"الأفندي" إلخ. والموضوعات المثيرة للاشمئزاز والنفور تضيء على ألفاظها ظلالة من الضعة والانحطاط، وتميل الجماعة الكلامية عادة إلى هجر الكلمات الدالة على هذه الموضوعات إلى سواها، ومن ذلك في العربية التغيير المتتابع للكلمة الدالة على "المرحاض"¹.

3-3-3-4- رقي الدلالة:

الرقي لغة الصعود، يقال: "ورقي فلان في الجبل يرقى رقياً إذا صعد. ويُقال: هذا جبل لا مرقى فيه ولا مُرتقى. ويُقال: ما زال فلان يترقى به الأمر حتى بلغ غايته. وركب في السلم رقياً ورقياً إذا صعدت"².

يتضح من اسم هذا النوع من أنواع التغيير في المعنى أنه "يطلق على ما يصيب الكلمات التي كانت تشير إلى معان "هينة" أو "وضيعة" أو "ضعيفة" نسبياً، ثم صارت تدل في نظر الجماعة الكلامية على معان "أرفع" أو "أشرف، أو "أقوى" إلخ ومن أشهر الأمثلة الموضحة لهذا النوع ما يتعلق بالمستويات الاجتماعية، والفوارق الطبقيّة، ومن ذلك انتقال كلمة "بيت" من الدلالة على المسكن المصنوع من الشعر "إلى "البيت" الضخم الكبير المتعدد "المساكن" الذي نعده في المدن"³. ومن ذلك أيضاً ما "أتى على الكلمتين "ملاك ورسول" عهد كانتا فيه معنى الشخص الذي يرسله المرء في مهمة مهما كان شأنها ثم تطورتا وأصبح لها تلك الدلالة السامية التي نألفها الآن"⁴.

¹ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعمران (ص:229).

² لسان العرب، ابن منظور (ص:231).

³ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعمران (ص:230).

⁴ دلالة لألفاظ، إبراهيم أنيس (ص:121-122).

3-3-3-5- تغير مجال الاستعمال:

والمقصود به المجاز، وهو "ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة"¹ ويحدث "عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال أو من السبب إلى المسبب أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه... إلخ، أو العكس"².

ومن ذلك ما يحدث "استعارة أو بتعبير أفضل، انتقال شعوري. فالذهن قد يضيف مختاراً اسم أحد الأعضاء إلى العضو الذي يجاوره لقصد المزاح أو لسبب آخر. ويمكننا أن نقطع بوقوع الاستعارة إذا كانت الألفاظ تثير فكرة حسية وفي هذه الحالة يمكن تفسيرها إما بوازع من الحياء وإما على العكس بسوء القصد. فقد يطلق الشخص على ثديي المرأة لفظ "النحر" أو "المعدتين" حسبما يكون مهذباً أو جلفاً. وأسماء أعضاء الجسم المخزية، وبصفة عامة الكلمات التي تطلق على أفعال مشهورة بقذارتها أشد من غيرها تعرضاً للنقل. ويمكننا أن نقول إن الكلمات القذرة عامة كثيرة التبادل، اللهم إلا إذا كانت الكلمة المخجلة نفسها قد أطلقت على مدلولها بطريق استعارة معلومة للمتكلم، إذ في هذه الحالة لا يوجد سبيل لإطلاقها على عضو آخر. وهي ألفاظ يجمع بينها كونها كلمات قذرة، وهذا تعريفها، فيمكن أن تستعمل دون قيد للدلالة على أي جزء من الجسم ما دام قذراً. إذ قد يكفي وجود شبه بعيد أو جوار تافه لا يحس ليبرر انتقال الكلمة من معنى إلى آخر"³.

وهذا النقل سواء كان بقصد أو بغير قصد له دوافع ومبررات نذكرها فيما يلي⁴:

- أول هذه الدوافع هو توضيح الدلالة وجعل الصورة الذهنية من الجلاء والصقل بحيث لا تترك مجالاً للوهم أو الشك، ويكون هذا عادة حين تنتقل

¹ دلالة لألفاظ، إبراهيم أنيس ، (ص:97).

² اللغة، جوزيف فندريس (المتوفى: 1380هـ)، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م، (ص:256)

³ اللغة، فندريس (ص:260-261)

⁴ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس (ص:123-126).

الدلالة المجردة إلى مجال الدلالة المحسوسة الملموسة...وأوضح ما تكون تلك العملية فيما يسمى بالكنايات الأدبية، كأن يكنى عن الكرم بكثرة الرماد، وعن التذلل بإراقة ماء الوجه...إلخ.

• والدافع الآخر للنقل هو رقي الحياة العقلية حيث يجمع الباحثون في نشأة الدلالة على أنها بدأت بالمحسوسات ثم تطورت إلى الدلالات المجردة بتطور العقل الإنساني ورقبه، فكلما ارتقى التفكير العقلي جنح إلى استخراج الدلالات المجردة وتوليدها والاعتماد عليها في الاستعمال...، فكثير من الألفاظ التي تعبر عن دلالات مجردة قد انحدرت إلينا من دلالات محسوسة ويكفي أن نستعرض ما جاء في المعاجم العربية من كلمات مثل [الحقد، المدح، القلق، الشجاعة، المجد،...إلخ]

الحقد: حقد المطر احتبس، وحقدت الناقة امتلأت شحما.

المدح: مدحت الأرض والخاصرة اتسعتا.

القلق: الحركة والاضطراب، ومن هنا جاء الانزعاج.

الشجاعة: الأشجع هو الأسد، والشجع هو الطول.

المجد: من معانيه امتلاء بطن الدابة من العلف.

3-4-4 - الظواهر الدلالية:

3-4-1 - الترادف:

الترادف لغة: "(ردفه) ردفا ركب خلفه وتبعه، و(أردف) توالى وتتابع، (رادفت) الدابة قبلت الرديف وقويت على حمله، و(ارتدفت) فلان ركب خلف صاحبه، (ترادفا) تتابعا وركب أحدهما خلف الآخر وتعاونوا و(ترادفت) الكلمتان كأن بينهما الترادف، و(الترادف) ترادف الكلمتين أن تكونا بمعنى واحد وكذلك ترادف الكلمات"¹.

¹ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى (ص:339).

الترادف اصطلاحاً: "هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"¹.

فوائده: "أن تكثر الوسائل -أي الطرق- إلى الإخبار عما في النفس، فإنه ربما نسي الإنسان أحد اللفظين، أو عسر عليه النطق به إذا كان ألتغ، ولولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك ومنها التوسع في سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر؛ وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ ومنها قد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحاً للآخر الخفي وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين. والمترادف مما امتازت به اللغة العربية وطالت به غيرها من اللغات ومظهر من مظاهر اتساع اللغة وعظمتها"².

موقف العلماء منه:

ظهر اهتمام علماء العربية بموضوع الترادف، وخاضوا في الحديث عنه منذ بدأت أولى جهودهم في وضع أسس وقواعد اللغة العربية، وجمع ألفاظها، وترتيبها وتصنيفها، وشرح معانيها ودلالاتها، ومنذ ذلك الحين دب الخلاف فيما بينهم، حول أصالة الترادف في العربية، فمنهم من أثبته فيها، وغالى في الدفاع عن موقفه، ومنهم من أنكره، ليصرح باستحالة وقوعه عقلاً ونقلاً، ونذكر من ذلك الخلاف ما جري بين عالمين كبيرين في العربية هما: أبو علي الفارسي وابن خالويه، في مجلس من أعظم مجالس العربية في الأدب والعلم أيام الدولة الحمدانية، حيث نقل السيوطي حكاية عن أبي علي الفارسي قوله: "كنتُ بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه: أحفظ للسيفِ خمسين اسماً فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف. قال ابن خالويه: فأين

¹البلغة إلى أصول اللغة، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ)، تحقيق: سهاد حمدان أحمد السامرائي (رسالة ماجستير من كلية التربية للبنات - جامعة تكريت بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد خطاب العمر)، نشر: جامعة تكريت، (ص:118).

²دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة، إبراهيم محمد أبو سكين، (ص:225).

المُهَنْدِ والصَّارِمِ وكذا وكذا فقال أبو علي: هذه صفات وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة¹.

ومن الذين اعترفوا بوجود الترادف في العربية سيبويه، حيث يقول: "اعلم أنّ من كلامهم... اختلاف اللفظين والمعنى واحد، نحو: ذهب وانطلق"².

ومن أصحاب الترادف أيضاً ابن جني (ت 346هـ) حيث أشار إليه في (باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض) مستدلاً به علي وقوعه وذلك بقوله: "وجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يُحاط به، فإذا مر بك شئ منه فتنبّله وأنس به فإنه فصل من العربية لطيف حسن يدعو إلى الأُنس بها والفقاهة³ فيها"⁴.

وقد احتجوا "بأنه: لو كَانَ لكلّ لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته. وذلك أنا نقول في "لا ريب فيه": "لا شك فيه" فلو كَانَ "الرَّيب" غير "الشَّكِّ" لكانت العبارة عن معنى الرِّيب بالشك خطأ، فلما عبّر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد"⁵.

أما منكرو الترادف فقد عكفوا على استخراج الفروق الدقيقة بين الألفاظ، وسبر أرار الكلمات للوقوف على أسرارها وكشف ما غمض منها، وراحوا يتكفّهون بها في مجالسهم وفي مصنفاتهم، وأحياناً يتفاخرون بمعرفتهم بها علي أصحاب الترادف. فهذا أبو علي الفارسي (ت 377هـ) الذي أشرنا إلى مناظرته مع ابن خالويه، نجده يُنكر على غريمه إطلاقه لفظ الاسم على المهند والصارم، خاتماً روايته بقوله: "وكان الشيخ! لا يفرق بين الاسم والصفة".

¹ المزهر ، السيوطي(ص:318).

² الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، (1408هـ-1988م، ص:24).

³ يقال: "رجل فقيهٌ وقد فقهه يُفقهه فقاهاةً: إذا صار فقيهاً" (تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، (ص:263).

⁴ الخصائص، ابن جني، ج2، (ص:310).

⁵ الصحابي، ابن فارس(ص:59-60)

ومن منكري الترادف ابن فارس فقد ذكر في تفريقه بين القعود والجلوس "إن في قعد معنى ليس في جلس. ألا ترى أننا نقول "قام ثم قعد" و"أخذَه المقيم والمقعد" و"قعدت المرأة عن الحيض". ونقول لناس من الخوارج "قعد" ثم نقول: "كان مضطجعا فجلس" فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هي دون الجلوس لأن "الجلس: المرتفع" فالجلوس ارتفاع عما هو دونه. وعلى هذا يجري الباب كله، وأما قولهم: إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يُعبر عن الشيء بالشيء. فإننا نقول: إنما عُبر عنه من طريق المشاكلة، ولسنا نقول إن اللفظتين مختلفتان، فيلزمنا ما قالوه. وإنما نقول إن في كل واحدة منهما معنى ليس في الأخرى".¹

وخلاصة القول إن من جعل تلك الكلمات "مترادفة" ينظر إلى اتحاد دلالتها على الذات، ومن يمنع ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات".²

أسبابه:

لَوْقُوعِ الْأَلْفَاظِ الْمْتَرَادِفَةِ سَبَبَانِ³:

أحدهما: أن يكون من واضعين وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية.

والثاني: أن يكون من واضع واحد وهو الأقل وله فوائد:

منها: أن تكثر الوسائل - أي الطرق - إلى الإخبار عما في النفس فإنه ربما نسي أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به وقد كان بعض الأندكيا في الزمن السالف ألتغ فلم يُحفظ عنه أنه نطق بحرف الراء ولولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك.

¹ الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، محمد علي بيضون، ط1 (1418هـ-1997م)، (ص:60).

² المزهر، السيوطي (ص:318).

³ المرجع نفسه (ص:319).

أمثلة:

العسل: "له ثمانون اسماً أوردها صاحب القاموس في كتابه الذي سماه ترفيق الأسل لتصفيق العسل، وهي هذه: العسل والضرب والضربة والضرب والشوب والذوب والحميت والتحموت والجلس والورس... الخ"¹.

السيف: "ومن أسماء السيف كما ذكر ابن خالويه في شرح الدرديية: الصارم والرداء والخليل والقضيب والصفيحة والمفقر والصمصامة والمأثور والمقضب والكهام... الخ"².

3-4-2- المشترك اللفظي:

المشترك لغة: (شركت) فلاناً في الأمر شركاً وشركة وشركة كان لكل منهما نصيب منه فهو شريك، و(أشركه) في أمره أدخله فيه، و(أشترك) الرجلان كان كل منهما شريك الآخر، ولفظ مشترك له أكثر من معنى، ومال أو أمر مشترك لك ولغيرك فيه حصّة³.

المشترك اصطلاحاً: هو "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"⁴

بمعنى أن يكون اللفظ واحد ولكن المعاني والمدلولات التي يصدق عليها هذا اللفظ متباينة لا يجمع بينها معنى مشترك، فالعين مثلاً تحمل دلالات متعددة لا يجمع بينها غير لفظ العين منها ما يلي⁵:

العين: مطر يدوم خمسة أيام أو ستة لا يقلع.

والعين أيضاً: طائر أصفر البطن، أخضر الظهر، بعظم القمرى.

ويقال لقيته أول عين، أي أول شيء.

¹المزهر، السيوطي، (ص:320).

²المرجع نفسه، (ص:321)

³المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون(ص:480).

⁴المزهر، السيوطي(ص:292).

⁵معجم المنجد في اللغة، علي بن الحسن الهنائي الأزدي المشهور بكراع النمل،(ص:2).

ويقال: أعطيته ذاك عين عُنَّة، أي: خاصَّةً من بين أصحابه.

وعَيْن كل شيء: خياره.

وعَيْن القوم: ربيئُهم الناظر لهم.

وعَيْن الرَّجْلِ: شاهده.

والعَيْن في المِيزان عيب، وذلك أن تَرْجِعَ إحدى كِفَّتَيْهِ على الأخرى.

وعَيْن الشَّمْسِ.

وعَيْن الرُّكْبَةِ أحسبه همزة فيها.

موقف العلماء منه:

تشكّل الألفاظ العربية المشتركة المعاني-مع ما صدر لها من شروح، ودار حولها من مناقشات- جزءاً مهماً من تراثنا اللُّغوي والأدبي، غير أنّ موقف الباحثين واللغويين العرب حيال هذه الألفاظ، وحديثهم عن طبيعتها وعن أهميتها ودورها في مجال التعبير، خلافياً غير مستقرّ" فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع لجواز أن يقع إما من واضعَيْن بأن يضع أحدهما لفظاً لمعنى ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين وهذا على أنّ اللغات غير توقيفية، وإما من واضعٍ واحدٍ لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سبباً للمفسدة كما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه - وقد سأله رجلٌ عن النبي ﷺ وقت ذهابهما إلى الغار: من هذا قال: هذا رجلٌ يَهْدِينِي السَّبِيلَ"¹. فقد ذكروا أنه "وَأَقَعُ لِنَقْلِ أَهْلِ اللُّغَةِ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الألفاظ، ومن الناس من أوجب وقوعه - قال: لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية فإذا وُزِعَ لزم الاشتراك"².

يقول سيبويه "اعلم أنّ من كلامهم اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ... كقولك:

وَجَدْتُ عَلَيْهِ مِنَ المَوْجِدَةِ، وَوَجَدْتُ إِذَا أَرَدْتُ وَجِدَانَ الضَّالَّةِ. وأشباه هذا كثير"³.

¹ المزهر، السيوطي(ص:292).

²المرجع نفسه، (ص:293).

³ الكتاب، سيبويه(ص:24).

ويقول ابن فارس في باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق: "يكون ذلك على وجوه: ... منه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا عين الماء وعين المال وعين الرّكبة وعين الميزان"¹.

"ولئن توسع الأصمعي والخليل وسيبويه وأبو عبيدة في إيراد الأمثلة على المشترك اللفظي في شواهد عربية لا سبيل إلى الشك فيها، فإن طائفة من العلماء القدامى لم ترّ في تلك الأمثلة والشواهد إلا مصادفات محضة تنوسيت فيها خطوات التطور المعنوي عن طريق المجاز والكناية، ولو أمكن تتبع تلك الخطوات واحدة واحدة لوقعنا على المعنى الأصلي الحقيقي للفظ ثم رأينا آخذاً في التطور، يلبس كل يوم زياً جديداً، ويعبر في كل بيئة تعبيراً معيناً"². وفي طليعة هؤلاء العلماء المنكرين للاشتراك، المسرفين في إنكاره، وابن دُرستويه، فقد جاء عنه في المزهر: "قال ابن درستويه في شرح الفصيح - وقد ذكر لفظه (وَجَد) واختلاف معانيها - هذه اللفظة من أقوى حُجج من يزعم أن من كلام العرب ما يتفق لفظه ويختلف معناه لأن سيبويه ذكره في أول كتابه وجعله من الأصول المتقدمة فظنّ من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظٌ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة وإنما هذه المعاني كلّها شيءٌ واحد وهو إصابة الشيء خيراً كان أو شراً ولكن فرقوا بين المصادر لأن المفعولات كانت مختلفة فجعل الفرق في المصادر بأنها أيضاً مفعولة والمصادر كثيرة التصاريف جدا وأمثلتها كثيرة مختلفة وقياسها غامضٌ وعللها خفية والمفتشون عليها قليلون والصبر عليها معدوم فلذلك توهم أهل اللغة أنها تأتي على غير قياس لأنهم لم يضبطوا قياسها ولم يقفوا على غورها"³.

ويثنى الدكتور أنيس على رأي ابن درستويه بقوله "وقد كان ابن درستويه محقاً حين أنكر معظم تلك الألفاظ التي عدت من المشترك اللفظي واعتبرها من المجاز، فكلمة الهلال حين تعبر عن هلال السماء، وعن حديدة اليد التي تشبه في شكلها

¹الصاحبي، ابن فارس (ص:152).

²دراسات في فقه اللغة، صبحي إبراهيم الصالح (المتوفى: 1407هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى (1379هـ - 1960م)، (ص:302-303).

³المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: فؤاد عليمصور، دارالكتبة العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى، (1418هـ 1998م)، (ص:303).

الهلال، وعن قلامة الظفر التي تشبه في شكلها الهلال، وعن هلال النعل الذي يشبه في شكله الهلال، لا يصح إذا أن تعد من المشترك اللفظي؛ لأن المعنى واحد في كل هذا، وقد لعب المجاز دوره في كل هذه الاستعمالات، لأن المشترك اللفظي الحقيقي إنما يكون حين لا نلمح أي صلة بين المعنيين، كان يقال لنا مثلاً إن الأرض هي الكرة الأرضية وهي أيضاً الزكام، وكأن يقال لنا إن الخال هو أخو الأم وهو الشامة في الوجه وهو الأكمة الصغيرة¹.

خلاصة القول أن المشترك اللفظي سواء أقل إلى الحد الذي اعترف به منكروه، أو كثر إلى الحد الذي كتب فيه بعضهم مصنّفات، فهو موجود في اللغة، وقد انعقد إجماع العلماء على وجوده.

3-4-3- الأضداد:

الأضداد لغة: (تضاد) الأمران كان أحدهما ضد الآخر، (الضدّ) المخالف والمنافي والمثل والنظير والكفاء (ج) أضداد ويُقال هذا اللفظ من الأضداد من المفردات الدالة على معنيين متباينين كالجون للأسود والأبيض².

الأضداد اصطلاحاً: "هو دلالة اللفظ على معنيين متضادين دلالة مستوية عند أهل تلك اللغة. كقولهم جل: للعظيم ولليسير أو الصغير. والجون للأسود وللأبيض، والصارخ للمستغيث وللمغيث، الصريم: الصبح والصريم الليل والظن يقين وشك³.

شرط الأضداد "أن يكون استعمال اللفظ في المعنيين في لغة واحدة"⁴.
أمثلة⁵:

بعث الشيء إذا بعته غيرك وبعته: اشتريته.

¹ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس (ص: 167-168).

² المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون (ص: 536).

³ دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة، إبراهيم محمد أبو سكين (ص: 226).

⁴ المزهر، السيوطي (ص: 311).

⁵ المرجع نفسه، (ص: 307).

وقال الأصمعي الجَوْن: الأسود والجَوْنُ: الأبيض.

والصريم: الصبح، والصريم: الليل.

والظَّنُّ: يقينٌ وشك.

وقد كانت الاضداد منطلقاً لأن يظن "أهلُ البِدَعِ والزَّيغِ والإِزْرَاءِ بالعرب، أنَّ ذلك كان منهم لِنُقْصانِ حكمتهم، وقلةِ بلاغتهم، وكثرةِ الالتباسِ في محاوراتهم، وعند اتِّصالِ مخاطباتهم، فيسألون عن ذلك، ويحتجُّون بأنَّ الاسمَ مُنبئٌ عن المعنى الَّذي تحته ودالٌّ عليه، ومُوضِحٌ تأويله، فإذا اعتورَ اللفظةَ الواحدةَ معنيانِ مختلفانِ لم يَعْرِفِ المخاطَبُ أيُّهما أرادَ المخاطِبُ، وبطلَ بذلك معنى تعليق الاسمِ على المسمي¹.

ولقد أُجيب عن هذا الذي ظنوه بعدة أجوبة منها "أنَّ كلامَ العرب يصحِّحُ بعضه بعضاً، ويرتبطُ أوَّلُه بآخره، ولا يُعْرِفُ معنى الخطابِ منه إلاَّ باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوعُ اللفظةِ على المعنيين المتضادِّين، لأنَّها يتقدَّمُها ويأتي بعدها ما يدلُّ على خصوصيةِ أحد المعنيين دون الآخر، ولا يُرادُ بها في حالِ التكلُّمِ والإخبارِ إلاَّ معنى واحد؛ فمن ذلك قول الشاعر:

كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا المَوْتَ جَلَلٌ ... والفَتَى يَسْعَى ويُلْهِيه الأَمَلُ

فدلَّ ما تقدَّم قبل جلال وتأخَّر بعده على أنَّ معناه: كلُّ شيءٍ ما خَلا الموتَ يَسِيرٌ؛ ولا يتوهَّم ذو عقل وتمييز أنَّ الجَلَلَ هاهنا معناه عظيم².

علاقة الأضداد بالمشترك اللفظي:

يقول السيوطي في باب معرفة الأضداد "هو نوع من المشترك"³، ف"المُشْتَرِكُ يَقَعُ على شيئين ضدين وعلى مختلفين غير ضدين فما يقع على الضدين كالجون وجلل، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين، ومن سنن العرب في الأسماء أن

¹ الأضداد، أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة الأنباري (المتوفى: 328هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: المكتبة العصرية، بيروت - لبنان (1407 هـ - 1987م)، (ص: 1-2).

² المرجع نفسه، (ص: 2).

³ المزهر، السيوطي (ص: 304).

يسمّوا المتضادّين باسم واحد. نحو "الجَوْن" للأسود و"الجَوْن" للأبيض. وأنكر ناس هذا المذهب¹.

وإذن، فالأضداد على ضالة مقداره، أصبح وسيلة من وسائل التنوع في الألفاظ والأساليب، ووسع تنوع استعماله من دائرة التعبير في العربية، فكان بهذا المعنى خصيصة من خصائص لغتنا في مرونتها وطواعيتها.

3-5- نظريات الدلالة:

3-5-1- النظرية الإشارية:

تعنى النظرية الإشارية "أن معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها"².

وأصحاب هذه النظرية يقولون "إن المشار إليه لا يجب أن يكون شيئاً محسوساً قابلاً للملاحظة(المنضدة)، فقد يكون كذلك، كما قد يكون كيفية(أزرق)، أو حدثاً(القتل)، أو فكرة تجريدية (الشجاعة)، ولكن في كل حالة يمكن أن نلاحظ ما يشير إليه اللفظ لأن كل الكلمات تحمل معاني؛ لأنها رموز تمثل أشياء غير نفسها"³.

وقد اعترض على هذه النظرية بما يأتي⁴:

- 1- أنها تدرس الظاهرة اللغوية خارج إطار اللغة.
- 2- أنها تقوم على أساس دراسة الموجودات الخارجية (المشار إليه)، ولكي نعطي تعريفاً دقيقاً للمعنى على أساس هذه النظرية لا بد أن تكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلم، ولكن المعرفة الإنسانية أقل من هذا بكثير.

¹ الصاحبى، ابن فارس(ص:60).

² علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:55).

³المرجع نفسه، (ص:55-56).

⁴علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، (ص:56).

3- أنها لا تتضمن كلمات مثل "لا" و"إلى" و"لكن" و"أو" ... ونحو ذلك من الكلمات التي لا تشير إلى شيء موجود، هذه الكلمات لها معنى يفهمه السامع والمتكلم، ولكن الشيء الذي تدل عليه لا يمكن أن يتعرف عليه في العالم المادي.

4- أن معنى الشيء غير ذاته، فمعنى كلمة "تقاحة" ليس هو "التقاحة"، التقاحة يمكن أن تؤكل ولكن المعنى لا يؤكل، والمعاني يمكن أن تتعلم ولكن التقاحة لا يمكن.

3-5-2- النظرية التصورية:

وهذه النظرية تعتبر اللغة "وسيلة أو أداة لتوصيل الأفكار أو تمثيلاً خارجياً ومعنوياً لحالة داخلية، وما يعطي تعبيراً لغوياً معنى معيناً استعماله باطراد (في التقاهم) كعلامة على فكرة معينة، الأفكار التي تدور في أذهاننا تملك وجوداً مستقلاً، ووظيفة مستقلة عن اللغة، وإذا قنع كل منا بالاحتفاظ بأفكاره لنفسه كان من الممكن الاستغناء عن اللغة، وإنه فقط شعورنا بالحاجة إلى نقل أفكارنا الواحد إلى الآخر الذي يجعلنا نقدم دلائل (قابلة للملاحظة على المستوى العام) على أفكارنا الخاصة التي تعتمل في أذهاننا"¹.

وهذه النظرية تقتضي بالنسبة لكل تعبير لغوي أو لكل معنى متميز للتعبير اللغوي أن يملك فكرة، وهذه الفكرة يجب²:

- أ- أن تكون حاضرة في ذهن المتكلم.
- ب- المتكلم يجب أن ينتج التعبير الذي يجعل الجمهور يدرك أن الفكرة المعينة موجودة في عقله في ذلك الوقت.
- ج- التعبير يجب أن يستدعي نفس الفكرة في عقل السامع.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:57).

² المرجع نفسه، (ص:57).

هذه النظرية "تركز على الأفكار أو التصورات الموجودة في عقول المتكلمين والسامعين بقصد تحديد معنى الكلمة أو ما يعني المتكلم بكلمة استعملها في مناسبة معينة سواء اعتبرنا معنى الكلمة هو الفكرة أو الصورة الذهنية، أو اعتبرناه العلاقة بين الرمز والفكرة، وهذا هو أحد المآخذ الأساسية على هذه النظرية من وجهة النظر السلوكية، لأنه ما دام المعنى هو الفكرة، فكيف يتسنى على المتكلم أن يخاطب السامع وينقل المعنى إليه مع أن الأفكار تعد ملكاً خاصاً بالمتكلم. ويرد مؤيدو النظرية بأن الأفكار ترتبط "بالتصور" فإذا قلنا "منضدة" فكل من المتكلم والسامع يملك التصور للمنضدة، وهذا التصور يجعل الاتصال بينهما ممكناً"¹.

وهناك مأخذ آخر يتلخص في "أن هناك كلمات كثيرة غير قابلة للتصور مثل الأدوات والكلمات التجريدية، فهذه ليس لها تصور عقلي سوى حروف الكلمة نفسها"².

وقد كان رفض هذه النظرية التصورية هو المنطق لمعظم المناهج الحديثة التي ظهرت خلال هذا القرن والتي اتجهت إلى جعل المعنى أكثر موضوعية وأكثر علمية من جهة أخرى³.

3-5-3- النظرية السلوكية:

ترجع النظرية السلوكية في أصلها إلى واطسون رائد المدرسة السلوكية في علم النفس... أما أول من توسع في تطبيق آراء السلوكيين على دراسة اللغة فهو بلومفيلد الذي عرض وجهة نظره في تطبيق المبادئ السلوكية على اللغة في كتابه "اللغة" الذي نشر سنة 1933م⁴.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:58).

² المرجع نفسه، (ص:58).

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:58).

⁴ المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس علي، ط2، 2007م، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، (ص:113-114).

وعلى الرغم من أن بلومفيلد سبق بسياقات مبكرة للتصور السلوكي، فقد لاقى اهتماماً أكبر لأنه يعد واحداً من أكثر اللغويين تأثيراً في تطور الدراسة العلمية للغة في النصف الأول من هذا القرن {العشرين} وهو أكثر من غيره المسئول عن تقديم المذهب السلوكي إلى علم اللغة¹.

تركز النظرية السلوكية على "ما يستلزمه استعمال اللغة في الاتصال وتعطي اهتمامها للجانب الممكن ملاحظته علانية، وهي بهذا تخالف النظرية التصويرية التي تركز على الفكرة أو التصور"².

وعرف بلومفيلد معنى الصيغة اللغوية بأنه: "الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من السامع، فعن طريق نطق صيغة لغوية يحث المتكلم سامعه على الاستجابة لموقف، هذا الموقف وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة"³

والسلوكية بوجه عام تقوم على جملة أسس منها⁴:

- أ- التشكك في كل المصطلحات الذهنية، مثل العقل والتصور والفكرة، ورفض الاستبطان كالحصول على مادة ذات قيمة في علم النفس، ويجب على عالم النفس أن يقصر نفسه على ما يمكن ملاحظته مباشرة، وذلك بأن يعني بالسلوك الظاهر، وليس بالحالات والعمليات الداخلية.
- ب- اتجاهها إلى تقليص دور الغرائز والدوافع والقدرات الفطرية الأخرى وتأكيداها على الدور الذي يلعبه التعلم في اكتساب النماذج السلوكية وتركيزها على التربية كثر من الطبيعة، ونسبة الشيء الكثير للبيئة، والشيء القليل للوراثة.
- ج- اتجاهها الآلي أو الحتمي الذي يرى أن كل شيء في العالم محكوم بقوانين الطبيعة.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص: 60-61).

² المرجع نفسه، (ص: 59).

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص: 61).

⁴ المرجع نفسه، (ص: 59-60).

د- أنه يمكن وصف السلوك عند السلوكيين على أنه نوع من الاستجابات لمثيرات ما تقدمها البيئة أو المحيط.

وقد أوضح بلومفيلد الطريقة التي تستخدم بها اللغة بالمثل التالي: "لنفترض أن جاك وجيل ينتزهان في ممر مسيج، وجيل جائعة، فتري تفاحة على الشجرة، فتصدر أصواتاً بجنجرتها ولسانها وشفتيها، فيتخطى جاك السياج، ويتسلق الشجرة، ويأخذ التفاحة ثم يحضرها لجيل، ويضعها في يدها فتأكلها"¹.

يتكون الحادث زمانياً من ثلاثة أجزاء²:

أ- الأحداث العملية السابقة لعملية الكلام.

ب- الكلام.

ج- الأحداث العملية التالية لعملية الكلام.

ونبدأ بالأحداث العملية وهي، في هذا المثال ما يسبق الكلام وما يليه، الأحداث رقم 1 تتعلق بـ"جيل" بصفة خاصة: لقد كانت جائعة، أي أن بعض عضلاتها كانت متقلصة و... إلخ، وربما كانت عطشى: فكان لسانها وحلقها جافين. أثرت في عينيها الموجات الضوئية المنعكسة من التفاحة الحمراء. ولقد رأت جاك إلى جوارها، وإن علاقاتها السابقة بـ"جاك" تصبح الآن ذات أثر، فلنفترض أنهما أخ وأخت، أو زوج وزوجة. كل هذه الأحداث التي تسبق كلام "جيل" وتخصها، ندعوها "مثيراً" أو "منبهاً" للمتكلم. أما الأحداث العملية التي تلي كلام "جيل" وهي رقم 3. فتتعلق بوجه خاص، بالسامع "جاك" وتتكون من إحضاره التفاحة وإعطائها لجيل. هذه الأحداث ندعوها "استجابة" السامع. والأحداث التي تلي الكلام تهم "جيل" كذلك، إنها تأخذ التفاحة في قبضة يدها وتأكلها³.

لا يتصرف كل "جاك" وكل "جيل" بهذا الأسلوب، فلو كانت جيل تعرف من تجاربها السابقة مع جاك أنه لن يستجيب لطباها فربما أثرت الجوع على أن تطلب

¹ المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس علي (ص:114).

² المرجع نفسه، (ص:114).

³ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، (ص:248-249).

إليه قطف التفاحة، وهكذا لقد قامت جيل في هذه القصة بحركات قليلة في حلقتها
وفمها أنتجت ضجة قليلة هي "الكلام"، فأخذ جاك يقوم بردود الأفعال ولقد أدى
أعمالا كانت فوق طاقة جيل، وهكذا حصلت جيل آخر الأمر على التفاحة. إن اللغة
تمكن شخصا من أن يحدث رد فعل عندما يتوافر لدى شخص آخر "المثير. وهكذا
يرى بلومفيلد أن "تقسيم العمل" "بل تنظيم المجتمع الإنساني كله" إنما تم عن طريق
اللغة¹.

والآن ننظر في القسم الثاني من أقسام هذه القصة وهو "الكلام"، وهذا هو الذي
يعنينا نحن دارسي اللغة بصفة خاصة، فنحن لا نهتم بالقسمين الأول والثاني إلا لما
لهما من علاقة بالكلام².

وبالاستعانة بالفسولوجية والفيزياء نستطيع أن ندرك كيف تمت عملية "الكلام"
من الناحية الصوتية، لقد قام جهاز نطق "جيل" بحركات عضلية معينة لإصدار هذه
الأصوات. والحركات العضلية التي يقوم بها المتكلم تعد "رد فعل" لدافع "مثير" -
وهي في قصتنا هذه رؤية جيل للتفاحة وهي جائعة- ورد الفعل في حالتنا هذه ليس
رد فعلي "عملي" كأن تحاول جيل من أن تثب من على السور وتحضر التفاحة
لنفسها إنه "رد فعل بدلي لغوي"، أي أن "الكلام" حل محل العمل الذي كان من
المحتمل أن يصدر عنها. ثم إن "الموجات الصوتية" الخارجة من فم "جيل" قد جعلت
الهواء المحيط يضطرب على شكل موجات مماثلة. وأخيرا طرقت هذه الموجات
الصوتية طبلي أذني جاك، وذذبتهما، وأثرت هذه الذبذبات على أعصابه. "لقد
سمع" جاك "الكلام". ولقد أحدث هذا السماع لدى جاك دافعا أو "مثيرا" فسلك السلوك
الذي ذكرناه، كما لو كان جوع جيل ورؤيتها التفاحة قد أثرا فيه ودفعاه إلى السلوك
العملي الذي سلكه: إن جاك من حيث هو شخص متكلم "أي نو قدرة على الكلام
وعلى فهم الكلام" ظهر رد الفعل عنده على نوعين مختلفين من المثيرات: أحدهما

¹ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، (ص:249).

² المرجع نفسه، (ص:249).

"المثيرات العملية" كالجوع ورؤية الطعام" والثاني "المثيرات الكلامية" أو "البديلية" وهي نذبذبات معينة في طبلي أذنه¹.

ونحن، طلبة اللغة، يعنينا، على وجه الخصوص، "الحدث الكلامي" الذي يبدو هين الشأن في ذاته، ولكنه وسيلة لغايات كبيرة. ونحن نميز اللغة، وهي موضوع دراستنا، من الأحداث "الواقعية" أو العملية"، هذه الأحداث التي ندعوها "المثيرات" "وردود الأفعال". وإن الكلام، الذي هو هين الشأن، وغير هام في ذاته. ليعد ذا أهمية لأن له "معنى": والمعنى يتكون من الأشياء المهمة التي يتعلق به الكلام أي من الأحداث العملية "التي تكون القسمين الأول والثالث من قصة جاك وجيل والتفاحة"².

مع أن "السلوكية" التي طبقها بلومفيلد على اللغة "سلوكية" آلية" يدخل في اعتباره بعض العناصر غير اللغوية المتصلة بالكلام، ويعتبرها عنصراً لازماً لإدراك معنى الكلام، فالمدرسة السلوكية لا تتجاهل بعض ما نسميه العناصر "الاجتماعية" ولكنها تعبر عنها بمصطلحات خاصة بها: إنها لا تتجاهل في الحقيقة شخصية المتكلم وشخصية السامع وبعض الظروف المحيطة بالكلام: بل إن هذه المدرسة بعنايتها بتحليل المظاهر الفسيولوجية والفيزيائية خاصة قد وجهت عناية اللغويين نحو ربط المعنى بمجالات غير الكلام، مجالات تستلزم التحليل على مستويات خاصة"³.

وهناك عدة اعتراضات وجهت إلى هذا التفسير السلوكي منها⁴:

أ- "إن هذا المنهج يملك جدارة محاولة دراسة المعنى على أسس قابلة للملاحظة، ولكن كلمات كثيرة لا تدل على أشياء أو خصائص قابلة للملاحظة ولذا لا تملك السلوكية شيئاً مفيداً لتقوله عنها".

ب- لكي تستخدم هذه النظرية لا بد أن يكون هناك ملامح مشتركة وخاصة بكل المواقف التي ينطق فيها حدث معين بمعنى معين، ولا بد أن يكون هناك

¹ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، (ص:250).

² المرجع نفسه، (ص:250).

³ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، (ص:251).

⁴ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص: 62-65).

ملاح مشتركة وخاصة بكل الاستجابات التي تترتب على نطق أي تعبير معين بمعنى معين".

ج- إن هذه النظرية قامت على أساس تجارب أجريت على تعلم السلوك في الحيوانات الدنيا، ثم نقلت النتائج إلى الحيوان البشري في استعماله للرموز النطقية، وهذا من أكبر الخطأ، إذ أن ما ينطبق على الحيوانات الدنيا قد لا ينطبق على الإنسان".

هناك اتجاه سلوكي آخر نحو المعنى قدمه الفيلسوف الأمريكي Charles Morris وقد لاقى رواجاً كبيراً في الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي، هذا الاتجاه أخرج - من معنى الصيغة - الاستجابة أو رد الفعل، واكتفى بمجرد الميل أو الرغبة، وقد ذكر أنصاره في تعليل ذلك أن الدلالة على معنى معين لا يمكن ببساطة أن تربط دائماً بإثارة استجابة واضحة معينة، لأنه من الممكن -حين توجد الاستجابات الواضحة- أن تتنوع هذه الاستجابات دون أن يوجد تنوع في المنطوق¹.

3-5-4- نظرية السياق:

كان زعيم هذا الاتجاه فيرث "الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة"²

معنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو "استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه، ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة"³، فالمعنى عندهم يفسر باعتباره وظيفة في سياق⁴.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص: 65).

² المرجع نفسه، (ص: 68).

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص: 68).

⁴ المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس علي (ص: 117).

وعلى هذا فـ "دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي، ومعنى الكلمة -على هذا- يتعدد تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها، أو بعبارة أخرى تبعاً لتوزيعها اللغوي"¹.

يشقق فيرث المعنى إلى خمس وظائف أساسية مكونة، وهي²:

- أ- الوظيفة الأصواتية للصوت باعتباره مقابلاً إبدالياً، فالأصوات لها مواضعها في السياق وفي نظام العلاقات الذي يدعوه البنية الأصواتية للغة.
- ب- الوظيفة المعجمية للمبنى أو الكلمة، بوصفها مقابلاً إبدالياً.
- ج- الوظيفة التصريفية.
- د- الوظيفة التركيبية، كما إذا نطقت الجملة السابقة بتنغيم استفهامي: (عفوت عن القاتلة؟) أو تعجبي (عفوت عن القاتلة!).
- هـ- الوظيفة الدلالية، ولا تتأتى+ هذه الوظيفة إلا بالتحقق السياقي للقول في موقف فعلي معين، ويسمى هذا السياق سياق الموقف.

وقد اقترح K. Ammer تقسيماً للسياق ذا أربعة شعب يشمل³:

- أ- السياق اللغوي.
- ب- السياق العاطفي.
- ج- سياق الموقف.
- د- السياق الثقافي.

أما السياق اللغوي فيمكن التمثيل له بكلمة "يد" التي ترد في سياقات متنوعة منها⁴:

- أعطيته مالا عن ظهر (يد): يعني تفضلاً ليس من بيع ولا قرض ولا مكافأة.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، (ص: 69).

² المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس علي (ص: 120).

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، (ص: 69).

⁴ المرجع نفسه، (ص: 69-70).

- هم (يد) على من سواهم: إذا كان أمرهم واحداً.

- (يد) الفأس ونحوه: مقبضها.

- (يد) الريح: سلطانها.

- هذه (يدي) لك: أي استسلمت وانقدت لك...إلخ.

السياق العاطفي "يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً، فكلمة (يكرة) غير كلمة (يبغض) رغم اشتراكهما في أصل المعنى كذلك"¹

وسياق الموقف "يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، مثل استعمال كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس: (يرحمك الله) -البدء بالفعل- وفي مقام الترحم بعد الموت (الله يرحمه) -البدء بالاسم-، فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية تعني طلب الرحمة في الآخرة، وقد دل على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير"².

والسياق الثقافي "يقضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، فكلمة جذر لها معنى عند المزارع، ومعنى ثاني عند اللغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات"³.

ولعل أهم ميزات يتمتع بها المنهج السياقي⁴:

أ- أنه يجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي، وعلى حد تعبير "فيرث" أنه يبعد عن فحص الحالات العقلية الداخلية التي تعد لغزاً

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:70-71).

² المرجع نفسه، (ص: 71).

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص: 71).

⁴ المرجع نفسه، (ص: 73).

مهما حاولنا تفسيرها، ويعالج الكلمات باعتبارها أحداثاً وأفعالاً وعادات تقبل الموضوعية والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة بنا.
ب- أنه لم يخرج في تحليله اللغوي عن دائرة اللغة، وبذا نجا من النقد الموجه إلى جميع المناهج السابقة (الإشاري - التصوري - السلوكي).

ومع هذا فقد وجهت عدة اعتراضات على هذه النظرية، منها¹:

- أ- أن فيرث لم يقدم نظرية شاملة للتركيب اللغوي، واكتفى فقط بتقديم نظرية للسيمانتيك مع أن المعنى يجب أن يعتبر مركباً من العلاقات السياقية، ومن الأصوات والنحو والمعجم والسيمانتيك.
ب- لم يكن فيرث محددًا في استخدامه للمصطلح السياق مع أهميته، كما كان حديثه عن الموقف غامضاً غير واضح، كما أنه بالغ كثيراً في إعطاء ثقل زائد لفكرة السياق.
ج- أن هذا المنهج لا يفيد من تصادفه كلمة ما عجز السياق عن إيضاح معناها فلن يفيد شيئاً أن تقول له إن هذه الكلمة ترد في السياقات الآتية، ولكنه يفيد الباحث الذي يريد أن يتتبع استعمالات الكلمة واستخداماتها العملية في التعبيرات المختلفة.

وهناك من أصحاب هذه النظرية من ركز على السياق اللغوي وتوافق الوقوع أو الرصف، وقد عرف الرصف بأنه: الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة، أو استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى، ومن أمثلة ذلك: ارتباط كلمة "منصهر" مع مجموعة من الكلمات: حديد، نحاس، ذهب فضة... ولكن ليس مع "جلد" مطلقاً².

وأهم ما يميز هذا الاتجاه ما يأتي³:

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، (ص: 73-74).

² المرجع نفسه ، (ص: 74).

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، (ص: 75-77).

أ- أنه لا يهتم من بين أنواع السياق إلا بالسياق اللغوي، أو السياق اللفظي، أي بيان الكلمات التي تنتظم معها الكلمة موضوع الدراسة.

ولما كان من المعتاد أن تنتظم الكلمة مع أكثر من مجموعة، وأن تقع في أكثر من سياق لغوي فقد ظهر مصطلح "الوقوع المشترك"، ومصطلح "احتمالية الوقوع"، ووضع فيرث ما سماه اختبار الوقوعية أو الرصفية الذي يقوم على أساس تبديل المفردات المعجمية، أو تبديل أنواع السياق اللغوي لإصدار الأحكام.

ب- أنه يهتم ببيان الخصائص النحوية والصرفية، ويستخدمها في تحديد السياقات التي تقع فيها الكلمة.

ج- أنه لا يعتبر الجملة كاملة المعنى إلا إذا صيغت طبقاً لقواعد النحو، وراعت توافق الوقوع بين مفردات الجملة، وتقبلها أبناء اللغة وفسروها تفسيراً ملائماً، وهو ما أطلق عليه اسم التقبلية.

3-5-5- نظرية الحقول الدالية:

الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي هو "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها"¹، "مثل (أحمر، أزرق، أصفر، ...الخ) التي تشترك في حقل الألوان، ومثل: (أب، أم، جد، جدة، ابن، بنت، أخ، أخت، عم، عمة، خال، خالة، ...الخ) التي تشترك في حقل القرابة"².

وتقول هذه النظرية إنه "لكي تفهم معنى كلمة يجب كذلك أن تفهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليًا، وهدف التحليل للحقول الدالية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلاً معيناً، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام"³.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:79).

² المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس علي (ص: 126).

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:80).

ويتفق أصحاب هذه النظرية على جملة مبادئ، منها¹:

- أ- لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل.
- ب- لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.
- ج- لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
- د- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.

وقد وسع بعضهم مفهوم الحقل الدلالي ليشمل الأنواع الآتية²:

- أ- الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة.
- ب- أجزاء الكلام وتصنيفاتها النحوية.
- ج- الحقول السننجمائية، وتشمل مجموعات الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال، ولكنها لا تقع أبداً في نفس الموقع النحوي، مثل:

كلب- نباح

فرس- سهيل

زهر- تفتح...الخ

يقوم عمل معجم مصنف للمفاهيم على أساسين هما³:

- أ- وضع قائمة بمفردات اللغة.
 - ب- تصنيف هذه المفردات بحسب المجالات أو المفاهيم التي تتناولها.
- ولكن المشكلة التي تواجه واضعي هذه المعاجم تتمثل في ثلاثة أشياء، هي⁴:

- أ- حصر الحقول أو المفاهيم الموجودة في اللغة وتصنيفها.
- ب- التمييز بين الكلمات الأساسية والكلمات الهامشية داخل الحقل.
- ج- تحديد العلاقات بين الكلمات داخل كل حقل.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، (ص:80).

² المرجع نفسه، (ص:80-81).

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، (ص:85).

⁴ المرجع نفسه، (ص:86-87).

يقسم "ألمان" الحقول إلى أنواع ثلاثة، هي¹:

- أ- الحقول المحسوسة المتصلة، ويمثلها نظام الألوان في اللغات، فمجموعة الألوان امتداد متصل يمكن تقسيمه بطرق مختلفة، وتختلف اللغات فعلاً في هذا التقسيم.
- ب- الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة، ويمثلها نظام العلاقات الأسرية، فهو يحوي عناصر تتفصل واقعاً في العالم غير اللغوي، وهذه الحقول كسابقتها يمكن أن تصنف بطرق متنوعة بمعايير مختلفة.
- ج- الحقول التجريدية، ويمثلها ألفاظ الخصائص الفكرية، وهذا النوع من الحقول يعد أهم من الحقلين المحسوسين نظراً للأهمية الأساسية للغة في تشكيل التصورات التجريدية.

لهذه النظرية أهمية تتمثل فيما يأتي²:

- أ- الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والخلاف بين الكلمات التي تتضوي تحت حقل معين وبينها وبين المصطلح العام.
- ب- أن تجميع الكلمات داخل الحقل الواحد وتوزيعها يكشف عن الفجوات المعجمية التي توجد داخل الحقل (أي عدم وجود الكلمات المطلوبة لشرح فكرة ما أو التعبير عن شيء ما، وتسمى هذه بالفجوة الوظيفية).
- ج- أن هذا التحليل يمدنا بقائمة من الكلمات لكل موضوع على حدة، كما يمدنا بالتمييزات الدقيقة لكل لفظ، مما يسهل على المتكلم أو الكاتب في موضوع معين اختيار ألفاظه بدقة وانتقاء الملائم منها لغرضه.
- د- أن هذه النظرية تضع مفردات اللغة في شكل تجمعي ينفي عنها التسبب المزعوم.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:107).

² المرجع نفسه، (ص:110-113).

هـ- أن تطبيق هذه النظرية كشف عن كثير من العموميات والأسس المشتركة التي تحكم اللغات في تصنيف مفرداتها، كما بين أوجه الخلاف بين اللغات بهذا الخصوص.

و- من المشكلات التقليدية في المعاجم التمييز بين الهومونيمي والبوليزيمي، فالنوع الأول يقسم إلى مداخل بعدد كلماته، أما النوع الثاني فيوضع في مدخل واحد لأنه كلمة واحدة في الحقيقة.

ز- أن دراسة معاني الكلمات على هذا الأساس تعد في نفس الوقت دراسة لنظام التصورات، وللحضارة المادية والروحية السائدة، وللعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، كما أن دراسة التطورات أو التغيرات داخل الحقل الدلالي تعني في نفس الوقت دراسة التغيرات في صورة الكون لدى أصحاب اللغة.

3-5-6- النظرية التحليلية:

يأخذ الاتجاه التحليلي في دراسة معاني الكلمات مستويات متدرجة على النحو التالي¹:

- أ- تحليل كلمات كل حقل دلالي وبيان العلاقات بين معانيها.
- ب- تحليل كلمات المشترك اللفظي إلى مكوناتها أو معانيها المتعددة.
- ج- تحليل المعنى الواحد إلى عناصره التكوينية المميزة.

وقد تناولنا النوع الأول من التحليل في النظرية السابقة، وفيما يلي النوعان الثاني والثالث.

تحليل كلمات المشترك اللفظي:

تقوم هذه النظرية في أساسها على "تشدير كل معنى من معاني الكلمة إلى سلسلة من العاصر الأولية مرتبطة بطريقة تسمح لها بأن تتقدم من العام إلى الخاص. وكل معنى للكلمة يحدد عن طريق تتبع الخط من " المحدد النحوي" إلى

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:114).

"المحدد الدلالي" إلى "المميز"، ويظل المرء متجهاً نحو التشذير حتى يحقق القدر الضروري من التوصيف والشرح وحينئذ يتوقف حيث لا تبقى هناك فائدة في إضافة أي محددات أخرى ما دامت لا تلقى ضوءاً على المعنى"¹.

طبقت هذه النظرية على كلمة bachelor التي تعطيها المعاجم المعاني الآتية²:

- أ- فارس صغير يخدم تحت فارس آخر.
- ب- حامل الشهادة الجامعية الأولى.
- ج- الرجل الأعزب.
- د- حيوان بحري معين بدون أنثاه خلال فترة الإخصاب.

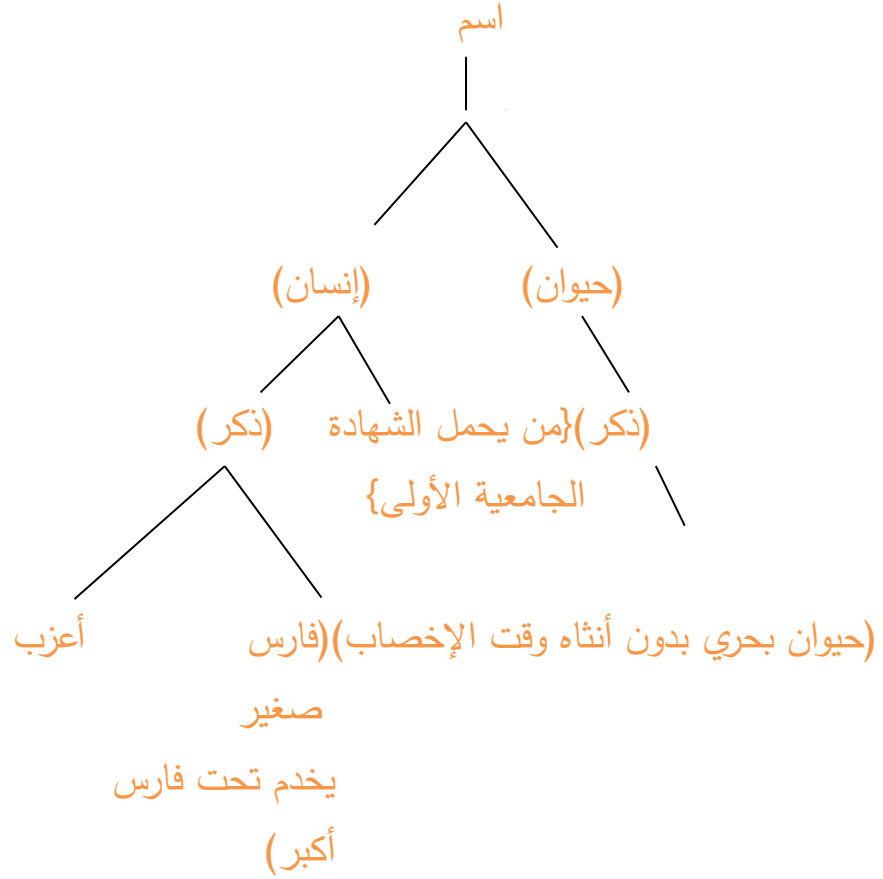
ولكن هذا التعداد للمعاني لا يقدم نظرية دلالية عامة، والشرح فيه غير مترابط، ولذا عدلت طريقة عرض هذه المعلومات، وقدمت في الرسم الشجري التالي³:

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، (ص:114)

²المرجع نفسه، (ص:115).

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:115).

Bachelor



وقد لاقت هذه النظرية بعض النقد، وبخاصة من النواحي الآتية¹:

- أ- تمييزها دون حاجة بين المحدد الدلالي والمميز.
- ب- عدد المحددات الدلالية وترتيبها يبدو تحكيمياً.
- ج- لا تميز النظرية بين الهومونيمي² والبوليزمي³.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، (ص:120).

² الهومونيمي : ويحدث نتيجة تطور صوتي حين توجد كلمتان تدل كل منهما على معنى ثم تتحد أصوات الكلمتين وتصبحان في النطق كلمة واحدة مثل (Sea) بمعنى بحر و(See) بمعنى يرى .أي (كلمات متعددة ومعان متعددة).

³ البوليزمي : ويحدث نتيجة تطور في الجانب الدلالي، أي نتيجة اكتساب الكلمة لمعان جديدة مثل كلمة (عملية) التي تستعمل للدلالة على العملية الجراحية، والخطة العسكرية. أي كلمة واحدة ومعان متعددة (علم الدلالة أحمد مختار عمر).

ولكنها من ناحية أخرى وجدت من دافع عنها وأثنى عليها¹:

- أ- فقد وصفت بأنها أحسن تجربة لتحليل المعنى إلى مكونات صغرى.
- ب- وذكر "ألمان" عنها أنها لعبت دوراً مهماً في تطوير السيمانتيك التركيبي، وأنها أول نظرية دلالية تفصيلية واضحة تستخدم في أمريكا لفترة طويلة، وقد ألقت أضواء من الاهتمام على المكونات الدلالية في علم النحو التوليدي التحويلي، كما أنها أبرزت مناقشة حية طموحة حول عدد من المشكلات الأساسية.
- ج- اعتبرت القسيم للأجناس النحوية (اسم- فعل- صفة...) فكما نحتاج إلى الأجناس النحوية لشرح العلاقات داخل الجملة، فنحن في حاجة لهذه العناصر أو المكونات لشرح العلاقات الدلالية.

يبدأ القيام بهذا التحليل بعد أن ينتهي تحديد الحقول الدلالية، وحشد الكلمات داخل كل حقل، فلكي يتبين معنى كل كلمة، وعلاقة كل منها بالأخرى، يقوم الباحث باستخلاص أهم الملامح التي تجمع كلمات الحقل من ناحية، وتميز بين أفرادها من ناحية أخرى².

الخطوات الإجرائية لتحديد العناصر التكوينية³:

- أ- استخلاص مجموعة من المعاني (بصورة مبدئية) تبدو الصلة القوية بينها بحيث تشكل مجالاً دلالياً خاصاً نتيجة تقاسمها عناصر تكوينية مشتركة، ومثال ذلك كلمات: أب- أم- ابن- بنت- أخت- أخ- عم... فكلها تتقاسم قابلية التطبيق على الكائن البشري، وتتعلق بالشخص الذي يتصل بآخر إما عن طريق الدم أو المصاهرة.
- ب- يعقب ذلك تقري الملامح التي تستخدم لتحديد المحتويات التي تستعمل للتمييز، وهي بالنسبة للكلمات السابقة ستكون ملامح: الجنس والجيل والانحدار المباشر وقرابة الدم أو المصاهرة.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:120-121).

² المرجع نفسه، (ص:121).

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:122-123).

ج- ويلي ذلك تحديد المكونات التشخيصية لكل معنى على حده حتى نقدر على القول بأن معنى أب مثلاً يتميز بتملكه للملامح أو المكونات كذا وكذا...
د- وأخيراً توضع تلك الملامح في شكل شجري كما سبق أو في شكل جدول. كذلك يمكن وضع الملامح في شكل تقابلات ثنائية تتحقق بالزائد أو الناقص على النحو التالي¹:

بالغ + أو -	كائن بشري + أو -	ذكر + أو -	
+	+	+	رجل
+	+	-	امرأة
-	+	+ أو -	طفل
+ أو -	-	+ أو -	كلب
+ أو -	-	-	كلبة
-	-	+ أو -	جرو

وأصحاب فكرة الثنائية يرون أن المعنى ليس شيئاً في نفسه، وإنما هو مجموعة من العلاقات التقابلية، ولا مجال لتحديد معنى بدون اعتبار للمقارنات والتقابلات مع معان أخرى داخل نفس المنطقة الدلالية.

وفائدة هذه الفكرة - إلى جانب ما سبق - أنها تظهر الحقيقة أن كلا الملمحين (على سبيل المثال + ذكر مع - ذكر) ينتمي إلى نفس النظام، كما تظهر العلاقات الثنائية بين أفراد الثنائي².

وقد نحتاج أحياناً إلى "علاقات ثلاثية بدلاً من الثنائية فتكون العلاقات مثلاً: +ذكر، - ذكر، + ذكر، والأخير يعني أن الجنس قد يكون: +ذكر، أو -ذكر، فكلمة

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:126).

² المرجع نفسه، (ص:126).

فرس مثلاً تطلق على الذكر وعلى الأنثى، ولذا يرمز لها بالرمزين + - ذكر ليدلا على أن الجنس قد يكون + ذكر، أو - ذكر¹.

تطبيقات للنظرية:

هناك مجالات كثيرة يمكن استخدام النظرية التحليلية فيها، كما أن هناك مشكلات يمكن دراستها على ضوء هذه النظرية، ومن ذلك:

أ- المجاز²: إن معنى الكلمة طبقاً للنظرية التحليلية هو طاقم الملامح أو الخصائص التمييزية، وكلما زادت الملامح لشيء ما قل عدد أفرادها، والعكس صحيح كذلك، وعلى هذا يمكن تضيق المعنى وتوسيعه عن طريق إضافة ملامح أو حذف ملامح، ولا شك أن تضيق المعنى أو توسيعه يعد ضرباً من المجاز.

ومن الممكن إيضاح هذه الفكرة بالأمثلة الآتية:

أ- الفعل "يقطع" يعني فعل الكسر أو الشق لشيء متصل (مثل خيط) بشيء حاد، فإذا قلنا "قطع الخيط" كان المعنى حقيقياً، وإذا قلنا "قطع كلامه" كان المعنى مجازياً.

ب- الفعل "يجري" يعني حركة عن طريق نقل الأرجل بسرعة، فإذا ألقينا اعتبار الأرجل صح القول: "جرى القطار" أو "جری الماء".

ب- الحقول الدلالية³: استخدم اللغويون النظرية التحليلية بنجاح في دراسة كثير من الحقول أو المجالات الدلالية.

ج- اكتساب الطفل للكلمات⁴: من المعروف أن الأطفال الصغار يميلون إلى تعميم مدلولات الكلمات الأولى التي يتعلمونها، واستخدامها في مجالات أوسع من المجالات التي يستخدمها فيها البالغون، ويمكن أن يفسر هذا على أن

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، (ص:126).

² المرجع نفسه ، (ص:126-127).

³ علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، (ص:127-128).

⁴ المرجع نفسه، (ص:132).

الطفل قام بعملية إسقاط لبعض الملامح التمييزية وإبراز لبعضها الآخر، ومن أمثلة ذلك:

أ- إطلاق الطفل كلمة "تفاحة" على البرتقالة، وعلى كرة التنس، وعلى أكرة الباب المكورة، وعلى ثقالة الورق، بجامع التكور والصغر في كل، وهو الجانب المدرك أو الحسي لدى الطفل، وبإسقاط العنصر المميز في كل.

ب- إطلاق الطفل كلمة "عم" على كل رجل بالغ حتى دون أن يكون له صلة قرابة به.

د- الترادف¹: يمكن استخدام نظرية العناصر للحكم على كلمتين بالترادف، وذلك إذا أعطيتا نفس الملامح التكوينية أو التشخيصية بغض النظر عن الاختلافات العاطفية أو الثانوية.

وكما تساعد النظرية على إثبات الترادف بين اللفظين، تساعد على نفي الترادف عن لفظين قد يظن ترادفهما.

وخلاصة القول بعد هذا الاستعراض لمفهوم الدلالة وأنواعها وتطورها وظواهرها ونظرياتها، يتضح لنا مدى اهتمام العلماء قداماء ومحدثين بهذا العلم الذي شق طريقه في التطور، فالدلالة مرتبطة باللغة، التي هي وسيلة للتواصل وهي مرآة للمجتمع، حيث إن تطور الحياة يؤثر بشكل كبير على تطور اللغة أيضاً، ولا يكتمل الدرس الدلالي إلا بدراسة السياق، فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها -سواء كانت تلك السياقات لغوية أو غير لغوية- وهذا سيكون موضوع الفصل القادم بإذن الله.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:134-135)

الفصل الرابع

السياق

مفهومه وأنواعه وتطور نظرياته

إن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها سواء كانت تلك السياقات لغوية أو غير لغوية- وعلى هذا يتعدد المعنى تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها، وبناء على هذا فقد درسنا في هذا الفصل موضوع السياق من جوانب متعددة ابتدأناها بمفهوم السياق في اللغة والاصطلاح، يتلوه أنواع السياق -اللغوي وغير اللغوي- ثم تتبع تطور نظرية السياق عند فيرث ثم هايمز وهالدي وغيرهم، ثم يتلوه تتبع لآراء العلماء العرب حول أهمية السياق في بيان دلالة النصوص.

4-1 مفهوم السياق:

4-1-1- السياق لغة:التتابع، فهو من مادة: "سوق"، والسوق معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سَوْقاً وسياقاً وهو سائقٌ وسَوَّاقٌ شَدِيدٌ للمبالغة، قال تعالى: "وجاءت كلُّ نَفْسٍ معها سائقٌ وشَهِيدٌ"¹، قيل في التفسير سائقٌ يسوقها إلى محشرها، وفي الحديث وسَوَّاقٌ يسوق بهن، أي حادٍ يَحْدُو الإبلَ فهو يسوقهن بحدائيه، وقد انسأقت وتَسَاوَقَتِ الإبلُ تَسَاوُقاً إذا تتابعت"².

و"أصل السِّياقِ سواق، فُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِكَسْرِ السِّينِ، وَتَسَاوَقَتِ الْإِبِلُ أَي: تَتَابَعَتْ، وَكَذَلِكَ تَقَاوَدَتْ فَهِيَ مُتَسَاوِقَةٌ، وَمُتَقَاوِدَةٌ، وَأَصْلُ تَسَاوُقٍ تَتَسَاوُقُ كَأَنَّهَا لَصَغْفِهَا وَهَزَالِهَا تَتَخَاذَلُ، وَيَتَخَلَّفُ بَعْضُهَا عَنِ بَعْضٍ، وَهُوَ مَجَازٌ، وَانْسَاقَتِ الْإِبِلُ: سَارَتْ مُتَتَابِعَةً"³.

¹سورة ق، الآية: 21.

²لسان العرب، ابن منظور، (ص: 2153).

³تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، دار الهداية، (ص: 475).

4-1-2- السياق اصطلاحاً:

اهتمت بعض الدراسات الحديثة بالسياق، خاصة ما عرف بمدرسة لندن بزعامة "فيرث" الذي تبلور اتجاهه فيما عرف باسم النظرية السياقية، و"معنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه، ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة"¹.

تعد نظرية السياق في الدراسات اللغوية الحديثة من أكثر النظريات اللغوية التصاقاً بعلم الدلالة؛ وذلك لدورها الرئيس في تحديد معنى النص وكشف مغاليقه، ف"الكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلا بمقابلتها لما هو سابق لها ولما هو لاحق أو لكليهما معاً"². ولا نعني بالسياق السياق اللغوي وحده دون الرجوع إلي الموقف الذي قيل فيه، أو البيئة الثقافية التي نشأ فيها، وإنما نعني به مجموع هذه الأنواع الثلاثة، "فتحديد مفهوم السياق يحكمه بعدان: بعد داخلي وبعد خارجي، فالبعد الداخلي يتعلق باللغة وتراكيبها من حيث موقع الكلمة بين أخواتها، والهيئة التي ائتلفت فيها الكلمات مع بعضها، ومكان هذه الائتلافات والتراكيب من الموضوع الجامع لها، أو بعبارة أخرى هو طريق تسييق الكلمة المفردة داخل الجملة، وتسييق الجملة مع الجمل الأخرى، وتسييق هذه الجمل داخل الإطار الكلي للنص"³.

والبعد الخارجي "يتمثل في الظروف والخلفيات المحيطة بالنص، سواء منها ما يتصل بالمخاطب أو المخاطب، وكذلك البيئة الزمانية والمكانية النابع منها النص، وكذلك يشمل الأسس الفكرية والحياتية القائمة وراءها، وهو بهذا المعنى يشمل جملة الملابس والأحوال والظروف القائمة في الإطار الزمني والمكاني لعملية التخاطب"⁴.

¹ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص:68).

² علم اللغة العام، فرديناند ديوسير، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، 1985م، (ص:186).

³ السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل، أكاديمية الفكر الجماهيري، دار الكتب الوطنية، ليبيا- بنغازي 2011م، (ص:14).

⁴ المرجع نفسه، (ص:15).

والنظرية السياقية "وسعت دائرة دراستها لتشمل اللغة الأدبية واللغة غير الأدبية، على اعتبار أن اللغة تأخذ شرعيتها من المجتمع الذي توجد فيه، وأن إهمال اللغة غير الأدبية هو تقصير في حق جزء كبير من اللغة"¹.

ولعل "العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة السياق تتجلى في أن استخدام مصطلح السياق نابع من الظروف المحيطة بالكلام -سواء منها ما يتعلق باللغة وتركيبها أو الملابس الخارجية- تعد وكأنها تسوق الكلام؛ لأن هذه الظروف تكون مصاحبة له ولهذا جعلت وكأنها تقوده أو تسوقه أمامها، وبهذا يكون خاضعاً لهذه الظروف، وعندما يقال: أثر السياق في المعنى فإنه يقصد به أثر هذه الظروف، أي مدى تأثيرها في المعنى وخضوعه لها وتلونه بلونها"².

ويعتبر "السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي شامل لأجزاء التخاطب الرئيسية: المرسل، والرسالة، والمتلقي، فسياق المرسل يكمن في الظروف المحيطة به أثناء فترة إنشاء الخطاب، من هذه الظروف: المحيط الاجتماعي، والاستعدادات، والإمكانات، والانفعالات التي تؤثر بدورها في عملية إنشاء الخطاب، وسياق الرسالة يتمثل في الهيئة التي تشكلت بها، والقالب أو الإطار والموضوع الذي صيغت فيه وهذا كله يندرج تحت سياق الجنس الأدبي الذي تنتمي إليه الرسالة، ثم السياق اللغوي، فالحضاري العام، وأما سياق المتلقي فيكمن في المواقف الذاتية، والاستعدادات النفسية، والرؤية الخاصة التي ينطلق منها في فهمه للنصوص أثناء ممارسته لعملية القراءة"³.

ولئن استطعنا تحديد السياق اللغوي ببعض القيود والضوابط، فإننا لا نستطيع الإحاطة بالسياق الخارجي؛ لأن "كل ما يحيط بالنص أو القول يعد سياقاً له، فإذا كان السياق اللغوي يخضع نسبياً للمعيارية والمنطق العقلي، إلى جانب الذوق، فإن السياق الخارجي لا يخضع لمعيار أو قانون محدد يحكمه؛ لأنه قد تتداخل هذه

¹السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، مؤسسة السياب (لندن)، (ص:6).

²السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل، (ص:15).

³المرجع نفسه، (ص:16).

الظروف المحيطة بتكوين النص وقراءته، وقد يغلب جانب منها على آخر ، فيختلف تبعاً لذلك فهم النص والحكم عليه من حيث القيمة"¹.

والاعتماد على السياق في معظم التعبيرات الإشارية له نتيجة دلالية مهمة "إذ إن الخبر الذي يجعله قول ما يميل إلى التنوع وفق سياق القول، فعلى سبيل المثال: صديقي وصل لتوه My friend has just arrived، يمكن أن تستخدم لصياغة خبر عن أفراد مختلفين كثيرين بلا حدود تبعاً لما تشير إليه "My friend" في سياقات معينة للقول، وعندما نتكلم عن العلاقات الدلالية التي تربط بين الجمل بفضل محتواها الخبري، فنحن نفعل ذلك وفق الافتراض الصريح أو الضمني الذي يذهب إلى أن مدلول كل التعبيرات الإشارية ثابت لا يتغير"².

ويمكننا القول: "بأن جودة السياق وكفاءته في النص تتوقف على مدى ما يتوفر فيه من إمكانيات تجعله قادراً على استيعاب الأفكار والمشاعر، وهذه الإمكانيات توفر له من الخصوصيات ما يحقق به التمايز عن غيره من الكلام من حيث التفاوت في درجات الجودة"³.

والحاجة إلى معرفة السياق نابعة -أيضاً- من "أن صاحب النص لا يتقيد بحرفية اللغة، ولأن المعاني أيضاً متجددة باستمرار، ولا بد - لكي نحددها أو نتأثر بها- من الوقوف على سياقها الذي وردت فيه، كما أن صاحب النص قد يستخدم الكلمات استخداماً جديداً يكسبها معنى خاصاً، وهذا المعنى يفسره السياق؛ لأن الكلمات في كل نص تبتعد عن علاقاتها وتبحث عن علاقات جديدة"⁴.

وهناك اختلاف مهم بين الدلالة الذاتية والعلاقة بين الكلمة ومقصودها، فالأخيرة بخلاف الأولى مقيدة بسياق القول، فعلى سبيل المثال التعبير "تلك البقرة" يمكن أن يستخدم في سياق مناسب ليشير إلى بقرة معينة -وهو المقصود بالكلمة-

¹السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل (ص:16-17).

²اللغة وعلم اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ط1، دار النهضة العربية، (ص:232).

³السياق وأثره في المعنى، عرفات فيص المناع، (ص:18).

⁴المرجع نفسه، (ص:18).

ويمكن أن يستخدم في سياقات مختلفة ليشير إلى بقر متنوع، والعلاقة بين الكلمة ومقصودها في أي سياق معين يحددها جزئياً المعنى الأصلي للكلمة "ويشمل الدلالة الذاتية لكلمة "بقرة" ويحدده أيضاً جزئياً السياق الذي تنطق فيه، والأغلبية العظمى من التعبيرات الإشارية في اللغات الطبيعية معتمدة على السياق بطريقة أو بأخرى¹. ومن المعلوم أن وظيفة اللغة هي إبلاغ الأفكار التي يحملها المتكلم، وهذا ما نلاحظه في اللغة العادية، أي لغة التعامل اليومي بين الأفراد، "أما عندما نكون مع لغة الأدب فإن الأمر يختلف؛ لأن اللغة عندئذ تكون محملة بالعاطفة إلى جانب الفكرة، وتصبح وظيفة اللغة التأثير في المتلقي إلى جانب الإبلاغ، فكلمات اللغة قد تكون أحياناً غير قادرة على توصيل هذه العاطفة، ولكن هذه العاطفة تكون منبثة عبر أنفاس الكلمات في النص، لذا فإنه لكي تتحقق القراءة الجيدة لهذا النص لا بد من تلمس القرينة التي تضيء السبيل لإدراك هذه الغاية، وعليه فإن هذه الأمور وغيرها تلح علينا في ضرورة الكشف عن السياق الذي يحوي النص ويحويه"². وإضافة إلى أن السياق يساعد القارئ على تلمس المعاني المنبثة داخل النص، والمندسة في ثناياه وبين سطوره، فهو في أحيان كثيرة لازم لتحديد المعنى الحرفي، وهو كما في قوله تعالى: "إِنِّيَأْرَمَأَلَأْتْرُونَ"³، فلا يمكن معرفة ما إذا كانت الرؤيا هنا بصرية وليست قلبية إلا بالاطلاع على السياق الذي وردت فيه هذه الآية⁴.

وكلما كان النص مبهماً غامض المعنى تأبى على الفهم، وضعف تأثيره في نفس القارئ؛ لأن القارئ لم يستطع أن يتوصل إلى السياق الذي بدونه لا يتحقق الامتزاج والتلاحم مع النص⁵.

¹اللغة وعلم اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، (ص:231).

²السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل (ص:19).

³سورة الأنفال، الآية: 48.

⁴السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل (ص:20).

⁵المرجع نفسه، (ص:21).

والسياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي "هو ما يجعلنا نفضل كلمة على أخرى إذا كان معناهما العام واحداً، وعلى هذا استند بعض البلاغيين في التفريق بين الألفاظ التي تبدو مترادفة، وذلك حسب الموقف الذي يفرض على مستعمل اللغة اعتبار هذه الكلمة دون تلك لأنها تتناسب وغرضه... فالكلمة عندما توضع في سياق داخل نص ما، فإنها تولد من جديد، فيؤدي السياق دوره في إضفاء دلالات جديدة على هذه الكلمة، أو يقوم بإزالة بعض الدلالات الأخرى العالقة بها، والإبقاء على دلالة واحدة، وهي الدلالة التي يتم ترجيحها من خلال هذا السياق، وما ذاك إلا لمجاورة الكلمة لكلمات أخرى في سلك النص، مما يجعل لهذه الكلمة وقعاً خاصاً غير الوقع الذي كان لها قبل دخولها في هذا السياق"¹.

4-2- النظرية السياقية في الفكر اللغوي الغربي:

يطلق مصطلح السياق في الفكر اللغوي الغربي على "أجزاء القول أو النص المجاورة أو القريبة من الوحدة اللغوية المراد تفسيرها...والسياق عندهم نوعان: نوع داخلي له علاقة بما يسبق النص أو يلحقه وهو السياق اللغوي، ونوع خارجي يشمل سياق الموقف، وسياق الثقافة"².

ينظر أصحاب النظرية السياقية إلى المعنى على أنه "وظيفة السياق، فالسياق وحده هو المسئول عن إيجاد المعنى الدقيق لأي نص لا العلاقات العقلية بين الدال والمدلول"³.

4-2-1- أنواع السياق:

للسياق نوعان، هما: السياق اللغوي والسياق غير اللغوي، ولكل منهما أقسام، وهي كما يلي:

¹السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل (ص:22-23).

²السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص:11).

³المرجع نفسه،(ص:11).

4-2-1-1- السيقاق اللغوي:

السيقاق اللغوي يعني "الهيئة الحاصلة من العلاقات الأفقية والرأسية بين الوحدات اللغوية التي يتكون منها النص، واللغة في ضوء علم اللغة الحديث هي نظام من العلاقات، فاللغة ليست مادة وإنما هي شكل مكون من رموز اصطلاحية، وتتحدد دلالة كل عنصر من خلال علاقته بالعناصر الأخرى، وهذه العلاقة إما علاقة رأسية تتمثل في عملية اختيار البدائل، أي الكلمات وعلاقاتها، مثل علاقة الكلمة مع الأخرى من حيث الاشتقاق والترادف والتضاد... الخ، أو علاقة أفقية تتمثل في الامتداد الأفقي لأجزاء الجملة كعلاقة الفاعلية والمفعولية... الخ، فالفعل يتطلب فاعلاً، وبعض الأفعال والصفات يتطلب نوعاً معيناً من الموصوفين، مثل: قال لإنسان وصهل لفرس... الخ، فهذه العلاقات هي التي تبرر وجود الكلمة داخل التركيب"¹.

ويمكن -أيضاً- تعريف السيقاق اللغوي بأنه "البيئة اللغوية للنص من مفردات وجمل وخطاب، فالنص _من وجهة أصحاب هذه النظرية_ يجب أن يحل وفق المستويات اللغوية المختلفة: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى المعجمي كخطوة أولى في طريق فهم المعنى"² ونتناول هذه المستويات بشيء من التفصيل كما يلي:

4-2-1-1- المستوى الصوتي:

اللغة نظام من الرموز الصوتية التي تقوم على مجموعة من العلاقات والقواعد والعناصر المتضافرة فيما بينها، ودراسة هذه الوحدات بقواعدها وعناصرها أمر ضروري في عملية التواصل بين أبناء اللغة الواحدة، إذ يؤدي الإخلال بها إلى التقصير الذي قد يؤدي إلى الغموض³.

¹ السيقاق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل (ص:55).

² المرجع نفسه، (ص:13-14).

³ السيقاق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل ، (ص:14).

ولما كانت اللفظة تحمل بعض الخصائص "كالخفة والنقل وتوصف بأن لها جرساً ونغمًا، ولما كانت هناك ألفاظ تتميز بخصائص صوتية وإيقاع متناغم مع ما تدل عليه في الخارج، ولما كانت هذه الخصائص والصفات لا تظهر قيمتها إلا عند توظيف الألفاظ في السياق، فإن المعول عليه في جانب صاحب الكلام أو منشئ النص هو حسن الاختيار واستغلال هذه الخصائص والصفات في مواضعها المناسبة"¹.

وإذا كانت الكلمة ذات طبيعة صوتية خاصة تؤدي مهمة تصويرية، فإن موقعها المناسب يكون داخل التركيب الذي تسهم فيه هذه الكلمة في تأكيد المعنى عن طريق الخاصية التي تحملها، أما إذا كانت الكلمة لا تحمل خصيصة زائدة على الاصطلاح والمواضعة، أو كان السياق لا يحتاج إلى كلمة تزيد على ذلك، فإن الاختيار عندئذ يكون منصباً على الكلمة المشترطة من قبل بعض البلاغيين، وهي الكلمة الخفيفة على اللسان، والخالية من تتافر الحروف، ولذا فإن كلمة (الديمة) مثلاً أفصح من كلمة (البعاق) في جميع الاستعمالات إذا كانت كلمة (البعاق) لا تثير شعوراً خاصاً يخدم الموقف الذي سيقى لأجله².

إن دراسة دور الأصوات في بيان المعنى يسمى في علم الأصوات العام بعلم وظائف الأصوات، أو الفونولوجي، ومعرفته من المسلمات في النظرية السياقية، إذ إنه الخطوة الأولى من خطوات دراسة المعنى عندهم ولكنه على الرغم من هذه الأهمية الواضحة في كل نص لغوي إلا أنه لا يختص بالتمييز بين الأساليب موضوع الدراسة؛ لذا سننتقل إلى موضوع في غاية الأهمية بالنسبة إلى دراسة الأساليب ذكره السياقيون وأكدوه بعده ظاهرة أسلوبية مميزة في الكلام المنطوق، وهو ما يطلق عليه في علم الأصوات بالفونيمات فوق التركيبية، وهي:

¹السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل، (ص:65).

²المرجع نفسه، (ص:56-66).

أ- النبر:

يعرف الدكتور أحمد مختار عمر النبر بأنه: "مقطع من بين مقاطع متتابعة يعطي مزيداً من الضغط أو العلو (نبر علوي) أو يعطي زيادة أو نقص في نسبة التردد (نبر يقوم على درجة للصوت)"¹، وهو عند رمضان عبد التواب "الضغط على مقطع خاص من كل كلمة، ليكون بارزاً أوضح في السمع مما عداه من مقاطع الكلمة"².

ويقوم النبر بوظيفة التمييز بين المعاني في داخل الكلمة، ويعمل جنباً إلى جنب مع التنغيم في التمييز بين الأساليب، وهو "ملح من ملامح الكلمة أو هو عنصر من عناصرها التي تميزها من غيرها، وتحيلها كلاً متكاملاً من حيث البناء والطلاء وقد عدّه بعضهم فونيمياً ثانوياً تأكيداً لقيمته النسبية في بنية الكلمة"³.

ب- التنغيم:

التنغيم هو "قمة الظواهر الصوتية التي تكسو المنطوق كله، وتتخلل عناصره المكونة له، وتكسبه تلويحاً موسيقياً معيناً حسب مبناه ومعناه، وحسب مقاصده التعبيرية وفقاً لسياق الحال أو المقام"⁴.

فلو أخذنا كلام المعري في بيت البحري:

بنا معشر العافين ما بك من أذى فإن أشفقوا مما أقول فبي وحدي

إذ يقول: "إذا سكت عن الشطر الأول احتمل معنيين: الإخبار، والدعاء، فالإخبار كمعنى قولهم للعليل: نحن أعلاء لعلتك، ومرضى لمرضك؛ أي أنا قد حملنا

¹أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر (ص:92).

²المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، تمام حسان (ص:103).

³علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب: القاهرة 2000م، (ص:513).

⁴المرجع نفسه، (ص:531).

من ذلك هما عظيماً...والدعاء إنما هو كالتمني لا يوجب أن بهم علة ولا مرضاً لأجل سقمه¹.

وهذا مما يعاب على اللغة المكتوبة إذ تكون أكثر عرضة للتأويل، "وهذا ما يفسر لنا قلة اختلاف النحويين والبلاغيين في النص القرآني لسماعهم إياه من القراء بنبره وتنغيمه ووصله وفصله، ومن ذلك قوله تعالى: "هَلَّا تَنْعَلْنَا لِلْإِنْسَانِ حَيْثُ مَنَّا الدَّهْرَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا"²، فلا اختلاف هنا في أن الأداة (هل) تفيد التحقيق؛ لأنها بمعنى (قد)، والذي رجح هذا المعنى، فقلنا أن هذا الأسلوب هو خبري لا إنشائي هو سماعنا هذه الآية من القراء بالتواتر، فمعرفة التنغيم أو الأداء يعين كثيراً في تحديد الأسلوب"³.

لم يعد اليوم من وجهة نظر السياقيين أية حدود بين الأساليب في الجانب الدلالي "فبإمكاننا أن نستفهم بالتركيب الخبري، وأن نخبر عما نريد بالأسلوب الطلبي، وهكذا ما دمنا نراعي ألوان السياق المختلفة فيما نقول ونسمع، ولم تعد الأداة أو الصيغة هي المسؤولة وحدها عن تحديد نوع الأسلوب كما كانت سابقاً، بل إننا نقرأ كثيراً في كتب النحو واللغة خروج هذا الأسلوب أو ذاك عن الأصل الذي وضع له، وهم يعنون بالأصل هنا أصل التركيب"⁴.

يساعد التنغيم في وضوح المعنى بمساعدة قرائن أخرى، فلا يمكن الاعتماد عليه في ذلك، ف"بينما هو ممكن -على وجه العموم- أن تضع نظاماً عاماً للتنغيم ودرجة الصوت والمفصل في لغة معينة، فإنه ليس من الممكن أن تعالجها في بساطة بالغة، وبشكل يسمح بالقول بأنه: "يوجد في الإنجليزية الأمريكية أربع درجات للصوت، وهي تستعمل بشكل كذا وكذا"، لأنه توجد خلافات كثيرة بين المتكلمين الأفراد، وإن التفرقة بين Light housekeeper و Lighthouse keepr ربما يثير الدهشة، ولكنه في نفس الوقت لا يقدم إلا معلومات ضئيلة، فاللغة تعتمد إلى حد

¹السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص:18).

²سورة الإنسان، (الآية: 1)

³السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص:19).

⁴المرجع نفسه، (ص:19).

كبير على السياق لتحقيق التفاهم، وهي تتضرر كثيراً بذكر التفاصيل والخصائص الدقيقة التي نادراً ما يلاحظها السامع¹.

4-2-1-1-2-المستوى الصرفي:

في المستوى الصرفي "تدرس أبنية الصيغ المكونة لأسلوبنا، فندرس على سبيل المثال أقسام الكلام والمشتقات والجموع بأنواعها المختلفة، وكذلك البناء للمعلوم أو المجهول وغيرها، وهذه كلها لها وظائف في تحديد الدلالة، فتفريقنا بين المفرد والمثنى والجمع في قولنا:

أ- جاء المدرس.

ب- جاء المدرسان.

ج- جاء المدرسون.

هو الذي يسر علينا عملية التمييز بين المعاني المختلفة، فكل جملة من هذه الجمل الثلاث لها تصور ذهني مختلف عن الأخرى، ومن هذا الباب زيادات الأفعال... فالزيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى... فالأسلوب الخبري المستفاد من الفعل "قتل" يكتسب معنىً جديداً بدخول الزيادة على فعله، تقول: قتل زيد عبد الله، فتفيد أن الفعل حدث من جهة زيد وحده ولم يشاركه عبد الله، في حين أن تغيير هذه الصيغة إلى صيغة "تفاعل" يغير دلالة هذا الأسلوب فيمتد الفعل ليشمل مشاركة عبد الله فيه².

ولئن كان السياق يضيف على الكلمة المفردة القيمة الفنية، فإنه لا يمكننا إغفال ما للكلمة المفردة من دور داخل السياق، ذلك لأن لها هي الأخرى هيئات وأشكالاً تأتي عليها، وهذه الأشكال والهيئات المتغيرة من شأنها أن تؤثر على المعنى الكلي للعبارة، وهذه التغييرات تخضع لاختيار المبدع وذوقه، من ذلك مثلاً التغيير

¹أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر (ص:258).

²السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع (ص:20-21).

في الكلمة من حيث التعريف والتكرير، كالعَدول عن التعبير بالمعرفة إلى التعبير بالنكرة، وأمثلة هذه الظاهرة كثيرة في القرآن الكريم، مثال ذلك: تكرر لفظة "حياة" في قوله تعالى في شأن اليهود: "وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ"¹، وقوله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ"²، فالتعبير بالنكرة في هاتين الآيتين ينطوي على أسرار جمة لا تدرك إلا بطول التأمل والتدقيق، فكلمة "حياة" في الآية الأولى توحى بحرص أولئك اليهود على أن يضيفوا إلى حياتهم حياة زائدة، ولو كان هذا الزائد أقل ما يصدق عليه اسم حياة، فورودها منكرة أثار في النفس معنى التحقير، ودل على حياة حقيرة وشدة تكالب عليها من قبلهم، وتكرير "حياة" في الآية الأخرى أفاد معنى التعظيم، فهي حياة مضمومة إلى الحياة الأصلية، ويمتنع التعريف هنا لأنه يفضي إلى إيهام أن الحياة من أصلها مستفادة من القصاص³.

4-2-1-1-3-المستوى المعجمي:

وفي المستوى المعجمي "تلاحظ دلالة الألفاظ الظاهرة على المعنى، إذ تعد من العوامل الرئيسية في فهم النص سواء أكان مقروءاً أم مسموعاً، وهي أيضاً عوامل رئيسة في تقريب الأفكار التي يحملها النص أو مجموعة النصوص الموجهة إلى قارئ أو سامع افتراضي أو معلوم، فالألفاظ بوضعها الإفرادي المعجمي، أو بعدها مجموعة من الأصوات المنظمة على وفق قانون اللغة تحمل في ذاتها عددا من المعاني نختار منها ما يناسب الموضوع الذي نتكلم عنه، فالمتكلم لديه مجموعة من الاحتمالات وهو يختار من هذه الاحتمالات المتاحة الأكثر ملاءمة لما يريد قوله"⁴.

إن المعجمي عندما يعمد إلى تحديد معنى كلمة معينة فهو إنما يقوم برصد المعاني الناجمة عن الاستعمالات السابقة في سياقات مختلفة؛ ولذا فإن الكلمة عندما توضع في سياقها الجديد لا يمكن أن تنفصل عما علق بها من معانٍ في

¹سورة البقرة، الآية: 96.

²سورة البقرة، الآية: 179.

³السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل (ص:63).

⁴السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص:21).

الاستعمالات السابقة، بل هي على العكس من ذلك تستأنف مسيرتها الدلالية بما يضيفه السياق الجديد على المعاني السابقة، وعلى هذا فالكلمة داخل النص ذات ارتباطات ممتدة تتجاوز النص إلى كل ما كتب قبله، فالكلمة دائمة التفاعل داخل نسقها اللغوي، ولا يحد حركتها زمان ولا مكان، وما تقوم به المعاجم - كما سبق الحديث عنه - ما هو إلا رصد لمعنى الكلمة في الاستعمالات المختلفة، إضافة إلى المعنى المتواضع عليه أو المعنى المركزي، ومهما حاولت المعاجم تقييد الكلمة في استعمالات معينة فإنها لا تفلح، لأن المعاجم هي التي يجب أن تواكب التطور الحاصل في معاني الكلمات نتيجة الاستعمالات الجديدة والتطور الاجتماعي¹.

4-2-4-1-1-4- المستوى النحوي (التركيبى):

التركيب هو "الإطار الذي توظف فيه المفردات، فالتركيب هو إنشاء علاقات جديدة لأداء وظيفة تعبيرية وجمالية، وهذه الوظيفة تتجم عن طريقة معينة في التأليف بين الألفاظ لإنشاء تلك العلاقات التي تتمثل في تلاؤم الألفاظ وتمازجها في سياق العبارة"².

وفي إطار الحديث عن سياق التركيب يمكن أن نفرق بين نوعين من التركيب هما³:

1- التركيب الأصلي، وهو الذي تترتب فيه المفردات وفق القواعد النحوية الأغلبية، مثل تقدم الفعل على الفاعل، وتقدم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، ومجيء الأشياء المتممة بعد ذلك، كالظرف والحال والجار والمجرور، ويشمل التركيب الأصلي صياغة العبارة وفق المعاني الحقيقية والعرفية، مثل إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي دون المجازي.

¹ السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل (ص: 57-58).

² المرجع نفسه، (ص: 70).

³ السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل، (ص: 71).

2- التركيب الإضافي، وهو الذي يتم فيه الرصف والتركيب وفق المعاني الإضافية أو الثانوية، وهي المعاني الخاضعة لذوق المبدع وقدرته في توصيل المعاني الدقيقة إلى ذهن المتلقي.

ولهذا المستوى أهمية كبيرة في الدرسين العربي والغربي "إذ به نعرف نسق المعاني ونحدد أجزاءها، وبه أيضاً نربط بين معناها، ولولا هذا النظام من العلاقات الشكلية والمعنوية التي تنتظم النص لما كان ما نتفوه به كلاماً يعرب عن معنى"¹.

يقول فندريس: "إننا حينما نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما. إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النص، أما المعاني الأخرى جميعها فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقاً، فنحن في الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول "الخياط يقص الثوب" أو "الخبر الذي يقصه الغلام صحيح" أو "البدوي خير من يقص الأثر"²، ويقول في موطن آخر: "الذي يعين قيمة الكلمة، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية؛ ولكن الكلمة بكل المعاني الكامنة توجد في الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التي تستعمل فيها مستعدة للخروج والتشكل بحسب الظروف التي تدعوها"³.

وبهذا "تمثل اللغة نظاماً يتصل بالنسق وما تحكمه من علاقات ، حيث تتتابع العناصر بعضها إثر بعض وتتألف في سلسلة الكلام، وهذا التألف الذي يعتمد على الامتداد يطلق عليه "العلاقات السياقية"، فالكلمة عندما تدخل في تركيب ما فإنها

¹السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص:22).

²اللغة، فندريس(ص:228).

³المرجع نفسه، (ص:231).

تكتسب قيمتها من مقابلتها لما يسبقها أو يلحقها من كلمات¹، ف"المفردات في أية لغة لا تعرض مطلقاً وجوه التفكير كاملة. بل يوجد دائماً من الكلمات أقل مما يوجد من الأفكار، والاستعمال الجاري يكتفي دائماً بالعبارات التقريبية، لأن لديه من الوسائل ما يجنبه الوقوع في اللبس. إذ إن السياق يوضح معنى كل كلمة، وإذا لم يكف السياق، لم تعدم اللغة أن تجد وسيلة لتجنب هذه النقص"².

والسياق اللغوي عامة عبر علاقاته التركيبية هذه يحقق فائدة في النص أو الأسلوب، فهو "يريك المحذوف مذكوراً، والمضمر مظهراً، والمجمل مبيناً، والعام خاصاً، والخاص عاماً، والمتشابه محكماً، وما اختلط أمره اتضح، وما تعددت أوجهه انحسرت على وجه واحد"³. و"قد تصادف أن يكون للكلمة أكثر من معنى معروف أو متداول، وفي هذه الحالة فإننا نحتكم إلى القرائن المرجحة لأحد المعاني، والسياق واحدٌ من هذه القرائن المرجحة، إذ يعمل على التفريق والاختيار بين المعاني"⁴.

4-2-1-1-5- المستوى الدلالي:

إن البحث عن المعنى أو الدلالة هو الركن الرئيس في النظرية السياقية، وهو النتيجة الحتمية لدراسة هذه المستويات الثلاثة المتقدمة، أو أنه مجموع لدلالات ما تقدم من مستويات، فكما لاحظنا أن المستويات الثلاثة تنتج معاني ولكن هذه المعاني هي معانٍ مجزأة ينتج من ضم بعضها إلى بعض معنًى أكبر يتطابق فيه نظم الكلام في مستوياته الثلاثة مع المعنى العام للأسلوب أو النص، فإذا ما فسد التطابق بينهما التبست الطرق المؤدية إلى الغرض، واضطر القارئ إلى إعادة تركيب الأجزاء وتنسيقها حتى يحصل على صورة المعنى"⁵.

¹السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل (ص:72).

²اللغة، فندريس(ص:203).

³نظرية السياق القرآني، المثني عبد الفتاح محمود، دار وائل-ط1، الأردن:2008م، (ص:162).

⁴السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص:23).

⁵المرجع نفسه،(ص:24).

و"الكلمة ليست معنى معجمياً محددًا عارياً من الظلال والإيحاءات التي تكتسبها من آلاف التجارب الإنسانية في استعمالاتها عبر التاريخ، إنها ليست فكرة ومعنى فحسب، بل هي نسيج متشعب من صور ومشاعر أنتجتها التجارب الإنسانية، فثبتت في اللفظة وارتبطت بها فزادت معناها الأصلي حياة وإيحاء"¹.

ولئن كان السياق يضيف ظلالاً جديدة على معاني الكلمات، فإنه "قد يؤدي إلى تغيير معنى الكلمة، ولهذا تصبح الكلمة محملة بأكثر من معنى، وهو ما يعرف بظاهرة المشترك اللفظي، وهي ظاهرة تعد نتيجة طبيعية لاستعمال اللغة، فالألفاظ كما هو معروف متناهية، بينما المعاني والمسميات غير متناهية، ولا يمكن إخضاع غير المتناهي لما هو متناه"²، ف"السياق هو الذي يعين أحد المعاني المشتركة للفظ الواحد، وهذا السياق لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها في الذهن، وإنما يقوم على تركيب يوجد الارتباط بين أجزاء الجملة، فيخلع على اللفظ المعنى المناسب. وعلى هذا لا يجد الباحث كبير عناء في فهم لفظ "الغروب" يتردد ثلاث مرات في ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها:

يا ويح قلبي من دواعي الهوى إذ رحل الجيران عند الغروب
أتبعهم طرفي وقد أزمعوا ودمع عيني كفيض الغروب
كانوا وفيهم طفلة حرة تفتن عن مثل أقاحي الغروب

فليس متعذراً أن يُفهم من وحي السياق أن الغروب الأول: غروب الشمس، والثاني جمع غرب: وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث جمع غرب: وهو الوهاد المنخفض،

إن في المشترك لتنوُّعاً في المعاني بسبب تنوع الاستعمال، وإن في اشتغال العربية على قدر لا يستهان به من الألفاظ التي تنوع استعمالها بتنوع السياق -لدليلاً على سعتها في التعبير عن طريق الاشتراك كسعتها فيه عن طريق الترادف"³.

¹ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ط1، 1994م، (ص:307).

² السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل (ص:58).

³ دراسات في فقه اللغة، صبحي صالح (ص:308).

وبمعونة السياق "فسر بعض العلماء المنكرين للأضداد طائفة من الألفاظ التي يأبى المبالغون في هذا الباب إلا أن يكتشفوا فيها التقابل التام والتعاكس الحقيقي، فمثلاً: "النوء: الارتفاع بمشقة وثقل. ومنه قيل للكوكب: قد ناء إذا طلع، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضاً، وأنه من الأضداد"¹.

ومعاني التراكيب "ليست مجموع المعاني المعجمية لمفرداتها، بل إن معانيها نابعة من الارتباطات التي يكونها السياق، لأن هذه الارتباطات ليست انضماماً سطحياً للمفردات، بل هي نسيج معقد ومتشابك تتمازج فيه الألفاظ لتحديث أثراً خاصاً"².

4-2-1-2-4- السياق غير اللغوي:

ندرس للسياق غير اللغوي ثلاثة أنواع: السياق النفسي، وسياق الموقف، والسياق الثقافي، وهي كما يلي:

4-2-1-2-4- السياق النفسي:

يكشف التحليل النفسي عن جوانب من المدلول، و" بما أن اللغة هي مادة التعبير عما يجول في ذهن الفرد من أفكار ومشاعر فقد تختلف من شخص إلى آخر، فهي تعد منعكساً لهذه الأفكار والمشاعر، تخضع لها وتتلون بلونها، ولذا فإن الألفاظ في العبارة أو النص قد تتجاوز معانيها الإشارية المتواضع عليها إلى معاني ضمنية يضيفها المبدع عليها، وتؤدي هذه المعاني وظيفة تعبيرية خاصة، ولهذا تعتبر وظيفة الألفاظ بالنسبة إلى القائل أو المبدع تعبيرية، ووظيفتها بالنسبة إلى الأشياء التي تدل عليها رمزية"³.

كما أنه يمكن القول بأن "لأي نص جانبيين: جانب موضوعي يشير إلى اللغة وهو القاسم المشترك الذي يجعل عملية الفهم ممكنة، وجانب ذاتي يشير إلى فكر

¹دراسات في فقه اللغة، صبحي صالح، (ص:313).

²السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل (ص:73).

³المرجع نفسه، (ص:112).

المؤلف ويتجلى في استخدامه الخاص للغة، فالشاعر مثلاً يضمن عباراته دلالات معينة يشعر بها ويحسها، ويعبر عنها تعبيراً ضمنياً لأن لكل شخص خبرات معينة أثرت في حياته بصورة أو بأخرى، وبما أن هذه الخبرات لها تأثيرها المباشر في الصياغة اللغوية فإنها تشكل سياقاً يستند إليه في تحديد معنى العبارة، وقد يشمل هذا السياق الإرجاعات المعرفية التي تشير إلى ثقافة متسربة من خلال النص¹.

والغاية من دراسة هذا النوع من السياق -السياق النفسي- تتمثل في "التمييز بين المعنى النفسي والمعنى المنطقي، فالمعنى النفسي يختلف باختلاف الأفراد، فهو ذاتي بخلاف المعنى المنطقي الذي يتميز بالموضوعية"².

كما أن معاني الأشياء المعبرة عنها "يتفاوت بين الناس بحسب استعدادهم وقدراتهم، فصور الأشياء تتلون في أذهانهم بحسب كيفية إدراكهم لها، ومقدارها، والزاوية التي ينظرون منها إليها، والوجهة التي ينطلقون منها"، ويعبر حازم القرطاجني عن هذه العملية بقوله: "إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم. فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ. فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهياً له سمعها من المتلفظ بها صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيآت الألفاظ فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضاً وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها"³.

¹السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل ، (ص:112).

²المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

³منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد بن حسن ابن حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية:1986م،(ص:18-19).

فالمعاني على هذا ليست محدودة ولا ثابتة لأن الصور الحاصلة في الذهن ليست نقلاً حرفياً للواقع بل هي خاضعة للذات المدركة، ولذا فإن التعبير عن الأشياء يكون تعبيراً عن هذه الصورة المتكونة عنها وهي تتفاوت تفاوت المدركين لها"¹.

4-2-1-2-2-سياق الموقف:

سياق الموقف هو "البيئة غير اللغوية التي تحيط بالخطاب وتبين معناه، وتشمل هذه البيئة زمن المحادثة ومكانها، والعلاقة بين المتحادثين، والقيم المشتركة بينهما والكلام السابق للمحادثة"²، وهو يعني أيضاً "الجو الخارجي الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات"³، وهذه الظروف والملابسات التي حددها فيرث من أجل الوصول إلى هدفه الأكبر وهو بيان المعنى، هي⁴:

- أ- السمات المشتركة بين المشاركين، الأشخاص، الشخصيات:
- العمل اللفظي للمشاركين.
- الأعمال غير اللفظية للمشاركين.
- ب- الدوافع المشتركة (الغايات).
- ج- أثر العمل اللفظي في المشاركين، كالإقناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك... إلخ، إذ تحدد عناصر سياق الموقف هذه المعنى المقصود من بين عدد من المعاني التي يحملها النص".

وقد عبر عنه البلاغيون بمصطلح "المقام" أو "مقتضى الحال"، وهو من أهم الجوانب التي دار حولها البحث البلاغي، والمقصود بالمقام هنا هو "حصيلة الظروف الواردة في الوقت الذي تم فيه المقال وما يعتري الموقف من ملابسات لها تأثير في الحدث اللغوي... إنه لا يكفي فهم المعنى المعجمي أو النظام النحوي أو

¹السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل (ص:114).

²معجم علم اللغة النظري، محمود علي الخولي، مكتبة لبنان، ط1-بيروت:1982م، (ص:259).

³علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، دار غريب، ط3-القاهرة:1997م، (ص:96).

⁴السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص:26).

الصرفي أو الصوتي للغة إذا كان المقام غير مفهوم، فالمقام يعد بمثابة الضوء الكاشف الذي لا بد من استصحابه عند الوقوف على المعنى¹.

ففي بعض الأحيان لا يكون السياق اللغوي في الجملة كافياً لجعل المعنى واضحاً في الأذهان، فلا بد من الاستعانة بسياق الموقف أو بالسياق اللغوي للنص كاملاً، فقد "وجد" تشومسكي" أيضاً، أن هناك بعض الجمل التي تحتل معنيين مختلفين، ولا يميز الشكل الخارجي بينهما، فجملة: "كان عاقب علي صارماً" مثلاً، لا يتضح معناها تماماً خارج السياق؛ إذ لا ندري إن كان "علي" هو الذي عاقب إنساناً آخر، أم أن إنساناً آخر هو الذي عاقب علياً².

4-2-1-2-3- السياق الثقافي:

أما السياق الثقافي فيعني "تحديد المحيط الثقافي الذي نشأ فيه النص، فكل عصر له ثقافته -الاجتماعية والسياسية والدينية- التي تميزه عن غيره من العصور، واللغة بوصفها انعكاساً لهذه الثقافة أو تلك تحوي هي الأخرى خصوصيتها، فبعض الكلمات أو العبارات قد تحمل مدلولات سياسية أو دينية أو اقتصادية أو اجتماعية تتغير من عصر إلى آخر، فاللغة تأثرت بالمجتمع وأثرت فيه، فوجدت بينهما علاقة قوية لا يستطيع أي شخص أن ينكرها"³.

ومن المعلوم أن " اللغة ظاهرة اجتماعية، وان النشاط اللغوي يتوازي دائماً مع النشاط الاجتماعي، فالمجتمع وألوان النشاط فيه تترك كثيراً من الانطباعات التي يمكن تمثلها في النشاط الفني كذلك، كما أنه من المسلم به أن اللغة نشاط اجتماعي؛ لأنها مرتبطة أشد الارتباط بالمجتمع الذي يستعملها، ولذا فإن المجتمع يشكل إطاراً للغة بحيث تتطبع بطابعه، ويتوقف فهمها على الإحاطة بظروفه... فكل كلمة

¹السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل (ص:130).

²المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، تمام حسان (ص:190).

³السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص:26).

تكتسب دلالتها وإيحائها من التجارب والأحداث الاجتماعية التي تمر بها، وعلى قدر ما تمر به هذه التجارب والأحداث تكتسب ظلالها الدلالية وتتنامى حدودها وتتضح صورتها في الأذهان"¹.

ومن هنا فعلى اللغوي الانتباه إلى الدور الذي يبرزه المحيط الثقافي أو الاجتماعي في بيان ما يعطيه للنص من معنى، "إنه من الضروري إعطاء اهتمام لما هو أكبر من محيط النص إلى "الخلفية الثقافية" للنص؛ لأن أي نوع من التفاعل اللغوي أو التبادل الحوارى لا يمثله فقط مجموع الرؤى أو الأصوات المحيطة بالحدث، ولكن أيضاً كل التاريخ الثقافي الكامن في نوع النشاط الذي يمارسونه، كل هذا يلعب دوراً مهماً في تفسير المعنى العام للنص"².

4-2-2- تطور النظرية السياقية:

ربط فيرث بين اللغة والإشارات والعلامات التي ترافقها ودورها في التفريق بين المعاني، فبنى تأسيساً على ذلك نظريته اللغوية التي تقوم على مجموعة من المبادئ التي مر ذكرها فيما تقدم من كلام، إلا "أن دراسة مجموع النصوص التي تسبق أو تصاحب وحدة تركيبية معينة وما قيلت فيه من موقف في ضمن حدود بيئة ثقافية عامة -كما أراد فيرث لهذه النظرية أن تكون- قد وسع من هذه العناصر والمبادئ لتشمل النص وعلاقته بالنصوص الأخرى، كما يشمل الموقف والمرجعية الثقافية التي يقال فيها النص، فيكون بذلك أكثر تعقيداً كما يرى منتقدو هذه النظرية؛ لأن الملابس أو الظروف المحيطة بالحدث الكلامي كثيرة ولا يمكن حصرها، ومنها ما لا دخل له بالمعنى الذي يود منشئ الرسالة إيصاله إلى الآخرين"³.

¹السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل(ص:137).

²السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص:29).

³المرجع نفسه،(ص:29-30).

إن اتساع حدود دراسة السياق وما قد يشكله هذا الاتساع من عقبة أمام الدارسين قد دفع عدداً من أنصار فيرث وتلامذته إلى محاولة تطوير هذه النظرية وجعلها أكثر تقنياً، ومن هؤلاء:

4-2-2-1- ستيفن أولمان:

يعد أولمان الأكثر حظاً من بين اللغويين الذين جاءوا بعد فيرث من خلال دعوته إلى ضرورة الفصل بين اللغة والكلام، فقال بأن السياقات المختلفة هذه إنما تكون في المواقف الفعلية للكلام لا اللغة، لذا فقد أنكر الرأي القائل بأن الكلمة خارج السياق ليس لها معنى، ووصفه بأنه "مبالغة ضخمة وتبسيط كبير للأمور"¹، فكان بدعوته هذه أكثر موضوعية من غيره، فهو لا ينكر "أن كثيراً من الكلمات يعترها الغموض الشديد، وأن ألوانها المعنوية غالباً ما تكون مائعة وغير محددة تحديداً دقيقاً، ولكن هذه الكلمات مع ذلك لا بد أن يكون لها معنى أو عدة معان مركزية ثابتة"².

وفي معرض حديثه عن السياق اللغوي لاحظ الدور الذي يؤديه النص كله في بيان المعنى، ونادى بضرورة دراسته، يقول "إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب بل والقطعة كلها والكتاب كله"³، وهو ينطلق في تعريفه هذا من موقفه العام من السياق، فالسياق عنده: "النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم"⁴.

¹ دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، الطبعة الثالثة، القاهرة، (ص:69).

² المرجع نفسه، (ص:69).

³ دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان (ص:69).

⁴ المرجع نفسه، (ص:69).

4-2-2-2- ديل هايمز:

أما هايمز فقد وجد عناصر سياق الموقف عند أصحاب النظرية السياقية قبله معقدة ومتداخلة وغير مقننة، فحاول أن يرسم حدوداً فاصلة بينها من خلال حديثه عن الأحداث الكلامية إذ إنها عنده الموحدات الأكبر في النشاط اللغوي التي تحدث في السياق غير اللغوي أو الموقف الخطابي، وعنده أن لكل موقف خطابي مكونات مهمة، هي: الخلفية، والمشاركون في الحوار، والغرض، ومفتاح الرموز، والمسار أو وسيلة الاتصال، والموضوع ونوع الرسالة¹.

ويرى هايمز أن قدرة المرء على اللغة لها أربعة مظاهر تتبع كلها من استعمال اللغة²:

أ- إلى أي مدى يكون الشيء ممكناً (نحوياً)، وهذا المظهر يشير إلى امكانيات اللغة وانفتاحها.

ب- إلى أي حد يكون الشيء معقولاً استناداً إلى وسائل التنفيذ المتاحة، والتركيز هنا على الجوانب النفسية التي نستعملها في تنفيذنا للغة، مثل الذاكرة، والتخطيط الذهني للكلام، والفهم إلخ.

ج- إلى أي حد يكون الشيء مناسباً وذلك ضمن السياق الذي يستعمل فيه هذا الشيء، وهذا يشير إلى فكرة الاستعمالات اللغوية والأساليب اللغوية التي يلجأ مستخدم اللغة إليها في الظروف المختلفة متخذاً لكل حالة ما يناسبها من مفردات وطريقة تعبير، مع مراعاة الأعراف والتقاليد الاجتماعية.

¹السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع (ص:31).

²الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحيى أحمد، عالم الفكر، (ص:94).

د- إلى أي حد يكون الشيء قد أنجز (من حيث الأداء) أي ماذا نطق المتكلم من عبارات وجمل، وماذا يستتبع هذا النطق من سلوك، وهذا المحور يتكلم عن محوري المتكلم والمتلقي في آن واحد.

4-2-2-3- مايكل هالدي:

أما هالدي فقد عمل على تطوير فكرة السياق، وذلك عبر تأكيده على ضرورة إضافة عبارة ذات صلة لتصبح الظروف أو الملابسات ذات الصلة وليس كل شيء محيط بالحدث الكلامي، يقول: "من المهم أن نعيد فكرة السياق وذلك بأن نضيف لها كلمة ذات صلة؛ لأن سياق الحال لا يعني كل شيء في المحيط المادي كتلك التي تظهر فيما إذا كنا نسجل بالصوت والصورة حدثاً كلامياً مع كل المشاهد والأصوات المحيطة بنا..."¹، وأقترح أن يفسر النوع المعين من المواقف كتركيب سيميائي بحيث يمكننا أن نشير إليه على أنه كيان ذو ثلاثة أبعاد²:

أ- النشاط الاجتماعي المستمر (الحقل)، وهو المجال الطبيعي الذي يكون مسرحاً للنص، فيشمل بذلك النشاطات المختلفة، والأهداف الخاصة التي تستعمل اللغة من أجل تحقيقها،

ب- علاقات الأدوار التي يتضمنها النشاط الاجتماعي (التوجهات)، ويشمل العلاقات بين المشاركين في الحدث اللغوي، ووضع كل مشارك والدور الذي يؤديه كل مشارك.

¹الدلالة السياقية، عواطف كنوش المصطفى، دار السياب، الطبعة الأولى، لندن 2007م، (ص:199).

²دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى ، ط1، مكة المكرمة، 2003م، (ص:568).

ج- الطريقة الرمزية أو البلاغية (النمط)، وهو الوسيلة اللغوية المتبعة في النص (أو الحدث اللغوي) ويشمل الأسلوب اللغوي والوسائل البلاغية.

وتعد هذه الأبعاد الثلاثة الإطار الفهمي الذي يمثل السياق الاجتماعي كبيئة سيميائية، إذ من خلالها يمكن للأشخاص أن يتبادلوا المعاني¹.

إن لكل نص عنده نصاً يصاحبه، ولا ينفك عنه، فهما ظهران للعملة نفسها، ولا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر؛ لأن سياق الموقف عنده "جزء من التخطيط الكلي... فليس هناك انفصال بين ماذا نقول وكيف نقول، اللغة إنما تكون لغة عن طريق الاستعمال في سياق الحال، وكل ما فيها مرتبط بالسياق، وهو يشتمل على أشياء كثيرة لغوية وغير لغوية في البيئة العامة التي يظهر فيها النص، ولعل فكرة (ما يصاحب النص) هذه تخرج السياق الخارجي من كونه سياقاً طارئاً يلجأ إليه المفسر عندما يواجه بعض الغموض في النص اللغوي، وتجعله نصاً رئيساً له دوره في إنتاج الدلالة، فمعرفة المتكلم والمستمع والعلاقة بينهما وكذا زمان الحديث ومكانه فضلاً عن البيئة الاجتماعية التي قيل فيها النص تعمل مصاحبة وجنباً إلى جنب مع النص في فهم الخطاب"².

وتأسيساً على كلامه هذا يكون تحليل النص على مرحلتين³:

الأولى: داخلية تتعلق بالنص نفسه؛ لأن النص عنده وحدة لغوية مستغلة بذاتها، فمعرفة الخصائص اللغوية التي يتكون منها النص هي التي تكشف عن معنى النص، ومعنى هذا أن المعنى في هذه المرحلة يكون داخلياً ويمكن فهمه من

¹السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص:34).

²المرجع نفسه ، (ص:34-35).

³السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع ، (ص:35).

خلال النص، ويسمي هاليدي هذه المرحلة بالمرحلة الأقل تعقيداً مقارنة بالمرحلة الثانية.

الثانية: وهي مرحلة تقييم النص، وهي المرحلة الأكثر تعقيداً، فالتحليل اللغوي يُمكن الإنسان من أن يعرف لماذا النص هكذا، أو لِمَ لم يكن النص هكذا، وإلى أي مدى نجح النص وإلى أي مدى لم ينجح، وهذه المرحلة تحتاج إلى تفسير ليس للنص فقط وإنما إلى سياقه، وكذلك العلاقة المنهجية بين السياق والنص، فقد فرق ودونسن بين رأي هاليدي هذا وبين رأي هاريس، فقد اعتقد هاريس بأن المرحلة الأولى تهتم فقط بالتعرف على الملامح النصية في حين أن هاليدي قد اهتم بفهم معاني هذه الملامح، ومن ثم فإن المستوى الأول عند هاليدي أكثر شمولاً من هاريس؛ لأنه يضع المعاني في الاعتبار.

4-2-2-4- ميشيل توماسيللو:

انتبه ميشيل توماسيللو إلى مسألة تعارض العناصر اللغوية وغير اللغوية فيما بينها في الإحالة إلى المعنى المقصود، وهنا أكد ضرورة الانتباه إلى ما يقصده منشئ الحديث وما يضعه من موجّهات، ترجح كفة عنصر من عناصره على الأخرى، فقد نختار سياقاً من بين مجموع السياقات المتاحة أمامنا، ونبدأ بتوجيه انتباه المقابل إليه، فيكون ذلك السياق هو العنصر المشترك بيننا في العملية الكلامية، وهي ما يسميها بمشاهد الانتباه المشترك، ويمثل لها بقوله: "لنفرض أن طفلاً جالساً على الأرض يلعب بلعبة في يده، ولكنه يدرك أشياء أخرى كثيرة داخل الحجرة، يدخل شخص كبير الغرفة، ويشرع في مشاركة الطفل لعبه باللعبة التي في يده، هنا يصبح مشهد الانتباه المشترك، تلك الموضوعات والأنشطة التي يعرفها الطفل جزءاً من اهتمام كل من الطفل والشخص الكبير، ويعرف الاثنان أنها تشغل بؤرة اهتمامهما... ويلاحظ في هذه الحالة أن أشياء مثل السجادة والحشية وحفاض

الطفل ليست جزءاً من مشهد الانتباه المشترك، هذا على الرغم من أن الطفل كفرد يمكن أن يكون مدركاً لها بحواسه بشكل مستمر، ذلك لأنها ليست جزءاً مما نعمله، ولكن من ناحية أخرى إذا دخل الشخص الكبير إلى الغرفة ومعه حفاض جديد ويهين الطفل لتغيير الحفاض فوق السجادة فإن مشهد الانتباه المشترك هنا يكون شيئاً مختلفاً تماماً، وتتضمن الأشياء موضع بؤرة الاهتمام في هذه الحالة الحفاضين والمشابك وربما السجادة دون اللعب؛ لأننا نحن لا نتخذ من اللعب هدفاً لنا¹، فقد عمل هذا السياق المشترك بين طرفي الحديث على توليد تلك المشاهد المشتركة وتوجيه الانتباه لها، واستبعاد العناصر الموقفية الأخرى على اعتبار أنها عناصر غير داخلية في العملية الكلامية، فتوجيه انتباه الطفل نحو شيء آخر قد خلق سياقاً مختلفاً، وجعل الطفل يركز على أشياء أخرى.

إن أهمية مراعاة السياق المشترك بين المشاركين في الحديث تظهر ظهوراً أكبر بين متعلمي اللغة، إذ يعمل هذا السياق على تقريب المفردات المجهولة لهم من خلال ربطهم بين الحركات الصادرة من المتكلم -بغرض إيصال معنى ما إلى المخاطب- وبين تلك الكلمات التي يسمعونها لأول مرة، ومن أجل التدليل على هذه الأهمية يعطينا توماسيللو هذا المثال: "لنفترض شخصاً أمريكياً في محطة قطار مجري، واقترب منه مواطن مجري ليتحدث إليه، وبدأ يتحدث إليه باللغة المجرية من حيث لا يدري، إن الشيء غير المرجح للغاية أن الزائر الأمريكي في هذا الموقف سيكتسب الاستخدام المتعارف عليه لأي كلمة أو عبارة مجرية، ولكن لنفترض الآن أن الزائر الأمريكي قصد شباك التذاكر حيث يجد متحدث مجري آخر، وبدأ في محاولة شراء تذكرة، يمكن في هذه الحالة أن يتعلم الزائر بعض الكلمات والعبارات

¹الأصول الثقافية للمعرفة البشرية، ميشيل توماسيللو، ترجمة شوقي جلال، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي 2006م، (ص: 129-130).

المجرية؛ لأن الاثنين المتفاعلين يشتركان في فهم أهداف التفاعل بين كل منهما في هذا السياق من حيث تحصيل معلومات عن جدول سير القطارات وشراء تذكرة وإبدال نقود إلى غير ذلك، هذه أهداف يجري التعبير عنها مباشرة من خلال إنجاز أعمال مفهومة ذات دلالة مسبقاً، مثل إعطاء التذكرة مقابل النقود، ويلحظ أن مفتاح تعلم اللغة في مثل هذا الموقف هو أن يستخدم المواطن في حديثه جملة أو عبارة جديدة بطريقة توحى بسبب هذا النطق في تلك اللحظة، مثال ذلك تناول أوراق النقد من يد الزائر و إعطائه التذكرة أو باقي المبلغ، ويجري المتعلم في مثل هذه الحالات استنتاجاً حسب النهج الآتي: إذا كان هذا التعبير المجهول يعني س، إذن فهو وثيق الصلة بهدف بائع التذاكر خلال هذا المشهد للانتباه المشترك¹، فالسياق المشترك بين الزائر الأمريكي وبائع التذاكر قد سهل عملية التفاهم بينهما من خلال بعض الإشارات المساعدة التي يقوم بها بائع التذاكر كحركات اليدين والوجه والكتفين، وكذلك من خلال إرجاع باقي المال وغيرها، إذ تقوم هذه الإشارات بالنسبة إلى متعلم اللغة بمثابة المعادل العملي للكلمة المجهولة، إذ يستنتج متعلم اللغة منها أن الكلمة المجهولة بالنسبة له تعادل الإشارة العملية التي يطلقها المقابل، في حين تغيب أغلب هذه الأشياء عندما يتحدث الشخصان حول موضوع ليس له أي خلفية معلوماتية لدى متعلم اللغة الأجنبي، كما لاحظنا ذلك من خلال تمثيل توماسيللو لذلك المجري الذي تحدث مع الأمريكي، ولم يكن بينهما عناصر حال مشتركة، وأول هذه العناصر طبيعة الموضوع نفسه بالنسبة إلى حالتها هذه.

4-2-2-5- ميشيل أودونيل:

أما ميشيل أودونيل فقد "ميز بين نوعين من السياق، هما: السياق الديناميكي أو المتغير، إذ يتغير فيه السياق في أثناء عملية التواصل، والسياق الثابت الذي لا

¹الأصول الثقافية للمعرفة البشرية، ميشيل توماسيللو (ص:130-131).

يتغير في التواصل، ونادى بضرورة دراسة السياق المتغير، فجميع العناصر التي جمعها هاليداي ووصفها من محددات المعنى (الحقل)، و(التوجهات)، و(النمط)، تكون عرضة للتغيير، فقد يبدأ الكاتب نصه بطريقة رسمية، وبالتدرج ينتقل إلى استعمال صياغة غير رسمية، حتى إن المحادثات يمكن أن تبدأ بالكلام وتنتقل إلى استعمال الكتابة¹.

4-2-2-6- علماء آخرون:

قد تغني الإشارات في مواطن كثيرة عن الكلام، إذ تكون بمثابة شكل اتصالي مساعد ومكمل للغة، فقد "نلاحظ في حالات كثيرة إمكانية جمع الموقف الاتصالي الواحد بين الاتصال اللفظي والاتصال غير اللفظي، ولا غرو فالإنسان مزود بالنمطين معاً، وتبين تجارب خبراء الذاكرة -على نحو مقنع- أن التفكير قد اتخذ له مكونين اثنين يتصل أحدهما بالآخر اتصالاً وثيقاً عند الإنسان أحدهما لفظي والآخر غير لفظي"².

وقد تؤدي الإشارة الوظيفية المنوط بها أفضل من الكلام نفسه، إذ "من المشاكل التي يوليها علماء اللغة الاجتماعيون اهتماماً متميزاً دراسة مجموعة الإشارات والحركات الجسمية التي تصاحب الإشارة اللغوية، أو التي تستخدم للتعبير عن دلالات معينة، فهذه (المصاحبات اللغوية) تمثل جانباً هاماً من جوانب التواصل بين الناس، وهي أيضاً قسيم جيد للغة لا يمكن إغفالها، بل إنها تعد عند بعض الجماعات والأفراد في ظروف وأحوال معينة الوسيلة الوحيدة للتواصل"³.

¹السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص38-39).

²العبارة والإشارة (دراسة في نظرية الاتصال)، محمد العبد، مكتبة الآداب، الطبعة الثانية، القاهرة، 2007 (ص:16).

³اللسانيات الاجتماعية عند العرب، هادي نهر، دار الأمل، ط1، الأردن، 1998م، (ص:131).

وهذا "ما أجبر" انكسفت" إلى أن يضع لمثل هذه الحركات الجسمية مكاناً في أنموذجه الذي صممه لأنماط السياق، وقد جعل هذا المكان بين عناصر السياق الخارجة عن النص الذي يعد -في هذا الأنموذج- مقابل السياق النصي"¹.

وقد "أثبتت الدراسة التي أجراها "جون جومبرز" و"هيراسيمكوك" على لغة الأطفال أهمية الإشارات في عمليتي الشرح والتفسير لدى الأطفال، فالطريقة التي يقوم الطفل من خلالها بتفسير وتأويل بعض الرسائل تعتمد على الانتباه المستمر والفوري للسياق اللغوي وغير اللغوي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الشرح عنده يعتمد أيضاً على تلك الإشارات التي تساعد في إيصال أفكاره، إذ يحتوي تعبير الأطفال على التعبير الشفهي المنطوق وتصرفات الطفل والعوامل الأخرى المتعلقة بعملية التعبير الكلامي المنطوق، وتقدير علاقته بالأحداث الكلامية الأخرى، وتحديد فئات تبادلية للمتشابهات والاختلافات، ولذا ربما يتم إساءة تفسير تعبيرات حديث الأطفال ما لم يتم اعتبار وتقدير أوضح للأشكال الممكنة للسياق"²، فالإشارات والإيماءات التي يطلقها الطفل تساعد كثيراً في شرح ما يريد قوله، فقد تكون الكلمات قاصرة عنده، ومن ثم فإنه يعتمد إلى الاستعانة بالسياق هذا من جانب ومن جانب آخر فإنه يعتمد على تلك الحركات المساعدة في فهم ما يطلبه منه الكبار، فالسياق لدينا يقوم بوظيفتي التفسير والشرح.

والإشارات والإيماءات التي يعبر عنها بعضهم بلامح الوجه أو بحركة اليد أو غيرها لا تكون متساوية بين البشر ولذا اشترطوا في الإشارات هذه أن تكون ذات دلالة عند المقابل بمعنى آخر يجب أن تكون الإشارات التي تستعمل في عملية التواصل مما تعارف عليها الطرفان، فلو افترضنا أن شخصين من بيئتين مختلفتين

¹ العبارة والإشارة، محمد العبد (ص:113).

² السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص:40).

أرادا التفاهم بلغة الإشارات فإن احتمالات الوقوع في الخطأ واردة بينهما بشكل كبير بعكس الحالة لو كان الشخصان من بيئة واحدة، وهي بهذا لا تختلف عن الكلام العادي الذي يشترط الاتفاق على دلالة الرموز اللغوية بين المتكلمين¹، فالو أن شخصاً يلوح من بعيد بإحدى يديه بشكل يثير الاهتمام، فإذا وقف من ينظر إلى تلويح اليد موقف غير المكثرت (أو غير المهتم أو غير المعني به)، فإن هذا التلويح يصبح عنده مجرد حركة في الهواء الملامس غير ذات أهمية أو دلالة أو مغزى... أما إذا جلب ذلك التلويح باليد اهتمام من ينظر إليه، وأصبح ذا دلالة عنده، فإنه يقف موقف المهتم بتفسير معناه: فيسأل نفسه أهذا الشخص يستغيث، أم أنه يحذر من خطر محقق، فيقترب منه في الحالة الأولى لإغاثته ويتعد عنه في الحالة الثانية لتقادي الخطر المحتمل الذي يحذره منه، ومعنى هذا أنه يختار أحد موقفين متنافرين إزاء ذبذبات في الهواء متماثلة من الناحية المادية²، يلاحظ من خلال هذا المثال أنه إذا لم يحصل تفاهم بالإشارات فلا تكون وسيلة من وسائل الاتصال، وإنما مجرد حركة زائدة يعاب عليها المتكلم، كشخصين يتكلمان بلغتين مختلفتين.

فهم الثاني لما تعنيه إشارة الأول هو المعول عليه في التواصل بينهما، وإن فقدان هذا الاتفاق على معنى مشترك بينهما يؤدي إلى حدوث الانقطاع في الاتصال الفكري بين المخاطبين³.

وقد نظر بعضهم إلى هذه الإشارات على إنها وسيلة تقل عن اللغة العادية نظراً لفقرها ومحدوديتها في التعبير عن الأفكار والحاجات والمشاعر الإنسانية بما لا يجوز في ضوءه اعتبارها بديلاً لغوياً يمكن إحلاله بطريقة من الطرق محل الإشارة

¹السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، (ص:41).

²اللغة والفكر، نوري جعفر، مكتبة التومي، الرباط، 1971م، (ص:52-53).

³المرجع نفسه، (ص:45).

اللغوية، فليست تلك الرموز إلا وسيلة مساعدة بإمكانيات محدودة جداً يلجأ إليها الإنسان لكي يرمز بواسطتها إلى معنى معين، أو لتأكيد هذه النقطة أو تلك من كلامه"¹. وقد أثبتت الدراسة التي أجراها كل من وليم وشابو وجمس سي ودويرد وسوزان ديساننس على لغة جزيرة بروفندنس عكس ذلك، فقد وجد الدارسون أن الإشارة في لغة العينة المدروسة عناصر مستغلة عن اللغة التي يتكلمون بها، إذ يستغنى سكان هذه الجزيرة عن اللغة في التعبير عن مواضيع مختلفة بالاعتماد على الإشارة"².

4-3- أصول النظرية السياقية في التراث العربي:

أدرك الدرس اللغوي العربي أهمية السياق لا سيما السياق اللغوي في تحديد الدلالة من خلال بيانه أهمية كل من الأصوات والمفردات والتراكيب التي تكون الجمل والأساليب في بيان المعنى، إلا أن الأمر الأهم في الدرس اللساني العربي هو اهتمامهم بالظواهر التركيبية التي تعمل على تغيير المعنى؛ لأن "أول شيء تصادفه الكلمة في التركيب - بحسب تعبيرهم- نظام النحو الذي يهيئ الأجواء لإقامة علاقة طيبة بينها وبين العناصر الأخرى، وهي خارج التركيب قابلة للارتباط مع علاقات متعددة، وفي داخله مقيدة بإرادة النحو الذي يسند إليها وظيفة ترتبط من خلالها بعلاقة محددة يبدأ عندها التزاوج بين شكل التركيب ودلالته ماراً عبر (البنية التركيبية والمضمون المعجمي)"³، ومن خلال التركيب يتحدد المعنى المقصود من الكلام من بين قائمة طويلة من الاحتمالات التي تعطيها الكلمة.

¹ اللسانيات الاجتماعية عند العرب، هادي نهر (ص: 124-125).

² السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع (ص: 42).

³ اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (ص: 195).

وتأكيد النحاة واللغويين على ضرورة دراسة الخصائص التركيبية للأسلوب لا يقف عند حدود وصف الظاهرة، وإنما يتعداه إلى التحليل والتعليل، فقد أعطى اللغويون الظاهرة التركيبية وظائف كثيرة منها أنها المسؤولة عن الخطأ والصواب في المعنى والمبنى، وبها يعرف الحسن من الرديء¹.

من أجل هذا فقد وجدناهم يقفون عند عدد من الظواهر التركيبية وقفة محل متأمل لها، وهم لا يكتفون بالشاهد أو الشواهد القليلة للظاهرة الواحدة، بل يوردون لكل حالة منها ما يوضح مفهومها ويبين أسبابها ويحقق غايتها، فضلاً عن اهتمامهم بما سمي بـ(سياق الموقف)، وإن لم يعرفوه بمفهومه الذي شاع وانتشر في منتصف القرن الماضي على يد اللغوي الإنجليزي جون فيرث، فلم يضعوا لنا حداً له، واكتفوا ببعض المقولات التي تصح أن تكون مقدمات لجوانب مختلفة من هذه النظرية، فضلاً عن اهتمامهم بالجانب التطبيقي له، فقد درسوا تلك العناصر المكونة لسياق الموقف من جوانبها المختلفة، ودورها في توجيه الدلالة، ويمكننا أن نقسم تلك النظرات التطبيقية عند علمائنا على النحو الآتي:

4-3-1- السياق عند النحويين:

عالج النحويون كثيراً من مسائل السياق بأنواعه الثلاثة في أثناء حديثهم عن بعض الظواهر في اللغة العربية كالحذف والذكر أو التقديم والتأخير أو الوقف والابتداء وغيرها، فهذا سيبويه شيخ النحاة يعالج أساليب خبرية ويجوز الحذف فيها تأسيساً على السياق اللغوي وحده، ففي باب ما ينتصب على إضمار الفعل المستعمل إظهاره، يقول: "ومما ينتصب أيضاً على إضمار الفعل المستعمل إظهاره، قول العرب: حَدَّثَ فلانٌ بكذا وكذا، فنقول: صادقاً والله. أو أنشدك شعراً فتقول: صادقاً والله، أي قاله صادقاً. لأنك إذا أنشدك فكأنه قد قال كذا"²، فأجزاء الكلام

¹السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع (ص:43-44).

²الكتاب، سيبويه، ج2 (ص:271)

عنده وحدة واحدة لا تتجزأ يكمل بعضها بعضاً، ومن ثم يجوز لنا أن نحذف (قوله) من الأسلوب الخبري (صادقاً والله) اعتماداً على جزئه الأول (حدث فلان بكذا وكذا) أو (إنشاده الشعر).

وفي ذكره لسبب حذف الفعل من قوله تعالى: "بَلْمَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا"¹، يقدر فعلاً ناصباً ل(ملة)، إذ يستعين بالسياق السابق للآية نفسها، قال: "كأنه قيل لهم: اتبعوا، حين قيل لهم: (كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى)..."².

وقد أجاز سيبويه في أسلوب الأمر باسم الفعل (رويدك) حذف الكاف اعتماداً على معرفة المتلقي بما يعنى، يقول سيبويه: "واعلم أن رُوَيْدًا تَلَحُّقُهَا الْكَافُ وَهِيَ فِيمَوْضِعِ أَفْعَلٍ، وَذَلِكَ كَقَوْلِكَ: رَوَيْدُكَ زَيْدًا، وَرَوَيْدُكُمْ زَيْدًا، وَهَذِهِ الْكَافُ الَّتِي لَحِقَتْ رَوَيْدًا إِنَّمَا لَحِقَتْ لِثَبْتِ الْمَخَاطَبِ الْمَخْصُوصِ، لِأَنَّ رُوَيْدًا تَقَعُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ، وَالذَّكْرِ وَالْأُنْثَى، فَإِنَّمَا أَدْخَلَ الْكَافَ حِينَ خَافَ التَّبَاسَ مَنْ يَعْنَى بِمَنْ لَا يَعْنَى، وَإِنَّمَا حَذَفَهَا فِي الْأَوَّلِ اسْتِغْنَاءً بِعِلْمِ الْمَخَاطَبِ أَنَّهُ لَا يَعْنَى غَيْرَهُ، فَلَحَاقُ الْكَافِ كَقَوْلِكَ: يَا فُلَانُ، لِلرَّجُلِ حَتَّى يُقْبَلَ عَلَيْكَ، وَتَرْكُهَا كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ: أَنْتَ تَفْعَلُ، إِذَا كَانَ مُقْبِلًا عَلَيْكَ بِوَجْهِهِ مُنْصِتًا لَكَ، فَتَرَكْتَ يَا فُلَانُ حِينَ قَلْتَ: أَنْتَ تَفْعَلُ؛ اسْتِغْنَاءً بِإِقْبَالِهِ عَلَيْكَ، وَقَدْ تَقُولُ أَيْضًا: رُوَيْدُكَ، لِمَنْ لَا يُخَافُ أَنْ يَلْتَبَسَ بِسِوَاهِ، تَوْكِيدًا، كَمَا تَقُولُ لِلْمُقْبِلِ عَلَيْكَ الْمُنْصِتِ لَكَ: أَنْتَ تَفْعَلُ ذَاكَ يَا فُلَانُ، تَوْكِيدًا"³، فلا يمكننا أن نعزل الأسلوب عن الموقف الذي يقال فيه، فكاف الخطاب عند سيبويه دليل تحدد نوع المأمور إن كان واحداً أو مجموعة، وذكراً أو مؤنثاً، فإذا ما توفر دليل سياقي يحدد نوع المأمور اكتفى به، وجاز الحذف عنده لعلم المخاطب بالمعنى.

ويهتم سيبويه ببيان الحال المصاحبة للتركيب، وما يترتب على ذلك من المفاضلة بين التراكيب، أو الحكم على العبارة بالحسن أو خلافه، كما في قوله: "وذلك أن رجلاً مناخوانك ومعرفتك لو أراد أن يخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمر فقال: أنا عبد الله منطلقاً، وهو زيد منطلقاً كان مُحَالاً؛ لأنه إنما أراد أن يخبرك بالانطلاق ولم

¹سورة البقرة، الآية 135.

²الكتاب، سيبويه، ج1(ص:257).

³المرجع نفسه، (ص:244)

يقول هو ولا أنا حتى استغنيت أنت عن التسمية؛ لأن هو وأنا علامتان للمضمر، وإنما يضمير إذا علم أنك عرفت من يعنى. إلا أن رجلاً لو كان خلف حائط، أو في موضع تجهله فيه فقلت من أنت؟ فقال: أنا عبد الله منطلقاً في حاجتك، كان حسناً¹ فاختلف الموقف الذي قيل في التركيب أدى إلى حكمين مختلفين عند سيبويه: الأول يصف الجملة بالخطأ، والثاني يرى أنها صحيحة.

ولعل من اهتمام سيبويه بملايسات الكلام أنه وضع اعتباراً للحواس الخمس وما تقوم به من معوض عن غياب جزء من الجملة، يقول: "وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله، أو سمعت صوتاً فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت: زيد وربي، أو مسست جسداً أو شممت ريحاً فقلت: زيد، أو المسك، أو ذقت طعاماً فقلت: العسل، ولو حُدثت عن شمائل رجل فصار آية لك على معرفته لقلت: عبد الله، كأن رجلاً قال: مررت برجل راحم للمساكين باراً بوالديه، فقلت: فلان والله²، فالحواس الخمس فضلاً عما شاع وعاف بين الناس من صفات التصقت بفلان من الناس كلها عنده تقوم مقام ركن من أركان الجملة أو تغني عنه. فسيبويه لم ينظر إلى اللغة على أنها قوالب جامدة نتعلمها بالحفظ أو التكرار، وإنما نظر إليها على أنها جزء من السلوك الاجتماعي المتغير بتغير الظروف المحيطة به، ولذا فقد ركز تركيزاً واضحاً في كتابه على اللغة المنطوقة لا المكتوبة، وهذا واضح من أمثله في الكتاب إذ يرى أن قولك: (مررت برجل حمار) صحيح إذا غلطت أو نسيت، يقول في هذه الجملة: "فهو على وجه محال، وعلى وجه حسن". فأما المحال فأن تعنى أن الرجل حمار. وأما الذي يحسن فهو أن تقول: مررت برجل، ثم تُبدل الحمار مكان الرجل فتقول: حمار، إما أن تكون غلطت أو نسيت فاستدركت، وإما أن يبدو لك أن تُضرب عن مرورك بالرجل وتجعل مكانه مرورك بالحمار بعد ما كنت أردت غير ذلك"³.

¹الكتاب، سيبويه، ج2(ص:80-81).

²المرجع نفسه، (ص:130).

³الكتاب، سيبويه، ج1 (ص:439).

ويقول سيبويه في باب إعمال ظن وأخواتها وإغائها إذا تأخرت وإنما كان التأخير أقوى لأنه " إنما " يجيء بالشك بعدما يمضى كلامه على اليقين، أو بعدما ما يبتدى وهو يريد اليقين ثم يُدركه الشك، كما تقول: عبدُ الله صاحبُ ذاك بلغني، وكما قال: من يقول ذاك تَدري، فأخَّر ما لم يَعْمَلْ فيأوله كلامه. وإنما جعل ذلك فيما بلغه بعدما مَضَى كلامه على اليقين، وفيما يَدري، فإذا ابتدأ كلامه على ما في نيته من الشك أَعْمَلَ الفعلَ قَدَمَ أو أَخَّر، كما قال: زيداً رأيتُ، ورأيتُ زيداً¹، إن إرادة المتكلم ونيته عند سيبويه هي التي تعمل أو تلغي عمل هذه الأفعال، فإن أراد الشك أعملها وإلا فقد ألغاه؛ لأن المعنى الذي يقصده المتكلم من حديثه هو الذي يعين حالة إعرابية دون الأخرى.

وقد أدرك النحاة أهمية إيصال المعنى إلى المقابل، وبأي شكل كان، ومن ذلك قولهم: "إذا فهم المعنى فارفع ما شئت وانصب ما شئت، وإنما يحافظ على رفع الفاعل ونصب المفعول إذا احتمل كل واحد منهما أن يكون فاعلاً، وذلك نحو: "ضرب زيد عمراً"، لو لم ترفع "زيداً" وتنصب "عمراً" لم يعلم الفاعل من المفعول²، فهذا النص يوضح ما أراده النحاة بقولهم إن الإعراب فرع المعنى، فالمعنى هو العنصر الرئيس في كلامهم، ومتى ما تحقق هذا وبأي صورة كانت كان الكلام تاماً.

وابن السراج يفرق بين استعمال التركيب الواحد إذا وقع في سياقين مختلفين، فيجوزه في سياق ويمنعه في الآخر، فالفعل عنده من حيث الإضمار والإظهار قسمان: "الأول: الذي لا يحسنُ إضماره؛ ما ليس عليه دليل من لفظٍ ولا حال مشاهدة، لو قلت: زيداً، وأنت تريدُ: "كَلِمَ زيداً" فأضمرت ولم يتقدم ما يدل على "كَلِمَ" ولم يكن إنسان مستعداً للكلام لم يجز، وكذلك غيره من جميع الأفعال. والثاني: المضمَرُ المستعملُ إظهاره: هذا الباب إنما يجوز إذا علمت أن الرجل مستغنٍ عن لفظك بما تضمنه، فمن ذلك ما يجري في الأمر والنهي، وهو أن يكون الرجل في حال ضربٍ فتقول: زيداً ورأسه وما أشبه ذلك تريد: اضرب رأسه، وتقول في النهي: الأسدَ الأسدَ،

¹الكتاب، سيبويه، ج1، (ص:120).

²البسيط في شرح جمل الزجاج، ج1، ابن أبي الربيع، تحقيق: عياد الثبتي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1407هـ، (ص:81).

نهيته أن يقرب الأسد¹، فالحال المشاهدة تقوم في أحيان كثيرة مقام الألفاظ، فتجوز الاستغناء عن جزء من الأسلوب، ومن ثم يمكننا أن نحذف الفعل منه اكتفاءً بها. أما الرضي الأسترابادي فقد عالج أسباب الحذف في الأساليب، وأرجعها كلها إلى الخفة والإيجاز أو الاقتصاد في الكلام إن دل دليل على ما يحذف، وقسم القرائن التي تجوز الحذف إلى قرائن لفظية وأخرى معنوية، قال الرضي: "القرينة الدالة على تعيين المحذوف قد تكون لفظية، كما إذا قال شخص، من أضرب؟ فنقول زيداً، وقد تكون حالية، كما إذا رأيت شخصاً في يده خشبة قاصداً لضرب شخص فنقول: زيداً. وعلة وجوب الحذف في السماعيات كثرة الاستعمال، وإنما كانت سماعية لعدم ضابط يعرف به ثبوت علة وسبب الحذف، أي كثرة الاستعمال، بخلاف المنادى فان الضابط كونه منادى²."

وفي حديثه عن حذف عامل الحال في بعض الأساليب النحوية يذكر مصطلح حضور معناه ليكون بديلاً لما يسمى اليوم بسياق الموقف، يقول: "قرينة ما حذف جائزاً: حضور معناه، كقولك للمسافر: راشداً مهدياً، أي سر راشداً، أو تقدم ذكره، أما في الاستفهام كقولك قائماً، في جواب من قال: كيف خلفت زيداً؟، أو في غير الاستفهام كقوله تعالى: "أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ، بَلَى قَادِرِينَ"³، أي بلى نجمعها قادرين⁴."

فميز بين قرينتين: الأولى مقامية تمثلت بمصطلحه حضور معناه، والثانية مقالية تمثلت باسم الاستفهام "كيف" في قولنا: كيف خلفت زيداً، والفعل "نجمع" في الآية الكريمة.

وليس دور سياق الموقف عند النحويين قاصراً على بيان أثره في توجيه المعنى فحسب، وإنما "له أدوار أخرى لا تقل أهمية عن ذلك، فهو -وفي كثير من

¹الأصول في النحو، ج1، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: 316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، (ص:247).

²شرح الرضي على الكافية ج1، رضي الدين الأسترابادي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس 1978م، (ص:339-340).

³سورة القيامة، (الآية:3-4).

⁴شرح الرضي على رضي الدين الأسترابادي، ج2 (ص:47).

الأحيان- يستعمل قرينة في معرفة الإعراب في حال غياب بقية القرائن، كما هو الحال في غياب القرائن في الاسم المقصور مثل "عيسى" و"موسى"، مما اضطر النحاة إلى القول بالرتبة المحفوظة فيهما، فعندما تقول: "ضرب موسى عيسى" يقال أن رتبة عيسى وموسى محفوظة لعدم وجود قرينة إعراب تسمح بالتقديم والتأخير، ومن ثم فقد أعربوا "موسى" في هذا المثال فاعلاً و"عيسى" مفعولاً به، ولكننا إذا افترضنا أن عيسى وموسى صديقان وأن عيسى أكبر جسماً وأقوى من موسى ثم ترد على مسامعنا هذه الجملة: ضرب عيسى موسى، فكيف نحللها إعرابياً وكيف نبين معناها؟ إن المعرفة المسبقة بحال كل منهما تقوم الإشارة الإعرابية والدليل المعنوي الذي يعوض غياب القرائن الأخرى¹.

4-3-2- السياق عند البلاغيين:

إن أوضح ما قيل في سياق الموقف عند البلاغيين هو مقولتهم: "لكل مقام مقال"، و"مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، يقول التهانوي: "والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى التكلّم على وجه مخصوص أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدّى به أصل المعنى خصوصية ما هي المسمّاة بمقتضى الحال، مثلاً كون المخاطب منكراً للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها... وعلى هذا النحو قولهم: علم المعاني علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك معلّلة بالأحوال"²، فالمقام عندهم يتضمن المتكلم والمخاطب وما حولهما من ظروف وملابسات، "مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغير مقام الكلام بناء علنا لاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يغير مقام البناء على الإنكار جميع ذلك معلوم

¹السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع(ص:55).

²كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، (ص:616-617).

لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر¹.

من مظاهر اهتمام البلاغيين بالسياق تفريقهم بين معاني الكلمات مجردة وبين معانيها داخل السياق، وكل كلمة عندهم لها أكثر من معنى خارج السياق، وليس من فضلٍ ومزيةٍ إلا بحسبِ الموضع وبحسبِ المعنى الذي تُريدُ والغرض الذي تؤمُّ وإتّما سبيلُ هذه المعاني سبيلُ الأصباغ التي تُعملُ منها الصّورُ والنقوشُ . فكما أنك ترى الرّجلَ قد تهذّى في الأصباغ التي عملَ منها الصّورة والنقشَ في ثوبه الذي نسجَ إلى ضربٍ من التّخيرِ والتدبّرِ في أنفُسِ الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجها لها وترتيبها إياها إلى ما لم يتهدّدَ إليه صاحبه فجاء نقشُه من أجل ذلك أعجب وصورته أغربَ كذلك حالُ الشّاعرِ والشّاعِرِ في توخّيهما معاني النّحوِ ووجوهه التي علّمتَ أنّها مَحْصُولُ النّظمِ²، فالكلمة عنده لا يكون لها مزية وهي مفردة مجردة من سياقها، "ومما يشهدُ لذلك أنك ترى الكلمة تروقُك وتؤنسُك في موضعٍ ثم تراها بعينها تتقلُّ عليك وتوحشُك في موضعٍ آخر"³.

وقال أيضاً: "اعلم أنّ الفروقَ والوجوهَ كثيرةٌ ليس لها غايةٌ تقفُ عندها ونهايةٌ لا تجدُ لها ازدياداً بعدها، ثم اعلم أنّ ليستِ المزيةُ بواجبةٍ لها في أنفُسِها ومن حيثُ هي على الإطلاق ولكن تُعرضُ بسببِ المعاني والأغراض التي يُوضَعُ لها الكلام ثم بحسبِ موقعِ بعضها من بعضٍ واستعمالِ بعضها مع بعض"⁴.

ويرى العسكري أن على الكاتب أو المتكلم مراعاة طبقات المخاطبين وثقافتهم، يقول: "إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس كتب إليهم بما يمكن ترجمته... فسَهّلَ صلى الله عليه وسلم الألفاظ كما ترى غاية التسهيل حتى لا

¹ مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1407 هـ - 1987م، (ص:168).

² دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط1، 1995، (ص:82).

³ المرجع نفسه، (ص:54).

⁴ دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، (ص:82).

يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية، ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فحَمَّ اللفظ، لما عرف من فضل قوتهم على فهمه وعادتهم لسماع مثله¹. إذن "فالمقام عند البلاغيين يشترك مع مفهوم سياق الموقف عند الغربيين في أنهما يدرسان أثر العناصر غير اللغوية، مثل المتكلم وهيئته ومكانته، وصفاته أو عاداته، ورد فعل المتلقي ومكانته أيضاً لدى محلل النص والملايسات والظروف التي يقال فيها الحديث، وغرض المتكلم، وزمان تلك المحادثة ومكانها، وغيرها مما لها تأثير بين على مجرى الدلالة، ولكن ثمة فرق جوهري بينهما، وهذا الفرق هو أن البلاغيين اشترطوا في النصوص المحكية أو المكتوبة أن تكون نصوصاً فصيحة يكون فيها منشئ النص متخيراً لألفاظه وتراكيبه"²، يقول العسكري "وليس الشأن في إيراد المعاني؛ لأنَّ المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه؛ وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدّمت"³.

ويقول أيضاً: "الكلام - أيدك الله - يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخيّر لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشابه أعجازه بهواديته، وموافقة مآخيره لمباديته، مع قلّة ضروراته، بل عدمها أصلاً، حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر؛ فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطالعه، وجودة مقطعه، وحسن رصفه وتأليفه؛ وكمال صوغه وتراكيبه"⁴.

¹ الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت (1419 هـ)، (ص: 149).

² السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، (ص: 67-68).

³ الصناعتين، أبو هلال العسكري (ص: 57-58).

⁴ المرجع نفسه، (ص: 55).

ويقول الجاحظ: "من زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانة، والملحون والمعرب، كله سواء"¹.

4-3-3- السياق عند اللغويين:

تنبه اللغويون القدامى إلى أهمية دراسة النص في سياقه الذي قيل فيه، فكثير من النصوص لا تعطي المعنى المقصود إلا بالرجوع إلى مواقفها التي قيلت فيها، وهذا دعاهم إلى البحث في أصناف تحقيق الدلالة، وهي عند الجاحظ خمسة: "أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بانئة من صورة صاحبها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقذارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعمما يكون منها لغواً بهرجاً، وساقطاً مطرحاً"².

فاللفظ ليس وحده الذي يؤدي الدلالة عند اللغويين، وإنما ثمة عناصر أخرى تعمل جنباً إلى جنب مع الألفاظ وليست تابع لها، وهذه العناصر التي تحدث عنها الجاحظ يتحدث عنها اليوم علماء اللغة الغربيون بعدّها عناصر مكونة لسياق الموقف.

أما ابن جني فيمكننا تقسيم سياق الموقف عنده إلى: سياق موقف قولي، وسياق موقف فعلي، وهذا التقسيم يتضح من خلال مقولته الشهيرة: "ليس المخبر كالمعاني"، يقول معلقاً على قول نعيم بن حارث السعدي:

تقول وصكت وجهها بيمينها ... أبلي هذا بالرحى المتعاس

¹البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة، 1985م، (ص:148).

²البيان والتبيين، ج1، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ، (ص:82).

"قلو قال حاكيًا عنها: أبغلي هذا بالرحى المتقاعس -من غير أن يذكر صك الوجه- لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرا لكنه لما حكى الحال فقال: "صكت وجهها " علم بذلك قوة إنكارها وتعاضم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين"¹، فسياق الموقف القولي تمثل بحكاية الراوي لحال المرأة "صكت وجهها" وكيف أثرت معرفتنا بحال المرأة في إدراكنا لقوة إنكارها، أما إذا حضر سياق الموقف الفعلي المتمثل في رؤيتنا لحال المرأة فإنه سوف يوضح لنا ما أراده الشاعر بشكل أكبر، إذ يحمل السياق القولي كل ما يمكننا مشاهدته من حال المرأة إذا ما كنا حاضرين هذه الحادثة، فصك الوجه قد يرافقه أشياء كثيرة تؤثر في فهمنا للنص، ومنها حركات المرأة غير صك الوجه كهيئتها وطريقة انزوائها وغيره، ومنها رد فعل المشتركين في إزاء ما قيل وأشياء أخرى كثيرة.

ويعلق ابن جني على هذا الشطر الشعري:

قلنا لها قفي لنا قالت قاف

بقوله: "لو نقل إلينا هذا الشاعر شيئاً آخر من جملة الحال فقال مع قوله "قالت قاف": "وأمسكت بزمام بعيرها" أو " وعاجته علينا" لكان أبين لما كانوا عليه وأدل على أنها أرادت: وقفت أو توقفت دون أن يظن أنها أرادت: قفي لنا! أي يقول لي: قفي لنا! متعجبة منه. وهو إذا شاهدها وقد وقفت علم أن قولها "قاف" إجابة له لا رد لقوله وتعجب منه في قوله "قفي لنا"².

ويذكر ابن جني بين الفينة والأخرى ضرورة الاعتماد على المشاهدة في تسجيل اللغة، يقول: "فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه

¹الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، ج4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة:الرابعة، (ص:246-247).

²الخصائص، ابن جني، ج1(ص:247).

الحكايات ولا تضبطه الروايات فتضطر إلى قصود العرب وغوامض ما في أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه غير متهم الرأي والنحيظة والعقل"¹.

فبعد توضيح مفهوم السياق وتتبعه في الفكرين الغربي والعربي يتبين لنا شيوع مصطلحات السياق في التراث اللغوي العربي، وهي تتطابق أحياناً مع المصطلحات الغربية الحديثة وتتبعدها أحياناً أخرى، كما يتضح أيضاً مدى أهمية السياق كقرينة لتوضيح المعنى، وليس هذا فحسب بل يعتبر قرينة أساسية لمعرفة الإعراب في حال غياب القرائن الأخرى كغياب الحركة الإعرابية في الاسم المقصور.

¹الخصائص، ابن جني، ج1 (ص: 249).

الفصل الخامس

الدلالة عند تمام حسان

ترى بعض النظريات اللغوية لا سيما نظرية فيرث السياقية والتي يتبنى تمام حسان أفكارها، فقد درس تمام حسان على يد فيرث في جامعة لندن، ترى تلك النظرية أن المعنى أو الدلالة هو الغاية التي تتجه إليها دراسة اللغة، وبناء على ذلك يقسم تمام حسان مستويات دراسة اللغة إلى ستة مستويات بدلاً عن مستويات دي سوسير الأربعة، فقد قسم دي سوسير مستويات دراسة اللغة إلى أربعة مستويات، هي: الأصوات، الصرف، النحو، الدلالة، بينما قسمها فيرث ومن بعده تمام حسان إلى ستة مستويات مضيفاً مستوى التشكيل الصوتي والمعجم، وترى نظرية فيرث أن المعنى أو الدلالة هو ناتج تلك المستويات الستة¹، وفي هذا الفصل نتناول بالدراسة الدلالة عند "تمام حسان"، ابتداء بالمفهوم وأنواع المعنى، ثم أنواع الدلالة وهي: الدلالة الصوتية ونتناول فيها موضوع علم الأصوات، ثم دلالة الصوت اللغوي، ومن ثم الحديث عن الرموز اللغوية، فدراسة أنواع العلاقات بين الرموز ومعانيها. والدلالة الصرفية، نتناول فيها: مكونات النظام الصرفي، وتقسيم "تمام حسان" للكلم، وتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد. والدلالة النحوية، ونتناول فيها: الأسس التي يبني عليها النظام النحوي، وقرائن التعليق المعنوية واللفظية، وإغناء القرائن عن العوامل. الدلالة المعجمية، ونتناول فيها منهج المعجم، ودراسة تمام حسان للمعنى المعجمي، ونظرته إلى المعاجم.

¹ اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان (ص:117).

5-1- مفهوم الدلالة عند تمام حسان:

يعرف تمام حسان "علم الدلالة بقوله: "علم الدلالة، أو علم المعنى، أو علم السيمانتيك، فرع من فروع الدراسات التي تناولها بالبحث أنواع من العلماء تختلف موضوعاتهم، كالفلاسفة، واللغويين، وعلماء النفس، والأنثروبولوجيا، والأدباء، والفنانين، والاقتصاديين، وعلماء الدراسات الطبيعية، ولهذا كان اسم هذا العلم محل خلاف في اللغات المختلفة"¹. وما ذلك إلا لأن اللغة ذات جوانب متعددة وعلى صلة كبيرة بكل تلك العلوم، فهي ظاهرة نفسية، وظاهرة اجتماعية، وظاهرة فلسفية، وظاهرة طبيعية في ناحية من النواحي؛ لذلك وجدت اهتماماً من الفلاسفة وعلماء النفس وغيرهم، ومعظم هؤلاء ينحصر اهتمامهم في مجال الدلالة؛ لأن تحديد المعنى وجوانبه المتعددة يجعل كثير من العلماء في مجالات مختلفة يهتمون به، فالفلاسفة يبحثون عن الحقيقة واللغة جانب من جوانب الحقيقة، وعلماء النفس يبحثون في تحليل المعنى عن الدلالات النفسية والمعاني العاطفية، وعلماء أصول الفقه وعلماء القانون يبحثون في دلالة النصوص، وعلم أصول الفقه هدفه الأساسي هو تحديد المعنى، فقد فطن علماء الأصول إلى أهمية التحديد الدقيق للمعنى؛ لأن الألفاظ اللغوية تحتل أكثر من دلالة، فقد اختلف العلماء في تفسير قوله تعالى: "أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ"²، ففهم بعضهم أن المراد مطلق اللبس، وفهم آخرون أن المراد اللبس بشهوة، وفهم غيرهم أن المراد الجماع، وهذا رأي ابن عباس رضي الله عنه³.

فالدلالة وتحديد المعنى على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لعلماء اللغة وغيرهم، فكان اهتمام علم اللغة بهذا المستوى من مستويات دراسة اللغة كبيراً، فنشأ علم الدلالة وتطور، وقد و"استطاع علم الدلالة أن يشق طريقة في التطور من أفكاره

¹مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (ص:240).

²سورة المائدة، (الآية:6).

³الخلاف بين العلماء، محمد بن صالح العثيمين، دار القاسم الرياض، السعودية، ط1، 1428هـ، (ص:18).

الأولى، التي حددها بريال "Breal"، على أساس تاريخي لا وصفي، والواقع أن علم الدلالة التاريخي يدرس تغير المعنى من عصر إلى عصر، وأن علم الدلالة الوصفي يدرس المعنى في مرحلة معينة من مراحل تاريخ اللغة، فالأول دياكروني -على حد تعبير دي سوسور- والثاني سينكروني، أي أن الأول يدور حول التغيرات المعنوية، والثاني حول العلاقات المعنوية، أو بعبارة أخرى يدور الأول حول المعنى المتغير، والثاني حول المعنى الثابت¹، وهذه الثنائية: ثنائية الدياكرونية والسينكرونية، أو التاريخية والوصفية هي من أهم الثنائيات التي قدمها دي سوسير، فقد استحق دي سوسير قيادة علم اللغة من خلال التفريق بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية، أو الدراسة التزامنية والدراسة التعاقبية، وكل مستويات اللغة بما فيها الدلالة يمكن أن يدرس بالطريقتين، غير أن الدراسة الوصفية تسبق الدراسة التاريخية، إذ لا يمكن دراسة اللغة بأي منهج من المناهج دون أن تسبقه دراسة وصفية.

5-2- أنواع المعنى عند تمام حسان:

يفرق تمام حسان بين ثلاثة أنواع من المعنى، هي:

- أ- المعنى العرفي: وهو المعنى المتعارف عليه من أفراد المجتمع للمفردات اللغوية ويمثله المعنى المعجمي، فاللغة هي عبارة عن رموز عرفية، يقول تمام حسان: "الشعب كيان اجتماعي يتعارف على استعمال لغة مشتركة فينتق على خصوص معانيها ومبانيها بصورة يمكن أن يعبر عنها المعجم"².
- ب- المعنى الذهني: والمقصود بالمعنى الذهني "ما يستنبطه الفهم من دلالة الأحداث والمواقف والقرائن الحسية إيجاباً أو سلباً، مثال ذلك ما يستنبطه رجال المباحث الجنائية من تأمل الأوضاع في موقع الحادث بعد وقوعه، وما

¹مناهج البحث في اللغة، تمام حسان(ص:240).

²اجتهادات لغوية، تمام حسان(ص:112).

يشتمل عليه سياق موقف الاتصال من الإيماءات وحركات الأعضاء والإشارات"¹.

ج- المعنى الانطباعي: والمقصود بالمعنى الانطباعي "ما يحسه المرء عند تعرضه لرؤية منظر يثير في نفسه إحساساً معيناً من رضى أو سخط أو رقة أو قسوة الخ، أنظر إلى قوله تعالى: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا"²، فالله سبحانه وتعالى يدعو إلى توجيه الصدقات إلى هؤلاء الذين لا يسألونها تكريماً لعفتهم عن السؤال"³.

وهذان المعنيان الأخيران (الذهني والانطباعي) يختلفان عن المعنى العرفي من وجهة نظر ظروف الاستعمال، فمجال المعنى الذهني مثلاً هو الأسلوب، ومجال المعنى الانطباعي هو الإحساس الفردي، وإذا كان العرف من قبيل الثوابت فالأسلوب من قبيل المتغيرات، وإذا كان العرف مفهوماً اجتماعياً فإن الأسلوب سلوك فردي، وإذا كان العرف قيدياً على حرية المتكلم فإن الأسلوب نزوع إلى التحرر من هذا القيد، وإذا كان الالتزام من مطالب العرف فإن التحرر من مطالب الأسلوب"⁴.

ومن الواضح أن ما يعنيه تمام حسان بالمعنى الذهني هو الفهم الخاص لدلالة العبارات كما مثلنا لذلك باختلاف المفسرين لدلالة عبارة اللبس في قوله تعالى: "أو لامستم النساء"، أما المعنى الانطباعي فهو ما يعرف بالمعنى العاطفي أو المعنى النفسي، وهو كما أشار تمام حسان يندرج تحت ظلال المعنى، أو الدلالة الإيحائية، أو ما يعرف بالدلالة الهامشية أو الثانوية.

¹الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان(ص:74).

²سورة البقرة، (الآية: 273).

³الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان (ص:74-75).

⁴المرجع نفسه ، (ص: 75).

5-3- أنواع الدلالة عند تمام حسان:

اللغة عبارة عن نظام يتكون من عدة أنظمة، فهي من حيث كونها في نهاية الأمر مجموعة من العلامات أو الرموز إلا أن هذه الرموز تتكون أولاً من أصوات تحدثها أعضاء النطق الإنساني وتدرکها الأذن، وهذه الأصوات تتركب بطريقة اصطلاحية في شكل كلمات ذات دلالات، ثم جمل، فعبارات، وكل ذلك يشكل في النهاية بطريقة مخصوصة مجموعة النظم في اللغة¹، وكل نظام من هذه الأنظمة: الأصوات، والصرف، والنحو، والدلالة، يحتوي معنى دلاليّاً خاصاً كما يرى تمام حسان، ونتناول هذه الأنظمة بالتفصيل كما يلي:

5-3-1- الدلالة الصوتية.

تناول تمام حسان الأصوات موضحاً مفهومها ودلالاتها الوظيفية، والفرق بين الصوت اللغوي وغيره من الأصوات وتقسيماته ودور كل ذلك في إحداث الدلالة، يقول تمام حسان معرفاً الصوت اللغوي بأنه: "عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن"²، فيحاول تمام حسان في هذا التعريف أن يوضح الجوانب الثلاثة المتعلقة بالصوت اللغوي، وهي جانب الإصدار، وجانب الانتقال، وجانب الاستقبال، فقد أجمع العلماء على أن للأصوات ثلاثة جوانب، وقد ركز علماء اللغة جهودهم على الجانب الأول، وتركوا الجوانب الأخرى لعلماء الفيزياء وعلماء النفس، فالأصوات عند علماء اللغة تخضع للوصف من حيث المخارج أو الحركات التي يقوم بها جهاز النطق، ومن حيث الصفات والظواهر

¹الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980م، (ص:7).

²اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص:66).

الصوتية المصاحبة لهذه الحركات النطقية"¹، وفي هذا يقول تمام حسان: "يتناول علم الأصوات الصوت المنطوق بالوصف بعد أن يلجأ إلى تحديد حدوده في بيئته الصوتية، تحديداً اعتبارياً تسمح به أهداف الدراسة وله ما يؤيده من طبيعة النطق، ذلك بأن بين كل صوت وما يليه مرحلة نطقية انتقالية لا يمكن أن تنسب نسبة نهائية إلى الصوت السابق ولا إلى الصوت اللاحق، ولكن أهداف الدراسة تسمح بخلق حدود تحدد كل صوت : متى يبدأ ومتى ينتهي، وغرض علم الأصوات اللغوية من دراسة الصوت أن يبين ما في نطقه من حركات عضوية، وما فيه من ظواهر صوتية، فأما الحركات العضوية فتدرس عادة تحت اسم المخارج على وجه العموم، أما الظواهر الصوتية المصاحبة لهذه الحركات فيطلق عليها اسم الصفات، ومهمة علم الأصوات هنا أن يحدد عدد المخارج في اللغة التي يدرسها، ويصف الحركات التي يتم بها النطق في هذه المخارج، ثم يعتمد إلى الظواهر الصوتية (الصفات) فيقسم الأصوات على أساسها بين الشدة والرخاوة وما إلى ذلك، ويسمى هذا الوجه من وجوه التقسيم طريقة النطق، ثم بين الجهر والهمس، وهما مبنيان على وجود ذبذبة في الوترين الصوتيين تصاحب النطق أو عدم وجودها، ثم التفخيم والترقيق، وأساسها حركة مؤخر اللسان في أثناء النطق، إذ إن هذه الحركة معناها إعادة تكييف حجرة الرنين لدى البلعوم من حيث الشكل والحجم، وذلك أمر ذو أثر في الصوت يظهر صورة التفخيم أو الترقيق"².

ويفرق تمام حسان بين الصوت اللغوي والصوت غير اللغوي، فيرى أنهما يختلفان بأن الصوت اللغوي خاضع للعرف الاجتماعي، ولتوضيح ذلك يجري تمام حسان مقارنة بين صوت الخاء اللغوي وصوت تنظيف الحلق مقلداً بذلك إدورد سابير في

¹في التحليل اللغوي، خليل أحمد عمارة، سليمان حسن، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى (1407هـ-1987م)، (ص:27).

²اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان (ص:118).

مقارنته بين صوت (wh) اللغوي وصوت النفخ لإطفاء الشمعة، فخرج تمام حسان من هذه المقارن بأن صوت الخاء مرتبط في أداء وظيفته الدلالية بما جاوره من الأصوات، بينما صوت تنظيف الحلق لا يحتاج للارتباط بأصوات أخرى لأداء وظيفته وهي تنظيف الحلق، إذن فهو صوت فردي معزول بينما الخاء صوت لغوي له سياق، ودون هذا السياق يبقى صوتاً فردياً غير ذي دلالة أو وظيفة، كذلك تختلف دلالة ومعنى الخاء باختلاف ما جاوره من الأصوات الأخرى، بينما لا تختلف وظيفة ذلك الصوت باختلاف ما جاوره من الأصوات، ومن الاختلافات أيضاً أن صوت تنظيف الحلق لا تختلف وظيفته باختلاف كيفية إنتاجه، فقد تنتج بمصاحبة شفتين مستديرتين أو مفتوحتين أو غير ذلك من كيفية النطق دون أن يؤثر ذلك على أداء وظيفته، بينما يتأثر الصوت اللغوي بكيفية أعضاء النطق وذلك لارتباطه بأصوات أخرى، إذن فصوت تنظيف الحلق غي ذي ارتباط بأصوات أخرى كما هو الحال في صوت الخاء اللغوي¹.

وهكذا يجعل تمام حسان الصوت اللغوي خاضعاً لنظام معين، وهذا النظام فرضه العرف الاجتماعي، وفي هذا السياق يقول محمود فهمي حجازي: "واللغة قبل كل شيء نظام من الرموز الصوتية، وتكمن قيمة أي رمز في الاتفاق عليه بين الأطراف التي تتعامل به، وقيمة الرمز اللغوي تقوم على علاقة بين متحدث أو كاتب هو المؤثر وبين مخاطب أو قارئ هو المتلقي... وصدور هذه الرموز الصوتية اللغوية لأداء معاني محددة متميزة يعينها المتحدث ويفهمها المتلقي معناه اتفاق الطرفين على استخدام هذه الرموز للتعبير عن الدلالات المقصودة"².

¹ انظر اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، ص: 172 فما بعدها.

² علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (ص:10).

وبناء على هذه الحقيقة يقسم تمام حسان علم الأصوات إلى قسمين: علم الأصوات العام، وعلم التشكيل الصوتي، فالأول يدرس الصوت مفرداً من حيث المخارج والصفات وغير ذلك، تمهيداً لدراسته في سياق الاستخدام وهذا ما يختص به علم الأصوات الخاص أو ما يسميه تمام حسان علم التشكيل الصوتي، يقول تمام حسان: "إذا كانت أصوات اللغة حقائق عضوية تخضع للوصف من حيث المخارج أو الحركات التي يقوم بها الجهاز النطقي، ومن حيث الصفات أو الظواهر الصوتية المصاحبة لهذه الحركات النطقية، فلا شك في أنها تخضع في ورودها واستعمالها وعلاقة كل صوت منها بالأصوات الأخرى خضوعاً تاماً لنظام رمزي تتميز به اللغة التي تستخدم هذه الأصوات عن كل لغة أخرى من لغات العالم، ومن هنا كانت دراسة الأصوات من وجهة نظر المخارج والصفات مقدمة لدراسة علم التشكيل الصوتي الذي يعبر عن النظام الرمزي الذي تنظم به هذه الأصوات"¹.

فالنقطة التي ينتهي فيها علم الأصوات هي التي يبدأ فيها علم التشكيل الصوتي، فلقد كان نشاط علم الأصوات قائماً على الملاحظة والتجربة والتسجيل، دون لجوء إلى أي دراسة نظرية لها طبيعة التقعيد والتجريد، وعند الفراغ من الدراسة العملية التي يقوم بها علم الأصوات نجد بين أيدينا عدداً من الأصوات يمكن عند استخدام ما بين بعضه والبعض الآخر من روابط وعلاقات أن يقسم إلى عدد أقل من الوحدات المجردة التي لا تنطق، لأنها أقسام لا أصوات، وهذه الأقسام هي التي نطلق عليها في الدراسة اللغوية الحديثة اصطلاح "الحروف" أو الفونيمات، ليست الحروف إذا هي تلك الصور الكتابية التي نخطها بالقلم فهذه رموز كتابية إلى الحروف، وليست الحروف هي ما تنطقه بلسانك في أثناء الكلام فهذه هي الأصوات، وإذا كانت

¹اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان (ص:115).

الأصوات تدخل في نطاق حاسة السمع والبصر، وفي العمليات الحركية، فلا يدخل الحرف إلا في نطاق الفهم، أو في نطاق الحدس¹.

ونلاحظ من هذا النص ملاحظتان: الأولى أن تمام حسان ساوى بين مفهوم الفونيم ومفهوم الحرف، وربما قصد من هذا مجرد الشرح فقط، وذلك لأن الحرف يؤدي معنى الفونيم ولكن لا يساويه، وكان رمضان عبد التواب قد دعا إلى ترجمة مصطلح phoneme بالحرف لما رآه يؤدي معناه، فالنون -مثلاً- تفرق بين معنى بان، وباع، وجميع متكلمي العربية يميزون معاني الكلمات التالية من جراء تبدل الصوت الأخير في كل منها: "عاب، عاث، عاج، عاد، عاف، عال"²، فالحروف "ب، ث، ج، د، ف، ل" تسمى فونيمات؛ لأنها أدت إلى تغيير معنى الكلمة، فالفونيم هو أصغر وحدة صوتية يتغير بها معنى الكلمة إذا استبدلت بوحدة أخرى، وهو ذو شكل صوتي ليس له معنى في ذاته، وإنما هو ذو سمات تمييزية³، وهذا التعريف ينطبق على الحرف غير أن مفهوم الفونيم أوسع من الحرف؛ لأن الفونيم يشمل إلى جانب الحروف الفونيمات فوق التركيبية -النبر، التنعيم، الوقف... الخ .

والنقطة الثانية التي نلاحظها على النص السابق هي تفريق تمام حسان بين الصوت والحرف، وهذه مسألة أشار إليها كثير من العلماء ابتداء من ابن جني في كتابه "سر صناعة الإعراب"، وقد عرف ابن جني الحرف بأنه الحد⁴، بينما يراه تمام حسان وحدة تجريدية لا وجود لها في الحقيقة، بينما الصوت هو الحقيقة المادية؛

¹ اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان ، (ص:119).

² المغني الجديد في علم الصرف، محمد خير حلواني، دار الشرق العربي، بيروت- لبنان، (ص:7).

³ مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، (ص:123).

⁴ سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى

1421هـ- 2000م، (ص:28).

لذلك وصف الحرف بأنه حدسي أي خيالي، وذلك أن الحرف قد يتضمن أكثر من صوت، وفي هذه الحالة يكون الحرف فونيم والصوت ألفون.

وعن الدلالة اللغوية للأصوات يقول تمام حسان: "الأصوات اللغوية داخل الكلمات رموز لغوية صوتية ذات دلالات، وقد يقول قائل: كيف نقول بأن هذه الأصوات المفردة رموز مع أن الصوت المفرد في عزله ليس له دلالة محددة؟ فالجواب أن الصوت المفرد هنا كالنغمة الموسيقية المفردة، تتعين دلالاته في محيطه العملي، فالكاف من "كتب" وهي في بيئتها الصوتية من الكلمة لا يمكن أن يستغنى عنها، ولو جعلنا الكلمة مكونة من التاء والباء فحسب لانعدمت دلالة الكلمة على مدلولها العرفي، وكان مرجع انعدامها إلى انعدام الكاف من الكلمة، فإن كانت الكاف في كتب صاحبة كل هذا الخطر فلا بد أنها تتحمل قسطاً من الدلالة، ومن ثم تصبح حين تنطق رمزاً صوتياً على هذا القسط، وتصبح الكلمة المركبة منها ومن التاء والباء ذات دلالة على المعنى العرفي المعطى لها، غير أن دلالة الكاف على نصيبها من معنى كتب تتعذر دراستها لعدم مقبولية تقسيم هذه الدلالة إلى أجزاء بحسب الأصوات"¹.

وفي هذا النص يحاول تمام حسان أن يجيب عما يمكن أن يحدث من لبس وتعارض في قولنا أن الحرف والفونيم ليس لهما معنى في ذاتهما ثم ننسب لهما معنى وظيفياً، فيوضح تمام حسان أن المعنى المقصود هو معنى وظيفي يكتسبه الحرف أو الفونيم بعد دخوله في سياق كلمات لغوية، بينما تعريفنا لهما بأنهما ليس لهما معنى في ذاتهما فإن ذلك مقصود منه حال انفردهما، فالصوت المفرد ليس له معنى في ذاته، ولكنه يكتسب معنى حين دخوله في سياق لغوي، وهذا المعنى الذي يكتسبه هو التعريف والتمييز بين معاني الكلمات، وهو ما أشارت إليه نور الهدى

¹اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان (ص:116-117).

لوشن في تعريفها السابق للفونيم "ذو سمات تمييزية" وبما أن هذا المعنى يكتسبه الحرف من السياق إذن فهو ليس معنى معجمياً ثانياً وإنما هو كما يقول تمام حسان معنى وظيفياً، يقول تمام حسان: "الوظيفة التي يؤديها الصوت في نطاق المنظمة الصوتية هي معناه، أو على الأصح هي قسط المعنى الذي قصد به أن يؤديه، ومن ثم صح أن يسمى القسط الذي يؤديه الصوت من المعنى معنى وظيفياً، أي أنه ليس معنى معجمياً يكشف عنه المعجم، ولا دلالياً يستخرج بالتخطيط العام للماجريات"¹.

ويقول في موضع آخر: "للحروف معاني وظيفية أيضاً تتضح حين نستخرج حرفاً من الكلمة، أو نضيف إليها حرفاً، أو نحل حرفاً فيها محل حرف منها، فنجد المعنى يتغير مع كل من هذه الإجراءات، فإذا أخذنا كلمة مثل "ثار" وأضفنا إليها همزة في البداية تغير معناها من اللزوم إلى التعدي، وأصبحت الكلمة "أثار"، فإذا أحللنا محل الثاء جيماً أصبحت الكلمة "جار" وهلم جزءاً، والمسئول عن تغيير المعنى في كل حالة هو تغير حرف من حروف الكلمة، وهذا يدلنا على أن الحرف يؤدي قسطاً، والمعنى العام هو وظيفي في طبيعته، ومعنى ذلك ببساطة أن الحرف يؤدي وظيفة معينة بوجوده في إطار الكلمة"².

ثم يتحدث تمام حسان عن علاقة الحروف بعضها ببعض في سياق الكلمات اللغوية، فيشير إلى تلك الثنائية التي ابتكرها دي سوسير، وهي ثنائية علاقة الاستبدال الأفقي والرأسي، وهي ثنائية تركيبية دلالية تتناول نوعين من العلاقات التركيبية: أفقية... أي تمازج التعاقب الحركي في مجرى الكلام، أو عمودية... أي العلاقات بين الوحدات التي تحتل الموقع نفسه في مجرى الكلام³، وإن كانت هذه

¹ اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان ، (ص:118).

² المرجع نفسه، (ص:119).

³ علم اللسانيات الحديثة، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، (1422هـ-2002م)، (ص:50).

الثنائية هي ثنائية تركيبية على مستوى الكلمات لا الأصوات، إلا أن تمام حسان يتناولها من جانب الأصوات، يقول تمام حسان: "والحرف الذي يحل محل الآخر يسمّى "مقابلاً استبدالياً" لهذا الحرف الآخر، ذلك بأنه تسبّب بحلولة محل الحرف الآخر في تغيير معنى الكلمة، ومن ثمّ أصبح يحمل على عاتقه "بضعة" من تبعه المعنى الجديد، وهذه أول بضعة من المعنى الوظيفي يمكن الكشف عنها في اللغة، وهي وظيفة الحرف باعتباره مقابلاً استبدالياً، أي: باعتباره صالحاً للحلول محل واحد أو أكثر من الحروف الأخرى في النظام الصوتي نفسه، فإذا نظرنا إلى الباء في "طاب" وجدنا أنها تدل على معنى معين هو صلاحيتها للحلول محل عدد من الحروف الأخرى، وقد عددنا منها "اللام"، ونضيف هنا الراء في "طار"، والفاء في "طاف"، والشين في "طاش"، كما أن الطاء تدل على معنى معين هو أنها مقابل استبدال للراء في "تاب"، والثاء في "ثاب"، والحاء في "خاب"، والذال في "ذاب"، والراء في "راب"، والسين في "ساب"، والشين في "شاب"، والعين في "عاب"، والغين في "غاب"، والنون في "ناب"، والهاء في "هاب"، فمعناها أنها صالحة للحلول محل أي واحد من هذه الحروف جميعاً، وهذه البضعة من المعنى التي تنسب إلى الحرف بضعة سلبية، فمعنى الطاء في طاب أنها ليست تاء ولا ثاء ولا خاء ولا ذالاً الخ"¹.

ثم يتحدث تمام حسان عن نوع آخر من علاقات التعاقب الاستبدال يسميه "الإضافة والاستخراج"، أي أثر إضافة حرف أو حذفه في تكوين معنى المنطوقات أو في تغيير دلالتها، يقول تمام حسان: "ومثل "الاستبدال" في تغيير معنى الكلمة، وإثبات قدرة الحرف على حمل جرثومة المعنى مثل عمليتي "الإضافة" و"الاستخراج"، فإذا أضفنا الميم في أول كلمة "قاعد" تغير المعنى وأصبحت الكلمة "مقاعد"، وأصبح للميم معنى من حيث إنها جلبت إلى الكلمة معنى جديداً. فإذا "استخرجنا" الميم من كلمة "مقاعد" تغير المعنى بسبب استخراجها من جمع مقعداً إلى اسم الفاعل من قعد، وبهذا يمكن أن تدعى أن كل حرف من حروف الكلمة يحمل جرثومة من المعنى من جهتين؛ الأولى: إيجابية، هي دلالة صوته على بيئته من الكلمة، والثانية:

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 76-77).

سلبية، هي كونه مقابلاً استبدالياً لعدد من الحروف الأخرى وهي الأهم¹، ولا شك أن إضافة حرف أو حذفه لا بد أن يصاحبه تغيير في المعنى وإلا كان في اللغات حشواً وخطأً، فكل إضافة في المبنى لا بد أن يصاحبها زيادة في المعنى، ولا تبتعد هذه العلاقة عن علاقة الاستبدال.

ولا ينسى تمام حسان أن يذكر وينفي أن يكون للحرف معنى في ذاته خارج السياق، يقول في كتابه "الفكر اللغوي الجديد" -وهو آخر كتبه صدوراً- أنه "ليس للصوت اللغوي في ذاته دلالة، فلا يقال مثلاً: إن معنى القاف يثير في النفس الشجاعة والعزة، وهو يختلف عن مدلول الكاف، غير أن الصوت اللغوي قد يسخر في العرف اللغوي للدلالة على مفهوم في علم الصرف يعبر عن وظيفة في موقع ما، كحروف المضارعة وواو الجماعة وغيرها من اللواحق، أو على مفهوم في علم النحو للدلالة على علاقة رابطة بين عناصر السياق كحروف العطف أو الاستثناء أو أدوات الجمل"²، ودلالة الحروف في هذه الحالة ليست دلالة صوتية، وإنما هي دلالة صرفية أو دلالة نحوية، وهي لا تنسب أيضاً للحرف في ذاته، وإنما يكتسبها من السياق الصرفي أو السياق النحوي، ويعزز هذا الرأي ما ذهب إليه محمود فهمي حجازي بقوله: "تكتسب الرموز اللغوية قدرتها الإيحائية عن طريق الاستخدام، والكلمة أقل عناصر اللغة ذات الدلالة، وليس هناك معنى محدد لصوت السين أو صوت الصاد أو لأي صوت آخر. وعندما يسمع الإنسان لغة أجنبية لا يعرفها فإنه لا يستطيع - أول الأمر - أن يميز الكلمات المختلفة التي يسمعها، فهو يسمع سلسلة من الأصوات المتتابعة. وهذا شأن الطفل قبل اكتسابه للغة، فهو يسمع اللغة مجرد جرس صوتي غير متميز الملامح، ثم يأخذ الطفل في تمييز الرموز الصوتية التي يسمعها شيئاً فشيئاً، وما أن يكتمل تمييز الطفل بين هذه الأصوات وتكتمل قدرته

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ، (ص:77).

²الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان(ص: 12).

على محاكاتها حتى يكون الطفل قد اكتسب الأساس الصوتي للغته الأم. وترتبط هذه المرحلة بملايسات استخدام كل كلمة وكل عبارة سمعها الطفل، فهو لا يسمع الأصوات المكونة للكلمات والعبارات مجردة عن سياقها، بل يسمع عبارات معينة في مناسبات محددة، وبذلك ترتبط كل كلمة وكل عبارة في عقل مكتسب اللغة أو مستخدمها بمواقف خاصة وظروف معينة. وما المعنى إلا حصيلة المواقف التي استخدم فيها الرمز اللغوي، ولذا فالوسيلة العلمية لمعرفة دلالة كلمة من الكلمات أو عبارة من العبارات تتلخص في بحث الظروف والملايسات التي استخدمت فيها الكلمة فاكتمبت معناها وقدرتها الإيحائية¹، وهذا ذات ما أشار إليه تمام حسان وأشارنا إليه سابقاً.

وهكذا تكتسب الرموز اللغوية دلالتها على مستوى الاستخدام اللغوي لتحقيق غرض التواصل بين أفراد المجتمع، فاللغة كما أسلفنا عبارة عن رموز عرفية اكتسبت من خلال استخدامها في المجتمع دلالات محددة، وبهذا تتدرج اللغة تحت ما أسماه دي سوسير بعلم العلامات، وهو علم يتناول العلامات بشكل عام بما فيها العلامات اللغوية وغير اللغوية، وقد أشار تمام حسان إلى هذه الناحية الرمزية في اللغة، وأفرد لها مبحثاً في كتابه "اللغة بين المعيارية والوصفية" بعنوان "الرموز اللغوية" تناول فيه أنواع الرموز وكيفية اكتسابها لدلالاتها، فالرموز في مجملها تتوزع على عدد الحواس الإنسانية، فهي إما لمسية أو ذوقية أو شمسية، أو سمعية، أو بصرية، فهي كما يقول "فندريس" أنه "ولما أمكن للعلامات أن تكون متنوعة الطبيعة، أصبح هناك عدة أنواع من اللغات فكل أعضاء الحواس يمكن استخدامها في خلق لغة، فهناك لغة الشم ولغة اللمس ولغة البصر ولغة السمع، وهناك لغة كلما قام شخصان فأضافا معنى من المعاني إلى فعل من الأفعال بطريق الاتفاق وأحدثا هذا الحدث بقصد التفاهم

¹ علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، (ص:13-14).

بينهما. فعطر ينشر على ثوب، أو منديل أحمر أو أخضر يطل من جيب سترة أو ضغطة على اليد يطول أمدھا قليلا أو كثيرا، كل هذه تكون عناصر من لغة ما دام هناك شخصان قد اتفقا على استعمال هذه العلامات في تبادل أمر أو رأي¹.

وقد جاء في كتاب "التعاريف" أن "اللمس قوة مثبتة في جميع البدن تدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحوها عند الاتصال، واللمس إدراك بظاهر البشرة"²، فالرمز اللمسي كل ملموس له معنى خاص، فإذا تكلمت عن فلان الجالس بالقرب منك وأنت لا تراه، فإن صديقك الذي يستمع إليك ويراه دونك سيغمزك، وستفهم أنت أن هذه الغمزة لها معنى، وأن معناها بالتحديد هو التحذير من الاستمرار في هذا الكلام؛ لأن هناك شخص يمكن أن يسمعه، ولا ينبغي لك أن تدعه يسمع ما تقول"³، وقد يستعمل الإنسان حاسة اللمس لتكوين نظام لغوي كامل، وذلك في الحالات التي يكون فيها أحد الأفراد محروماً من نعمة البصر، أو من نعمة البصر والسمع والنطق جميعاً كما كان الحال مع هيلين كيلير⁴، وأوضح أمثلة الرموز اللمسية كتابة بريل التي يقرؤها العميان باللمس.

أما الرمز الذوقي فكل مذاق له معنى خاص، "فمذاق الطعام المطبوخ يدل على نضجه أو عدم نضجه، ومذاق حجر البطارية يدل على ما إذا كان لا يزال به شحنة من الكهرباء أو أن ما فيه قد استهلك"⁵، وكما جاء في التعاريف أن "الذوق تناول الشيء بالفم لإدراك الطعم... الذوق عند الصوفية عبارة عن نور عرفاني يقذفه

¹اللغة، فندريس (ص:31).

²التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤف بن المناوي، ط1، 1410-1990م، عالم الكتب، القاهرة. (ص:626).

³اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان(ص:108).

⁴أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، تأليف فرما، عالم المعرفة، الكويت، (1398هـ- 1977م)، (ص:143).

⁵اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان (ص:109).

الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب ولا غيره"¹.

وأما رموز الشم فلها دلالتها أيضاً، فالشم ملامسة الشيء بالأنف لإدراك الرائحة"²، فالقد تصطوح عصابة من العصابات أو طائفة من الطوائف السرية على التطيب برائحة خاصة، إذا اشتمها المرء في أي شخص عرف أنه من العصابة أو الطائفة، ويستطيع معظم الناس أن يخبر عن نوع الطبخة التي يطبخها جيرانه من الرائحة التي تأتي من بيتهم فتملاً خياشيمه"³.

وأما الرمز السمعي "فكل مسموع مقصود به معنى، فصوت بوق السيارة رمز سمعي إلى وجوب الحذر من اصطدام ممكن، وصفارة الإنذار رمز سمعي يدل على وجود طائرات معادية في سماء البلد أو على نزوح هذه الطائرات، بحسب نوع الصوت الذي يصدر منها"⁴، وأشهر الرموز السمعية أصوات الكلام، فاللغة في أصلها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم -كما يقول ابن جني- واللغة الأصلية هي اللغة الصوتية -كما يقول دي سوسير- لأن الكتابة ظهرت متأخرة في حياة الإنسان، وقد عاشت كثير من اللغات وانقرضت دون أن تعرف إلى الكتابة سببياً، بل ما زال كثير من اللغات اليوم ليست لها أبجديات تكتب بها.

أما الرمز البصري فكل مرئي مقصود به معنى، فالتلويح بالأعلام في سلاح الإشارة مجموعة من الرموز البصرية، وأضواء المرور في الطرقات، وعلامة الاحتراس من القطارات،... الخ"⁵، وكذلك لغة الإشارة التي يستعملها الصم والبكم،

¹التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرءوف بن المناوي، (ص:352).

²المرجع نفسه، (ص:352).

³اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان (ص:109).

⁴المرجع نفسه، (ص:109).

⁵اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان(ص:109).

ولغة الإشارات التي يستخدمها بعض الرهبان الممنوعين من الكلام بموجب مذهبهم الديني، ناهيك عن لغة الأعلام (الرايات) التي يستعملها الكشافاة وغيرهم، ولغة الإشارات الضوئية التي تستعمل بين المراكب¹، وأشهر الرموز البصرية حروف الكتابة.

ويقول فندريس عن اللغة السمعية واللغة البصرية: "أن هناك لغة من بين مختلف اللغات الممكنة تغطي على جميع ما عداها بتنوع وسائل التعبير التي في طوقها: وهي اللغة السمعية التي تسمى أيضا لغة الكلام أو اللغة الملفوظة؛ وقد تصحبها بعض الأحيان اللغة البصرية، وغالبا ما تكون مكملة لها، والإشارة عند جميع الشعوب تقطع الكلام، وهيئة الوجه تترجم في آن واحد مع الصوت عن الانفعالات والأفكار، والتعبير بالحركات لغة بصرية، ولكن الكتابة بدورها لغة بصرية أيضاً وكذلك على العموم كل نظام من نظم الإشارات².

ويجمل تمام حسان علاقة الرموز بمعانيها في ثلاثة أنواع: "أما النوع الأول فهو العلاقة الطبيعية، ومثالها أن تحس بتقلص في معدتك فتعلم أنك جائع، ولقد جاءك هذا العلم عن طريق علاقة طبيعية موجودة بين الرمز الذي هو الإحساس بتقلص المعدة وبين معناه الذي هو الجوع...، وهذه العلاقة الطبيعية بين الرمز والمعنى لا توجد في اللغة إلا عند الكلام عن دعوى استدعاء أصوات بعض الكلمات كالفحيح والحفيف والخير والزئير والقطع والقطم"³، وهذه الألفاظ -كما يقول دي سوسير- هي قليلة العدد في كل لغة، إضافة إلى ذلك فإنها تختلف من لغة إلى أخرى، وبهذا فإنها لا تخالف القاعدة العامة التي وصف بها دي سوسير اللغة حين قال بأن اللغة عبارة عن رموز اعتباطية غير معللة، لا تدل فيها الكلمة على معناها بمجرد سماع أصوات حروفها، وتلك مسألة جوهرية يعول عليها دي سوسير كثيراً في

¹أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، فرما(ص:143).

²اللغة، فندريس(ص:32).

³اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان(ص:110).

استقلال علم اللغة عن علم الاجتماع، وتابعه في ذلك من جاء بعده من علماء اللغة.

ولا يقدح فيما ذهب إليه دي سوسير ما لاحظته ابن جني من وجود علاقة طبيعية بين الرمز والمعنى في اللغة حيث يقول: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتنونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره، من ذلك قولهم: خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو: قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك، وفي الخبر قد يدرك الخضم بالقضم، أي: قد يدرك الرخاء بالشدّة واللين بالشطف، وعليه قول أبي الدرداء: يخضمون ونقضم والموعد الله"¹.

فهذه الألفاظ وغيرها مما أورده ابن جني في كتابه "الخصائص" لا تقدح كما أسلفنا في اعتبارية اللغة؛ لأن تلك الاعتبارية صفة عامة للغة في مقابل الظواهر الاجتماعية الأخرى، فهي جميعاً معلة عدا اللغة فإن الصفة العامة والغالبة عليها هي الاعتبارية، أي عدم وجود علاقة طبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها، فهذه الألفاظ تمثل جانب الشذوذ وهو جانب لا تخلو منه قاعدة من القواعد حتى قيل أن لكل قاعدة شواذ، وأن الشذوذ يؤكد صحة القاعدة، أو كما يقول تمام حسان في حديثه عن التقعيد: "أنها {أي القاعدة} لا بد أن تتصف بالعموم، ولكنها ليست من الضروري أن تتصف بالشمول، أي تكون علاقة عامة لا كلية، ومعنى ذلك أن القاعدة لا بد أن تنطبق على جمهرة مفرداتها وليس من المحتم مع هذا أن تشملها جميعاً فلا يشذ عنها شيء، وقد عبر بعض أصحاب المناهج في الماضي عن ذلك بقولهم: "إن

¹الخصائص، ابن جني (ص:159).

الشذوذ يبرر القاعدة" ومن قواعد أصول النحو العربي قاعدة تقول: "الشذوذ لا ينافي الفصاحة"¹. وفي طبقات النحويين لأبي بكر الزبيدي أن ابن نوفل روي عن أبيه أنه سأل أبا عمرو ابن العلاء: "أخبرني عما وضعت مما سميتة عربية أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ فقال: أحمل على الأكثر، وأسمي ما خالفتي لغات"².

أما النوع الثاني من العلاقة بين الرمز ومعناه فهو "العلاقة المنطقية، تنظر فوق رأسك فترى السحابة، فإن كانت داكنة حافلة توقعت المطر، وإن كانت بيضاء صافية كان لها معنى آخر، والربط بين لون السحابة ومعناها هنا ربط منطقي عقلي فكري"³، وليس المعنى المنطقي كالمعنى الطبيعي، فالمعنى الطبيعي يتسم بالثبات، أما المعنى المنطقي فقد لا يصدق لاتصاله بالناحية الذاتية، لذلك قال تعالى: "قَلَمًا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ"⁴.

وأما النوع الثالث من أنواع العلاقة بين الرمز والمعنى فهو "العلاقة العرفية، وهي أهم من سابقتها؛ لوجودها في الدلالات اللغوية، فالعلاقة بين الاسم والمسمى غير طبيعية ولا منطقية، ولكنها عرفية، ونتيجة من نتائج الوضع، وإن العرف يختلف باختلاف المجتمعات، وباختلافه تختلف اللغات، ولو كانت العلاقة بين الاسم والمسمى طبيعية أو منطقية لكان الكلب كلباً والحمار حماراً في كل لغات

¹اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان (ص:158).

²مسالك القول، صلاح الدين الرعيلاوي، الشركة العربية المتحدة، ط1، (1404هـ- 1984م)، (ص:48).

³اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان(ص:110-111).

⁴سورة الأحقاف، (الآية: 24).

البشر، ولكن اختلاف العرف من مجتمع إلى مجتمع آخر جعل أولهما كلباً في العربية و dog باللغة الانجليزية¹.

وقد كان تمام حسان يذكر بعض الجوانب الصوتية التي يوافق فيها ابن جني حيث يقول: "للأصوات مخارج وصفات تعد في الدرس اللغوي سمات مميزة يؤمن اللبس بواسطتها، وهذا هو الجانب العرفي عند النظر إلى الاستعمال، وهو الجانب المنهجي العلمي عند البحث في اللغة، ولكن الذي نتكلم عنه هنا أصوات شأنها في التأثير شأن كل صوت مسموع كالصوت الموسيقي مثلاً، فالأصوات المسموعة ذات معاني طبيعية إيحائية وانطباعية لا هي عرفية ولا ذهنية، فقد تدل المقابلة بين الترقيق والتفخيم على إرادة التأكيد عند تفخيم الصوت، انظر مثلاً إلى قوله تعالى في مجرد الإخبار عن خلق الأرض "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا"²، ثم عندما أريد التأكيد بمناسبة القسم قال: "وَالْأَرْضِ وَمَاطِحَاهَا"³ بوضع الطاء في موضع الدال أي بإبدال التفخيم بالترقيق"⁴.

ومثال ثاني للأصوات المسموعة ذات المعاني الطبيعية الإيحائية "تلك الرخاوة أي الاحتكاك في نطق الصوت على أثر معين كالذي نراه في قوله تعالى: "يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ"⁵ وذلك بإدغام التاء من "تثاقلتم" مع التاء ليكون منهما معاً ثاءً مشددة أطول في نطقها مدة من

¹ اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان (ص:111).

² سورة النازعات، (الآية:30).

³ سورة الشمس، (الآية:6).

⁴ اجتهادات لغوية، تمام حسان(ص:264).

⁵ سورة التوبة، (الآية:38).

الصوت المفرد، وأكثر دلالة على إفراغ الطاقة والركون إلى المكث والتخلف، وذلك بإيحاء الصوت"¹.

وهذه الأمثلة وغيرها لا تخرج عما ذكرناه سابقاً، فهي قليلة جداً إذا ما قيست بألفاظ اللغة عموماً، ويدخل في ذلك "زيادة صوت على أصول الكلمة الثلاثة للدلالة على المبالغة كما في قوله تعالى: "وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا"² بزيادة الطاء على "يصرخون" للدلالة على شدة الصراخ"³.

إذن فتمام حسان يرى أن الأصوات تتحمل جزءاً من الدلالة العامة أو المعنى النهائي للمنطوقات، هذا الجزء من الدلالة يصاحب الصوت حين دخوله في سياق لغوي وليس على إطلاقه، فهو معنى وظيفي مرتبط بالسياق، وهو لذلك لا ينافي كون الحروف ليست لها دلالة في نفسها، وهذه الدلالة تأخذ أشكالاً عدة من خلال علاقة الاستبدال والوجود والحذف وغير ذلك، وهذا ما أردنا أن نشير إليه بمفهوم الدلالة الصوتية عند تمام حسان.

5-3-2- الدلالة الصرفية.

تناول تمام حسان الدلالة الصرفية من خلال الإشارة إلى النظام الصرفي والذي يتناوله وفق ثنائية هي ثنائية المبنى والمعنى، وقد سمى بها كتابه الذي تناول فيه النظام اللغوي للغة العربية بمستوياتها الأربع "الأصوات، الصرف، النحو، الدلالة" فكان عنوان الكتاب "اللغة العربية معناها ومبناها" أي أبنية النظام اللغوي للغة العربية ودلالاتها الوظيفية، وما دما هنا نتحدث عن النظام الصرفي والدلالة الصرفية فإن الدلالة الصرفية عند تمام حسان تتجلى في النصف الثاني من هذه

¹ اجتهادات لغوية، تمام حسان (ص:265).

² سورة فاطر، (الآية:37).

³ اجتهادات لغوية، تمام حسان(ص:265).

الثنائية، أي الدلالة الصرفية للصيغة وليست الدلالة المعجمية للمفردة، وفي هذا يقول تمام حسان : "يتعلق نصيب النظام الصرفي من الدلالة على المعنى ببنية المفردات وليس بالمفردات ذاتها؛ لأن المفردات ومعانيها المفردة تقع في نطاق المعجم، أما البنية وما تدل عليه من معنى عام (حقه أن يؤدي بالحرف) فهي ومعناها يقعان في نطاق النظام الصرفي، فإذا قلنا إن البنية التي تتمثل في صيغة "استعمل" تدل على الطلب نحو "استغفر" أي طلب المغفرة فينبغي أن نعلم أن الطلب من المعاني العامة التي لا تقتصر على مطلوب بعينه، وأن مثله كمثل دلالة اللام على التعليل ودلالة الواو على القسم"¹.

ويرى تمام حسان أن النظام الصرفي للغة العربية ينبنى على ثلاث دعائم مهمة، هي²:

1- مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم، ويعود بعضها الآخر إلى تصريف الصيغ.

2- طائفة من المباني بعضها صيغ مجردة، وبعضها لواصق، وبعضها زوائد، وبعضها مباني أدوات، وقلنا: إنه قد يدل على المبني دلالة عدمية بالحذف أو الاستتار حيث تغني القرينة في الحالتين عن الذكر.

3- طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية، وهي وجوه الارتباط بين المباني وطائفة أخرى من القيم الخلافية أو المقابلات، وهي وجوه الاختلاف بين هذه المباني.

ثم يقول تمام حسان بعد هذا التقسيم أننا: "إذا نظرنا في هذه المباني الصرفية وجدنا أنّ من بينها ما يعبر عن معاني التقسيم، كصيغة الاسم إذ تعبر عن الاسمية، وصيغة الفعل إذ تعبر عن الفعلية، وكصورة الضمير التي تعبر عن معنى الإضمار، وهذه الطائفة من المباني التي تعبر عن معان تقسيمية هي حجر الزاوية في النظام

¹الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان (ص:104).

²اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص:82).

الصرفي للغة العربية الفصحى، وهذه المباني أبواب الكلم، وقد سماها النحاة: أقسام الكلام أو ما يتألف منه الكلام، فإذا تصورنا النظام الصرفي في صورة جدول تتشابه فيه العلاقات والمقابلات، فإن هذه النوع من المباني سيمثل البعد الرأسي لهذا الجدول، أما المباني التصريفية، أي: المباني التي يتم التصريف على أساسها كالمتكلم وفرعيه، والمفرد وفرعيه، وكالمذكر والمؤنث، والمعرفة والنكرة، فهي التي تمثل البعد الأفقي لجدول النظام الصرفي، وهذه المباني التصريفية هي المسؤولة عن التفريع الذي يتم داخل المباني التقسيمية، كأن ننظر إلى الأنواع المختلفة لتصريفات الاسم، ولإسنادات الفعل، ونفصل الضمائر ووصلها، وذكرها وحذفها واستتارها، وهلم جرا مما لا يمكن ضبطه إلا بواسطة مباني التصريف. ولهذا كانت مباني التصريف هي المسرح الأكبر للقيم الخلافية بين الصيغ المختلفة التي تعتبر فروعاً على مباني التقسيم¹.

ثم ابتدر تمام حسان حديثه عن النظام الصرفي بأقسام الكلام منتقداً تقسيم النحاة العرب القدماء، ذلك التقسيم الثلاثي محاولاً تقديم تقسيم جديد، وليس تمام حسان بدعاً في هذا الأمر، إذ ظل هذا الموضوع محوراً للنقاش ليس في العربية فحسب بل فيما سبقها من اللغات، فقد قسم الهنود -وهم أول قوم درسوا لغتهم- الكلام إلى أربعة أقسام: "اسم، فعل، حروف إضافة، أدوات"، ثم جاء اليونانيون فقسم أفلاطون الكلام إلى قسمين فقط: "اسم، فعل" ولكن تلميذه أرسطو جعلها ثلاثة: "اسم، فعل، رابطة"، وربما كان هذا سبب من أسباب اتهام النحو العربي بأنه متأثر بالفلسفة اليونانية، ثم جاءت المدرسة الرواقية فجعلتها خمسة، وهكذا استمرت الزيادة عند اليونانيين حتى وصلت إلى ثمانية أقسام عند اللاتينيين، هي: "اسم، فعل، صفة، ظرف، أداة، ضمير، حروف جر، رابطة"، ثم جاء الخليل وسيبويه فقسموا الكلام إلى ثلاثة أقسام: "اسم، فعل، حرف" ثم أضاف إليها الفراء قسماً رابعاً أسماه الخالفة، وكما أسلفنا فإن هذا التقسيم لم يعجب تمام حسان فأعاد تقسيم الكلام العربي إلى سبعة أقسام، هي: "اسم، فعل، صفة، ضمير، خالفة، ظرف، أداة"، ويلاحظ أثر التقسيم اللاتيني واضحاً في تمام حسان، وقد تبعه في هذا التقسيم تلميذه فاضل

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، (ص:83).

مصطفى الساقى، يقول تمام حسان: "التقسيم الذي جاء به النحاة بحاجة إلى إعادة النظر، وأن محاولة التعديل بإنشاء تقسيم آخر جديد مبني على استخدام أكثر دقة لاعتباري المبنى والمعنى"¹، ثم قال: "إن الأقسام السبعة التي ارتضيها للكلم موضحين بها مواطن الضعف في التقسيم الذي ارتضاه النحاة من قبل هي كما يأتي²:

الاسم - الصفة - الفعل - الضمير - الخالفة - الظرف - الأداة.

ويبرر تمام حسان لتقسيمه الجديد" بأن النحاة قد قسموا الكلم إلى ثلاثة أقسام معتمدين في تقسيمهم على المعنى حيناً وعلى المبنى حيناً آخر، ولكنهم لم يستطيعوا بهذا التقسيم أن يفسروا بعض الظواهر اللغوية المهمة، فمثلاً³:

أ- اعترف النحاة بظاهرة النقل في باب اسم العلم فقط، ولكن طبيعة تقسيمهم للكلم حالت بينهم وبين فهم هذه الظاهرة الكبرى في نظام اللغة العربية.

ب- فيما عدا ما قام به المالقي في رصف المباني، والمرادي في الجني الداني، وابن هشام في المغني (والثلاثة من عصر واحد متأخر) لا نجد لدى النحاة اهتماماً بظاهرة تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، وحتى هؤلاء الثلاثة نظروا إلى المعنى من الناحية الدلالية العامة لا الزاوية الوظيفية (من وجهة نظر القواعد)، ولو أنهم قسموا الكلم بالتفصيل فلم يضعوا أقساماً متعددة تحت عنوان الاسم وقسمين على الأقل تحت عنوان الفعل لكان لهم من هذه الظاهرة موقف آخر.

ج- لم يفرق النحاة بين أسلوبى التعامل والإفصاح، ومرد ذلك أنهم لم يستطيعوا أن يلمحوا أوجه الشبه المعنوي والمبنوي بين الخوالب فوزعوها بين الأفعال وأسماء الأفعال والأصوات.

د- ولم يفرق النحاة بين معاني الزمن الصرفي والزمن النحوي، ومن ثم لم يتضح في أذهانهم أن الزمن النحوي وظيفية السياق ومن ثم يمكن أن ينسب إلى الأوصاف

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 88).

² المرجع نفسه ، (ص: 90).

³ أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقى (ص: 15-16).

والمصادر في السياق، وأن بعض ما نسبوه من الكلمات إلى الأفعال كليس وعسى خلو من معنى الزمن، ومن ثم لا يكون فعلاً بحكم التعريف. وقد فرق "تمام حسان" بين كل واحد من هذه الأقسام وبين الأقسام الأخرى من حيث المبنى، ومن حيث المعنى، ونوضح ذلك فيما يلي:

أ- الاسم:

والاسم "كل كلمة تدل على مسمى ليس الزمن جزءاً منه"¹. وقد تحدث تمام حسان عن أقسام الاسم، وذكر أنها خمسة أسماء، وهي كما يلي²:

الأول: الاسم المعين، وهو الذي يسمي طائفة من المسميات الواقعة في نطاق التجربة؛ كالأعلام وكالأجسام والأعراض المختلفة، ومنه ما أطلق النحاة عليه اسم الجثة وهو المعنى بما ورد في قول ابن مالك:

ولا يكون اسم زمان خبراً عن جثة وإن يفد فأخيراً

الثاني: اسم الحدث وهو يصدق على المصدر واسم المصدر واسم المرة واسم الهيئة، وهي جميعاً ذات طابع واحد في دلالتها، إما على الحدث أو عدده أو نوعه، فهذه الأسماء الأربعة تدل على المصدرية وتتدخل تحت عنوان اسم المعنى.

الثالث: اسم الجنس، ويدخل تحته أيضاً اسم الجنس الجمعي؛ كعرب وترك ونيق وبيع، واسم الجمع كإبل ونساء.

الرابع: مجموعة من الأسماء ذات الصيغ المشتقة المبدوءة بالميم الزائدة، وهي اسم الزمان واسم المكان واسم الآلة، ويمكن أن نطلق على هذه المجموعة أسماء يشملها هو قسم "الميميات"، وليس منها المصدر الميمي على رغم ابتدائه بالميم الزائدة؛ لأنه إن اقترب من هذه الثلاثة صيغة فإنه يتفق مع المصدر من جهة دلالاته على ما يدل عليه المصدر، فإذا نظرنا إليه في ضوء تعدد أبنية المصادر لم نجد صعوبة تحول دون عده واحداً من هذه الأبنية لا واحداً من الميميات.

¹ أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقى (ص: 166).

² اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 90-91).

الخامس: الاسم المبهّم, وأقصد به طائفة من الأسماء التي لا تدل على معين؛ إذ تدل عادة على الجهات والأوقات والموازين والمكاييل والمقاييس والأعداد ونحوها, وتحتاج عند إرادة تعيين مقصودها إلى وصف أو إضافة أو تمييز أو غير ذلك من طرق التضام. فمعناها معجمي لا وظيفي, ولكن مسماها غير معيّن, وذلك مثل: فوق وتحت وقبل وبعد وأمام ووراء وحين ووقت وأوان إلخ.

ونلاحظ تفريق تمام حسان بين المصدر الميمي وبقية الميميات في التصنيف على أساس المعنى وهو بهذا يتبع ذات المنهج الذي اتبعه النحاة القدماء في التقسيم, فهم يعتمدون تارة على المبنى وتارة على المعنى.

وثمة نقطة أخرى وهي أن هذا التصنيف الذي ارتضاه تمام حسان للأسماء قائم على عربية التراث, فكما هو معلوم أن العربية حالياً تقوم من حيث الازدواج على ثلاثة مستويات, هي: عربية التراث وهي لغة القرآن الكريم والشعر الجاهلي, والمستوى الثاني هو العربية الفصحى المعاصرة, وهي ذات خصائص تختلف عن عربية التراث, أما المستوى الثالث فهو العاميات. والذي يعنينا هنا هو المستوى الثاني, فقد أجازت المجامع اللغوية كثيراً من صيغ اسم الآلة نحو "شاحنة" و"رافعة" و"كسارة" و"ثلاجة" وغيرها, وهي صيغ تحتل معنى الوصف. وبناء على ذلك فإن تقسيم تمام حسان لا يشمل العربية المعاصرة ولا يتسع لها.

ب- الصفة:

والصفة "هي كل كلمة تدل على موصوف بالحدث"¹. ويجعل تمام حسان تحت قسم الصفة خمسة أنواع من الكلمات, وهي²:

- صفة الفاعل.
- صفة المفعول.
- صفة المبالغة.
- الصفة المشبهة.
- صفة التفضيل.

¹ أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة, فاضل مصطفى الساقى (ص: 170).

² اللغة العربية معناها ومبناها, تمام حسان (ص: 99).

فصفة الفاعل تدل على وصف الفاعل بالحدث منقطعاً متجدداً، وصفة المفعول تدل على وصف المفعول بالحدث كذلك على سبيل الانقطاع والتجدد، وصفة المبالغة تدل على وصف الفاعل بالحدث على طريق المبالغة، والصفة المشبهة تدل على وصفه به على سبيل الدوام والثبوت، وصفة التفضيل تدل على وصفه به أيضاً على سبيل تفضيله على غيره ممن يتصف بالحدث على طريقة أي من الصفات السابقة. مما سبق يمكن أن نرى أن القيم الخلافية المتعلقة بالمعنى، والتي تفرق بين صفة وأخرى من الصفات السابقة هي: الانقطاع في مقابل الاستمرار أو الدوام، ثم التجدد في مقابل الثبوت، ثم المبالغة في مقابل مجرد الوصف، ثم التفضيل في مقابل كل ما عداه من الصفات.

ونلاحظ أن تمام حسان يعتمد في تصنيف الصفات جانب المعنى وهو الدلالة على الوصف، وذلك أن مباني هذه الصيغ تتفق أحياناً وتختلف أحياناً أخرى، وقد تتداخل أحياناً كما هو المجال بالنسبة للصفة المشبهة واسم الفاعل.

ج- الفعل:

والفعل 'كلمة تدل على حدث وزمن'¹. وقد ذكر تمام حسان "أن النحاة قد عرفوا الفعل بأنه ما دلّ على حدث وزمن، ودلالته على الحدث تأتي عن اشتراكه مع مصدره في مادة واحدة، والمعروف أن المصدر اسم الحدث، فما شاركه في مادة اشتقاقه كالفعل والصفة والميميات لا بُدّ أن يكون على صلة من نوعٍ ما بمعنى الحدث؛ كالدلالة على اقتران الحدث بالزمان، أو على موصوف بالحدث، أو على مكان الحدث أو زمانه أو آله. وأما معنى الزمن فإنه يأتي على المستوى الصرفي من شكل الصيغة، وعلى المستوى النحوي من مجرى السياق، ومعنى إتيان الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة أن الزمن هنا وظيفة الصيغة المفردة، ومعنى أن الزمن يأتي على المستوى النحوي من مجرد السياق أن الزمن في النحو وظيفة السياق وليس وظيفة صيغة الفعل؛ لأن الفعل الذي على صيغة فعل قد يدل في السياق على المستقبل، والذي على صيغة المضارع قد يدل فيه على الماضي"².

¹ أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقى (ص: 175).

² اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 104).

ونلاحظ أن تمام حسان يجعل الزمن النحوي زمن سياقي مستكراً إسناد التغيير في زمن الصيغ في سياق الاستخدام اللغوي إلى الصيغ وليس إلى السياق، فالنحاة يقولون أن صيغة "يفعل" مثلاً تدل على وقوع الحدث في زمن الحال، ولكن حين تدخل عليها أداة النفي "لن" مثلاً فتصبح "لن يفعل" نجد أن الزمن قد تحول من الحال إلى الاستقبال، وقد فطن النحاة إلى هذا التغيير ونظروا إلى سببه فوجدوا أن سببه دخول هذه الأداة، فنسبوا هذا التغيير في الزمن لهذه الأداة، فقالوا في تعريف "لن" بأنها أداة نفي تنقل زمن الفعل المضارع من الحال إلى الاستقبال، بينما لم يعجب هذا تمام حسان، فقد رأى أن هذا التغيير يجب أن ينسب إلى السياق، وبهذا تصبح عنده صيغة "يفعل" لا تدل على زمن معين نحويًا، أما دلالتها على زمن الحال فهذا تحديد صرفي، أي تدل عليه كصيغة صرفية، ولا أرى من داع لهذه المماحكة؛ لأنها لا تقود إلى شيء ذي بال؛ لأن المعنى واحد في كلا الحالتين، وهو أن الفعل المضارع إذا دخلت عليه "لن" يدل على زمن الاستقبال، سواء نسبنا هذا التغيير إلى الأداة أم إلى السياق، وربما كان تقدير النحاة أكثر مناسبة؛ لأنهم نسبوا التغيير إلى سببه، إضافة إلى أن هذا الصنيع يساعد في اطراد القواعد، ومسألة السياق اللغوي التي دعا لها تمام حسان أكثر تعقيداً وصعوبةً من إسناد التغيير للأداة. ثم أن هناك سياقاً بلاغياً يقتضيه المقام قد تنتقل فيه دلالة صيغة الفعل من الماضي إلى المستقبل، وهو ليس بسياق نحوي كما في قوله تعالى: "وَسَيَقُولُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"¹، فالفعل جاء على صيغة الماضي ولكنه سيقع في المستقبل، والوجهة في ذلك وجهة بلاغية لتوكيد حدوث الفعل وكأنه وقع فعلاً.

د- الضمير:

والضمير "كلمة تدل على عموم الحاضر أو الغائب"². وفي حديثه عن دلالة الضمير ذكر أنها "دلالة تتجه إلى المعاني الصرفية العامة التي أطلقنا عليها معاني التصريف، والتي قلنا: إنها يعبر عنها باللواصق والزوائد ونحوها، والمعنى الصرفي العام الذي يعبر عنه الضمير هو عموم الحاضر أو

¹سورة الزمر، (الآية:73).

²أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقى (ص: 186).

الغائب دون دلالة على خصوص الغائب أو الحاضر، والحضور قد يكون حضور
تكلم كأنا ونحن، وقد يكون حضور خطاب كأنت وفروعها، أو حضور إشارة كهذه
وفروعها، والغيبة قد تكون شخصية كما في هو وفروعه، وقد تكون موصولية كما
في الذي وفروعه"¹.

ومعنى ذلك أنه قسم الضمائر في اللغة العربية الفصحى إلى ثلاثة أقسام:

- ضمائر الشخص.
- ضمائر الإشارة.
- ضمائر الموصول.

ثم ذكر أن "هذه الضمائر جميعًا دلت على معانٍ صرفية عامّة مما يقول النحاة
عنه: إنه "حقه أن يؤدي بالحرف" ولذلك فإن الضمائر لهذا السبب تشبه الحرف شبيها
معنويا بالإضافة إلى الشبه اللفظي الذي يظهر في بعضها. فلا فارق في الطابع بين
معنى الحضور والغيبة. وبين معاني التأكيد والنفي والاستقهام والشرط وابتداء الغاية
والمعية والمجازة والسببية والظرفية، وغيرها من المعاني التي تؤديها الحروف
والأدوات المسماة بأسماء هذه المعاني العامة، ومن هنا لا يمكن وصف الضمير
بالتعريف أو التنكير في النظام، وإنما يكون معرفة حين تعين على ذلك قرائن
السياق، وبهذا تختلف الضمائر من حيث المعنى عن الأسماء والصفات والأفعال"².

إذن فتمام حسان يرى أن الضمائر قسم قائم بذاته وله خصوصيته التي تميزه عن
الأسماء والصفات والأفعال، ولكي يباعد بين الضمائر والأسماء شبّه الضمائر
بالحروف من حيث المعنى، فساوى بين دلالة أدوات الاستقهام على الاستقهام
وأدوات النفي على النفي وغير ذلك بدلالة الضمائر على عموم الحضور والغيبة،
ولكي يكتمل له الابتعاد عن الأسماء ينفي عن الضمائر التعريف وينسبه إلى
السياق، فإذا ساق له أن ينسب التغيير في الزمن النحوي إلى السياق فيما مضى فلا
أدري كيف ساق له أن ينفي التعريف عن الضمائر ونسبته إلى السياق، أوليس هو
الدلالة على معين أو على شيء محدد؟ فعندما أقول نحن السودانيين أفلا أعني

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص:108).

²المرجع نفسه،(ص:110).

أشخاص محددين؟ وعندما أقول هذا أحمد أوليس هو شخص محدد؟ وهكذا ، فأي سياق هذا الذي نسب إليه التعريف؟

وثمة شيء آخر يعزز إضافة الضمائر عند القاء إلى الأسماء هو أن الضمائر تنوب عن الأسماء، وقد جيء بهن لتجنب التكرار، أي تكرار ذكر الاسم، فنقول مثلاً جاء أحمد إلى المدرسة ومعه كتابه، بدلاً من أن نقول: جاء أحمد إلى المدرسة ومع أحمد كتاب أحمد، وهي جملة لا تخلو من اللبس؛ لأن الضمير يحتاج لمن يعود إليه، بينما الاسم لا يحتاج لذلك، فيمكن أن يفهم أن أحمد في "كتاب أحمد" هو شخص غير الأول، ثم إن الضمير يطابق العائد إليه في جميع نواحيه، لهذا فهو يدل على معين وليس الزمن جزءاً منه.

ونخلص من كل هذا إلى أن إضافة الضمائر والإشارة والموصول إلى الأسماء عند النحاة القداماء له ما يبرره؛ لأن الذي يجمع بين هذه الأشياء هو الاسم أكثر مما يباعد بينها.

هـ- الخوالب:

الخوالب عند "تمام حسان" كلمات تستعمل في أساليب إفصاحية، أي: في الأساليب التي تستعمل للكشف عن موقف انفعالي ما والإفصاح عنه، وهذه الكلمات ذات أربعة أنواع¹:

- خالفة الإخالفة ويسميتها النحاة: "اسم الفعل"، ويقسمونها اعتباراً ودون سند من المبني أو المعنى إلى اسم فعل ماض كهيهات، واسم فعل مضارع كوي، واسم فعل أمر كصه.

- خالفة الصوت ويسميتها النحاة "اسم الصوت"، ولا يقوم دليل على اسميتها لا من حيث المبني ولا من حيث المعنى، فهي لا تقبل علامات الأسماء "إلا على الحكاية شأنها في ذلك شأن الأفعال والجملة". وذلك نحو: هلاً لزجر الخيل، وكخ للطفل، وعاه للإبل، وهج للغنم، وحشر للحمار، وبس للقطعة، وكذلك أصوات دعوة الحيوان، وحكاية الأصوات مثل: هاها لحكاية الحك، وطاق للضرب، وطق لوقع الحجر، وهلم جرا.

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 113-115).

- خالفة التعجب ويسميتها النحاة صيغة التعجب, وليس هناك من دليل على فعليتها, بل إن هناك ما يدعو إلى الظن أن خالفة التعجب ليست إلا فعل تفضيل تُنْوسِي فيه هذا المعنى وأدخل في تركيب جديد لإفادة معنى جديد يمت إلى المعنى الأول بصلة, وليس المنصوب بعد إلا المفضّل الذي نراه هنا بعد صيغة التفضيل, ولكنه في تركيب جديد وبمعنى جديد, وليست العلاقة بين الصيغة وبينه علاقة التعديّة, وقد سبق لنا أن ذكرنا أمر نقل الصفة إلى علم, والفعل إلى علم "ومن العلم ما ينقل", ونقل الظروف إلى أدوات, والإشارة المكانية إلى الظرفية, وبعض حروف الجر إلى الظرفية, فلا جرم أننا نزعم هنا أن صيغة التعجب هي صيغة التفضيل منقولة إلى معنى جديد في تركيب جديد, ولا سيما لأنها ورد تصغيرها كما يصعّر التفضيل, وإن شروط صياغتهما واحدة, ولكن هذه الصيغة في تركيبها الجديد أصبحت مسكوكة لا تقبل الدخول في جدول إسنادي كما تدخل الأفعال, ولا في جدول تصريفي كما تدخل الأفعال والصفات, ولا في جدول إصاقي كما يدخل هذان ومعهما الأسماء.

- خالفة المدح أو الذم ويسميتها النحاة (فعلي المدح والذم), ولكنهم اختلفوا حول المعنى التقسيمي لهاتين الخالفتين, فرأها بعضهم أفعالاً ورأها آخرون أسماء, وذهب كل من الفريقين يلتمس القرائن المؤيدة لرأيه. فأما القائلون بالفعلية فقالوا: إنها ترفع الاسم الظاهر وضميره, وتقبل التاء الساكنة كالأفعال. وأما القائلون بالاسمية فقالوا: إن حرفي الجر والنداء يدخلان عليها, فالتضام الذي بينها وبينهما قرينة على اسميتها, وغفل الأولون عن أنّ هذين اللفظين لا يقبلان من علامات الأفعال إلا هذه التاء الساكنة, أما تاء فعلت وياء افعلي ونون أقبلن والتصرف إلى مضارع وأمر, بل التصرف في داخل الإسناد فيما عدا قبول تلك التاء, فلا يقبل شيئاً منه, وكل ذلك يطعن في فعليتهما, وغفل الآخرون عن أن حرف الجر يدخل على الجملة المحكيّة حين يقصد لفظها, فليس في دخول الباء على نعم في "والله ما هي بنعم الولد" ما يؤكد اسميتها, ولا سيما إذا نظرنا إلى إبانها قبول بقية علامات الأسماء, زد على ذلك أن هذين اللفظين ليس معناهما الفعل الماضي كما زعم القائلون بذلك, وإنما معناهما الإفصاح عن تأثر وانفعال دعا إلى المدح أو الذم, بل إن ابن جني في اللمع يقول: إن معناهما "المبالغة" في المدح والذم, وتعبيره بالمبالغة يتّجه اتجاه

تعبيري بالإفصاح، وفي كلا التعبيرين إشارة إلى ما هو أكثر من مجرد المدح أو الذم. والذي يقال في نعم وبئس يقال أيضاً في حبذا ولا حبذا، فلا صلة لهما بمعنى مشتقات مادة "ح ب ب"، وإنما يقوم التعبير بهذه الخوالب الأربع جميعاً مقام التعبيرات المسكوكة في التعجب، فالتعبير هنا بكلمات لا تتغير صورتها ولا يتغير ما تقرر لها من الرتبة، فهي جارية مجرى الأمثال.

ثم يقول تمام حسان: "والقسط المشترك في معاني هذه الخوالب جميعاً أن لها طبيعة الإفصاح الذاتي عمّا تجيش به النفس، فكلها يدخل في الأسلوب الإنشائي، وجميعها يحسن بعده في الكتابة أن نضع علامة تأثر!"، فالفرق بين "ستان زيد وعمرو" وبين "افترق زيد وعمرو"، هو فرق ما بين الإنشاء والخبر، فلا تصلح الثانية لشرح الأولى؛ إذ لا تساويها في المعنى، ومثل ذلك الفرق بين "أوه" وبين "أتوجع"، فلو أنك أحسست بألم مفاجئ فقلت: "أوه" لحق على الناس أن يسرعوا إلى نجدتك، ولكنك لو قلت في هذا الموقف نفسه: "أتوجع" لسألك السامع: ممّ تتوجع؟ ولم يخف إلى نجدك لأنّ ما قلته "خبر" مجمل يحتاج إلى تفسير، ويحتل بعده استقهاماً، وليس إنشاء يتطلب استجابة عملية سريعة، ومثل ذلك يقال عن خوالب الأصوات كزجر الحيوان وإغرائه، وعن خوالب المدح والذم والتعجب"¹.

فكما أسلفنا فإن مصطلح الخالفة ابتكره الفراء للدلالة على نوع من الكلام يخالف التصنيف الثلاثي "اسم، فعل، حرف" أما تمام حسان فقد جعله جمعاً فشمّل به "أسماء الأفعال، وأسماء الأصوات، وأفعال المدح والذم والتعجب" بجامع الإفصاح والتعبير عن موقف انفعالي، وليس هذا بحد مانع -كما يقول علماء الأصول- فعبارة "احمرّ وجه الفتاة" جملة عبرت عن انفعال معين وهو الخجل، وليس في هذه الجملة عبارة من الخوالب. وشيء آخر أن مصطلح الإخالفة والذي جاء به تمام حسان بدلاً عن اسم الفعل بعيد في دلالاته عن محتواه، وأن مصطلح النحاة أوضح دلالة، كما أن ابتكار مصطلحات جديدة يؤدي إلى إرباك دارس النحو العربي، وقد كان هذا سبب من أسباب إخفاف محاولة إبراهيم مصطفى في تجديد النحو العربي. أما وصف تمام حسان لتقسيم أسماء الأفعال حسب تقسيمات الفعل (ماضي، مضارع، أمر) بأنه لا

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص:116).

يستند إلى مبنى ولا معني فهو غير صحيح إطلاقاً، فلولا التماس معنى الأمر في عبارة "حذار" لما عدها النحاة اسم فعل أمر، وكذلك الحال بالنسبة لهيئات وبخ بخ. أما أسماء الأصوات ففي بعض منها دلالة الأمر لا سيما تلك التي تستخدم في زجر الحيوانات، فكان الأولى أن تضاف إلى أسماء فعل الأمر فهو أقرب.

أما ما ذهب إليه تمام حسان من وجود فرق بين الخوالب ومقابلاتها في المعنى فهو صحيح، إذ لا تتساوى عبارة "آه" مع عبارة "أتوجع"؛ لأن هذه العبارة وما جاء على شاكلتها من أسماء الفعل المضارع هي انفعال شبه طبيعي، وقلنا طبيعي لأنها غير موجودة في جميع اللغات وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، ولكن هذا الاختلاف لا ينفي عنها دلالتها على معنى الفعل المضارع.

و-الظرف:

والظرف كلمة تدل على معنى صرفي عام هو الظرفية الزمانية أو المكانية¹. وفي حديث تمام حسان عن الظرف ذكر أن النحاة قد توسّعوا في فهم الظرف بصورة جعلت الظرفية تتناول الكثير من الكلمات المتباينة معنى ومبنى، والظروف كما أراها مبانٍ تقع في نطاق المبنيات غير المتصرفة، فتتصل بأقرب الوشائج بالضمائر والأدوات،

ويمكن التمثيل لها على النحو الآتي²:

ظرف مكان	ظرف زمان
أين	إذ
أنى	إذا
حيث	إذاً
	لما
	أيان
	متى

¹أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقى (ص: 196).

²اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص:119).

ثم لاحظ أن النحاة قد استعملوا بعض الكلمات استعمال الظروف على طريقة تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، فعدوا طائفة عظيمة من الكلمات المستعملة استعمال الظروف ظروفًا، فكما أن الصفة والفعل قد ينقل معناهما إلى العلمية، وكما أن المصدر ينوب عن الفعل، وكما أن من وما وأي الموصولة يتعدد معناها الوظيفي فتترك الموصولية إلى الاستفهام أو الشرط، نجد مجموعات من الكلمات ذات المعاني المختلفة والمباني المختلفة أيضًا قد نسبها النحاة إلى الظرفية، وما هي بظروف من حيث التقسيم، ومن ذلك¹:

- 1- المصادر نحو: آتيتك طلوع الشمس، ومنها: قط، عوض الملازمان للقطع عن الإضافة والمعروف أن المصادر أسماء لا ظروف.
- 2- صيغتا اسمى الزمان والمكان نحو: آتيتك مطلع الشمس، وأقعد مقعد التلميذ، والصيغتان من الممييزات التي سبق أن ذكرنا أنها أسماء لا ظروف.
- 3- بعض حروف الجر نحو: مذ ومنذ؛ لأن معناهما ابتداء الغاية، وهما يجران ما بعدهما، ولكنهما يستعملان استعمال الظروف عندما يردان مع الجمل، فتكون الظرفية فيهما من قبيل تعدد المعنى الوظيفي.
- 4- بعض ضمائر الإشارة إلى المكان نحو: هنا وثُمَّ، أو إلى الزمان نحو: الآن وأمس، وهي ليست ظروفًا في الأصل.
- 5- بعض الأسماء المبهمة ومنها:
 - ما دلَّ على مبهم من المقادير نحو: "كم".
 - ما دلَّ على مبهم من العدد حين يميزه ما يفيد الزمان أو المكان نحو: خمسة أيام وثلاث ليال.
 - ما دلَّ على مبهم من الجهات وهو: فوق وتحت وأمام ووراء ويمين وشمال وخلف وإثر.
 - ما دلَّ على مبهم من الأوقات وهو: حين ووقت وساعة ويوم وشهر وسنة وعام وزمان وأوان.

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 119-120).

- بعض المبهمات المفتقرة إلى الإضافة والمفيدة لعلاقة بين أمرين صالحة لمعنى الزمان أو معنى المكان بحسب ما تضاف إليه، وذلك هو: قبل وبعد ودون ولدن وبين وسط وعند.

- بعض الأسماء التي تطلق على مسميات زمانية معينة كسحر وسحرة وبكرة وضحوة وليلة ومساء وعشية وغدوة حين يقصد بها وقت بعينه، فقد نابت هذه الأسماء عن الظرف ومنعت التصرف لتقرب مع طابع مبنى الظرف، والمتصرف من مادتها باقٍ على أصله، فليس يُعدُّ فيما عومل معاملة الظروف.

فالمصادر وصيغتا اسمي الزمان والمكان والمبهمات بأقسامها، وما أطلق على مسمياتٍ زمانية معينة كلها أسماء من الأسماء، ولكنها حين عوملت معاملة الظروف فأدّت وظائفها، ولا ينبغي لهذا أن يضللنا عن أصلتها في باب الأسماء، وأما "مذ" و"منذ"، فهما من حروف الجر مثلهما في الجر مثل "من"؛ لأن معنهما كمعناها -ابتداء الغاية، غير أن خروج "من" عن ابتداء الغاية إنما يكون إلى السببية أو التبعية أو نحوهما، وتلتزم التضام مع الأسماء المجرورة. وأما "مذ" و"منذ"، فإن خروجهما عن ابتداء الغاية يكون إلى معاملتهما معاملة الظرف مع جواز التضام بينهما وبين الجمل، وربما كان ذلك على حذف "أن" كما تحذف من خبر عسى الناسحة.

إذن لا يوجد في اللغة العربية الفصحى مما ينبغي أن يوضع في قسم مستقلٍ من أقسام الكلم يسمّى "الظرف" - عند تمام حسان - إلا تلك الكلمات التي جاءت في بداية القول في الظرف، وهي: إذ وإذا وإذاً ولما وأيان ومتى وهي للزمان، ثم أين وأنى وحيث، وهي للمكان¹.

وحتى يكون حد الظرف محكماً وضع تمام حسان ثلاثة شروط للظرفية هي:

- أن الظرفية مبنى وليست معنى، وهذا ما لم يأخذ به النحاة القدماء، فقد ركزوا على جانب المعنى وهو الدلالة على المكان أو الزمان. وبهذا الشرط استبعد تمام حسان جميع الكلمات التي تدل على الزمان أو المكان وهي ذات مبنى اسمي أو غير ذلك.

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص:121).

- أن الظروف مبنية، وقد وضع تمام حسان هذا الشرط لأن الأصل في الأسماء الإعراب، فهو يريد بهذا إبعادها عن الأسماء قدر الإمكان، وضمان نوع من ثبات المبنى لأن المبنى معول عليه عنده.

- عدم التصرف، وعدم التصرف أيضاً الغرض منه إبعاده عن الأسماء والأفعال لأن من خصائص الأفعال التصرف (وهنا لا ننسى أن تمام حسان جعل بعض الأفعال الجامدة من الخوالف) ومن خصائص الأسماء الإشتقاق، وبهذا يكون قد حصر مفهوم الظرف في كلمات معدودة فقط، ونلاحظ أن الشرط الأول هو أهم هذه الشروط، وأن جميع هذه الظروف بخلاف "حيث" والتي يدخل عليها حرف الجر "من"، جميعها لا يسبقها شيء ولا يتصل بها لاحق، وهذا أيضاً يميزها عن الأسماء، فهي تقبل دخول حرف الجر كما تتصل بها الضمائر (من عند) و(عندنا)، وبهذا يبدو واضحاً وعي تمام حسان بخصائص الأسماء من حيث قبولها دخول حرف الجر والقابلية للإضافة.

ز - الأداة:

والأداة كلمة تؤدي وظيفة نحوية عامة، وهذه الوظيفة تتضح بالتعبير عن المعنى النحوي العام للجمل والأساليب، والتعليق هو الوظيفة العامة التي تقوم بها الأداة¹.

فالأداة مبنية تقسيماً يؤدي معنى التعليق، والعلاقة التي تعبر عنها الأداة، إنما تكون بالضرورة بين الأجزاء المختلفة من الجملة²، ثم يقسم الأداة إلى قسمين³:

- الأداة الأصلية، وهي الحروف ذات المعاني كحروف الجر والنسخ والعطف إلخ.

- الأداة المحولة، وقد تكون هذه:

أ- ظرفية؛ إذ تستعمل الظروف في تعليق جمل الاستفهام والشرط.

¹ أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقى (ص: 199).

² اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 123).

³ المرجع نفسه، (ص: 123).

ب- أو اسمية؛ كاستعمال بعض الأسماء المبهمة في تعليق الجمل مثل: كم وكيف في الاستفهام والتكثير والشرط أيضًا.

ج- أو فعلية؛ لتحويل بعض الأفعال التامة إلى صورة الأداة بعد القول، بنقصانها مثل: كان وأخواتها وكاد وأخواتها.

د- أو ضميرية؛ كنقل من وما وأي إلى معاني الشرط والاستفهام والمصدرية الظرفية والتعجب إلخ.

وعندما تحدث عن دلالة الأدوات ذكر أنها جميعًا تشترك في أنها لا تدل على معانٍ معجمية، ولكنها تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق، ثم تختص كل طائفة منها تحت هذا العنوان العام بوظيفة خاصة كالنفي والتأكيد وهلم جرا، حيث تكون الأداة هي العنصر الرابط بين أجزاء الجملة كلها، حتى يمكن للأداة عند حذف الجملة أن تؤدي المعنى كاملاً كالذي نراه في عبارات مثل: لم، عمّ، متى، أين، ربما، وإن، لعل، ليت، لو... إلخ. فيكون المعنى الذي تدل عليه هذه الأدوات هو معنى الجملة كاملة وتحدده القرينة بالطبع، وحين أراد النحاة أن يعبروا عمّا فهموه بوضوح من أن معاني الأدوات هي وظائفها أي: أن معناها وظيفي لا معجمي قالوا في تعبيرهم عن هذا الفهم: إن هذه "معانٍ حقها أن تُؤدّى بالحرف"، أي: إن المعاني الوظيفية يكشف عنها في مظانّها الأصلية وهي كتب القواعد، وهذه المعاني من الناحية النظرية تقع خارج اهتمام المعجم، ولكن المعاجم للفائدة العملية ترى من الأصلح إيراد هذه الأدوات بين كلماتها المشروحة، وإذا كان هذا المعنى الوظيفي قد أمكن الوصول إليه باسم أو فعل أو ظرف أو ضمير على نحو ما رأينا منذ قليل، فإن الكلمة التي تؤدي هذا المعنى توصف في هذه الحالة بأنها أشبهت الحرف شبهًا معنويًا، وربما أصبحت هي ذاتها أداة محوّلة لهذا السبب نفسه¹.

ويلاحظ أن تمام حسان قد توسع في مفهوم الأداة، فشمّل بها جانباً مما كان النحاة يعدونه ضمن الأفعال وهو الأفعال الناقصة، وأنه استغنى بها عن مفهوم الحرف، وجمع تحتها أشنات من الكلمات تتفق جميعها في أداء وظيفة نحوية هي التعليق، وبهذا يكون الاعتبار في الأدوات هو المعنى وليس المبنى، وهذه حقيقة

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:125).

فطن إليها النحاة القدماء حين أطلقوا مصطلح الأداة على بعض الأسماء والحروف،
آخذين في الاعتبار تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد.

وعموماً فإن هذا التقسيم الذي قدمه تمام حسان كان الهدف منه تسهيل دراسة
النحو العربي، فهو جزء من محاولة تمام حسان لتجديد النحو العربي، غير أنها
ظلت حبيسة مؤلفاته ولم تجد حظها من التطبيق.

ومن خلال العرض السابق يتضح لنا تصور تمام حسان للدلالة الصرفية،
فهي كما أسلفنا تتمثل في نصيب الصيغ الصرفية من المعنى وما تحمله من دلالات
تتوصل إليها عبر مبانيها اللغوية.

تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد:

يرى "تمام حسان" في هذا الجانب أن مباني الأقسام قد تتعدّد معانيها
كالمصدر من الأسماء ينوب عن الفعل نحو: ضرباً زيداً، ويؤكد الفعل كضربته
ضرباً، ويبين سببه كضربته تأديباً له، وينوب عن اسم المفعول نحو {بِدْمٍ كَذِبٍ} واسم
الفاعل مثل: {أَصْبَحَ مَأْوُكُمْ عَوْرًا}، ويكون بمعنى الظرف نحو آتيك طلوع الشمس،
وهلم جرا، وكاسمي الزمان والمكان يتعدد معناهما الوظيفيان يكونا ظرفين أو داخلين
في علاقة إسناد، وكالأسماء المبهمة من المقادير والأعداد والجهات والمكاييل
والموازين حين تخرج عن معنى الاسم إلى معنى الظرفية، وكالصفات تستخدم
لمجرد الوصف وينوب بعضها عن بعض كما ينوب فعيل عن فاعل ومفعول،
وتستخدم أعلاماً وتدخل في علاقات سياقية مع المنصوبات، وتكون أحوالاً ونعوتاً،
وتدخل في علاقة إسنادية، وهلمّ جرا، وكالأفعال يتحوّل معناها إلى العملية كيزيد
ويشكر، وكالضمانر تستعمل استعمال الأدوات كما في الإغراء والتحذير، وتنفصل
فتؤدي معنى تقسيمياً كما أنها تتصل فتؤدي معنى تصريفاً بدلاتها على معاني
التصريف، وتكون وسيلة ربط لعودها على متقدّم لفظاً ورتبةً، وكالظروف تكون
للظرفية المحضة، كما تتحول إلى أدوات للشرط أو الاستفهام أو التعليل¹، وكالأدوات
تكون الواحدة منها لعدد من المعاني مثل: "ما" تكون موصولة ونافية وكافة ومصدرية

ظرفية واستفهامية وتعجبية وشرطية، ومثل: "إن" تكون شرطية ونافية وزائدة ومخففة من الثقيلة المؤكدة¹.

وفي حديثه عن الصيغ ذكر أنها صالحة لهذا التعدد والاحتمال، ويكفي أن تنظر في معنى صيغة مثل "أفعل" لتجد أن معناها يكون التعدية ومصادفة الشيء على صفة والسلب والإزالة وصيرورة الشيء ذا شيء والدخول في شيء والاستحقاق والتعريض والتمكين، كما أنك ستجد "فعل" للكثير، ونسبة الشيء إن أصل الفعل والتوجه إلى الشيء وقبول الشيء، ونجد كل ذلك مفصلاً في دراسة الصيغة².

ومثلاً لمباني التصريف قائلًا: "فإذا أخذنا التاء مثلاً وجدناها مرة للتأنيث ومرة للوحدة ومرة للمبالغة، وإذا نظرنا إلى الألف والنون وجدناها مرة للمثنى الحقيقي ومرة للمطابقة، كما تكون الألف للثنتين والنون بعدها للرفع كما تمتدء المضارعة على بداية عدد من الإسنادات تتجاوز المخاطب إلى بعض إسناد الغائب وهلم جرا"³.

ثم تحدث تمام حسان عن مباني القرائن ذاكراً بعض الأمثلة منها أن الاسم المرفوع مبنى صالح لأن يكون فاعلاً أو نائب فاعل، أو اسماً لكان أو خبراً لأن، أو مبتدأ أو خبراً، أو تابعاً مرفوعاً، وأن الاسم المنصوب صالح لأن يكون أيّ واحد من المفعولين، أو حالاً أو تمييزاً أو مستثنى، أو منادى مضافاً، أو منصوباً على الاختصاص، أو مشتغلاً عنه، أو تابعاً منصوباً، أو منزوع الخافض، كما أن رتبة الصدر تكون لأداة الاستفهام أو الترجي أو التمني أو العرض أو التخصيص أو القسم أو التعجب، وأن صيغة المصدر تكون للمفعول المطلق والمفعول لأجله وللمصدر النائب عن فعله وللمبتدأ والخبر والفاعل، ولكل معنى نحوي يؤدي بالأسماء، وأن المطابقة تكون لمعنى الحال، والنعت الحقيقي والخبر المفرد والفعل بعد المبتدأ، وأن الربط باللام يكون في جواب القسم، وفي جواب الشرط الامتناعي، وفي خبر إن، كما يكون الربط بالفاء في جواب الشرط، وفي خبر المبتدأ الدالّ على العموم، ولا سيما حين يكون المبتدأ اسماً موصولاً نحو: الذي يأتيني فله درهم،

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 163-164).

² المرجع نفسه (ص: 164).

³ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 164-165).

والتضام الافتقاري يكون بين الموصول وصلته، والجار والمجرور والنواسخ والمنسوخات، وإلا والمستثنى وحرف العطف والمعطوف¹.

كذلك يرى أن "هذا التعدد والاحتمال نلحظه في مباني الجمل؛ فمبنى الجملة المثبتة يكون للإثبات نحو: قام محمد، ويكون للدعاء نحو: رحمه الله، ويكون لصلة الموصول وصفة الموصوف وخبر المبتدأ وضميمة للظرف وحالاً ومقولاً للقول، كما يكون مبنى الجملة الاستفهامية للاستفهام ولصدر جملة الشرط، وللإنكار والتقرير ومقول القول، وصفة على معنى التشبيه، فقله: هل رأيت الذئب قط، معناه: كالذئب"².

ثم يختم حديثه عن تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد بأن المبنى الواحد متعدد المعنى، ومحتمل كل معنى مما نسب إليه، وهو خارج السياق، أما إذا تحقق المبنى بعلامة في سياق فإن العلامة لا تفيد إلا معنى واحداً تحددته القرائن اللفظية والمعنوية والحالية، وهذا التعدد والاحتمال في المعنى الوظيفي يقف بإزائه تعدد واحتمال في المعنى المعجمي أيضاً³.

وكما هو معلوم فإن تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد هو سمة من سمات اللغة العربية تدل على سعة هذه اللغة ومرونتها، وهذه المباني تعتمد في دلالتها على معانيها المتعددة على السياق، فالسياق هو الذي يحدد أي معنى تدل عليه هذه الصيغ الصرفية.

5-3-3- الدلالة النحوية:

5-3-3-1- الأسس التي ينبني عليها النظام النحوي:

وعندما تحدث تمام حسان عن النظام النحوي للغة العربية الفصحى ذكر أنه ينبني على الأسس الآتية⁴:

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:165).

² المرجع نفسه، (ص:165).

³ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:165).

⁴ المرجع نفسه، (ص:178).

- طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الجمل أو الأساليب.
 - مجموعة من المعاني النحوية الخاصة، أو معاني الأبواب المفردة، كالفاعلية والمفعولية والإضافة إلخ.
 - مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها، وذلك كعلاقة الإسناد والتخصيص "وتحتها فروع"، والنسبة "وتحتها فروع"، والتبعية "وتحتها فروع أيضًا"، وهذه العلاقات في الحقيقة قرائن معنوية على معاني الأبواب الخاصة كالفاعلية والمفعولية.
 - ما يقدمه علما الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية كالحركات والحروف ومباني التقسيم ومباني التصريف، وما اصطلاحنا من قبل على تسميته مباني القرائن اللفظية.
 - القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفرادها.
- ثم يتحدث عن قرينة التعليق قائلاً: "ولا شك أن أصعب هذه القرائن من حيث إمكان الكشف عنها هي قرينة التعليق لأنها¹:
- قرينة معنوية خالصة تحتاج إلى تأمل في بعض الأحيان.
 - إن التأمل فيها يقود في الأغلب الأعم من الحالات إلى متاهات الأفكار الظنية التي لا تتصل اتصالاً مباشراً بالتفكير النحوي، ونخرج لهذا السبب عن طبيعة الالتزام بحدود المنهج.
 - إن الكشف عن هذه القرينة هو الغاية الكبرى من التحليل الإعرابي، وما دام الناس يحسون ويعترفون بالإحساس بصعوبة الإعراب أحياناً، فإن معنى ذلك أن من الصعب عليهم أن يكشفوا عن هذه القرينة المعنوية "قرينة التعليق"، وهي أم القرائن النحوية جميعاً.
- ويقول تمام حسان عن المعنى: "إنالمعنى على مستوى النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي هو معنى وظيفي، أي: إن ما يُسمَّى المعنى على هذا المستوى هو في الواقع وظيفة المبنى التحليلي، ثم يأتي معنى الكلمة المفردة

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص:182).

"المعنى المعجمي"، وما يكون بمجموع هذين المعنيين مضافاً إليهما القرينة الاجتماعية الكبرى التي نرتضي لها اصطلاح البلاغيين "المقام"، وكل ذلك يصنع "المعنى الدلالي"¹.

ويتحدث تمام حسان عن المعنى الوظيفي بقوله: "فأما المعنى الوظيفي فإنه دلالة العنصر اللغوي على معنى عام مثل معاني الضمائر والإشارات والموصولات، أو على وظيفة سياقية كعلاقة الربط بين عناصر السياق، وهذه هي وظيفة الأدوات وحروف المعاني... أما النوع الثاني من المعاني فهو المعنى المعجمي الذي تدل عليه الكلمات المفردة ذات الأصول الإشتقاقية والصيغ الصرفية في الغالب"².

وما يجدر ذكره هنا أن تمام حسان قد قام بتحليل النظام النحوي للغة العربية الفصحى كيفما وضعه النحاة القدماء، وكما -أشرنا سابقاً- فقد رأى أن في هذا النظام خللاً أدى إلى الشكوى من صعوبة النحو العربي، ويرجع تمام حسان هذا الخلل إلى عدم اتباع النحاة القدماء للمنهج العلمي السليم، ويتجلى هذا الخطأ في اتباع منهج معياري في دراسة اللغة العربية الفصحى، وكان الواجب أن يكون منهجاً وصفيًا ديناميكياً، إضافة إلى ما أخذه عليهم في تعقيد قواعد اللغة العربية الفصحى، وقد أفادته دراساته إلى تقديم تصور جديد للغة العربية ولنظامها النحوي عرفت محاولته باسم نظرية القرائن أو قرائن التعليق.

5-3-2- قرائن التعليق:

وهذه النظرية تبحث في تحديد دلالة المنطوقات اللغوية، وإذا تتبّعنا مؤلفات تمام حسان خاصة بعد أن أصدر كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" نجده قد ركّز كثيراً على فكرة القرائن وتضافرها حتى صارت عنده نظرية يرى أنها صالحة لأن تكون بديلاً لنظرية العامل التي جعلت الاهتمام منصباً على الإعراب والعلامة

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص:182).

²الفكر اللغوي الجديد،تمام حسان(ص:88).

الإعرابية التي قد تكون في كثير من الأحيان قاصرة عن إبانة المعنى. وهذه النظرية تقسم القرائن إلى قسمين: قرائن معنوية وقرائن لفظية كالآتي:
أولاً- القرائن المعنوية:

يبدأ "تمام حسان" الحديث عن نظريته قائلاً: "إن الغاية التي يسعى إليها الناظر في النص هي فهم النص، وأن وسيلته إلى ذلك أن ينظر في العلامات المنطوقة أو المكتوبة في النص ليصل بواسطتها إلى تحديد المبنى، وأن الوصول إلى المبنى بواسطة العلامة ليس من العمليات العقلية الكبرى في التحليل؛ لأنها مسألة تعرّف يعتمد على الإدراك الحسي بواسطة السمع أو البصر، كما تتعرّف على فلان بواسطة حضوره أمامك، فلا يحتاج منك ذلك إلا إلى الاعتماد في الفهم على قرينة العهد الحضوري أو حضور المعهود. أما ما هو أكثر صعوبة من ذلك دون شك فهو القفز العقلي من المبنى إلى المعنى؛ لأن ذلك يحتاج إلى قرائن معنوية وأخرى لفظية، ويصدق على كليهما اصطلاح: "القرائن المقالية"، لأن هذين النوعين من القرائن يؤخذان "من المقال" لا من "المقام"، وتأتي الصعوبة في هذا المجال من أن المبنى الصرفي الواحد يصلح لأكثر من معنى، وكانت هذه الإشارة تحت عنوان: "تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد"، فإذا تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد على إطلاقه فليس معنى ذلك أنه يتعدد بالنسبة لعلامته بخصوصها في النص، فعلياً إذا عند النظر في نص بعينه أن نقرّر أيّ المعاني المتعددة هو الذي يتعين هنا؛ إذ لا بُدّ في نص بعينه أن يكون المعنى محدداً، ووسيلة الوصول إلى هذا المعنى المعين هي استخدام القرائن المتاحة في المقال سواء ما كان معنوياً وما كان لفظياً، فإذا كان الوصول إلى تحديد المبنى من العلامة يتمّ بحضور المعهود، وكان استحضار المعنى من المبنى لا يتمّ إلا باستخدام القرائن، فلا شكّ أن العملية الثانية أصعب من الأولى. والمعروف أن التحليل اللغوي "الإعراب" يحتاج إلى الأمرين جميعاً"¹.

والقرائن المعنوية يجمعها تمام حسان في أربعة قرائن كبرى يندرج تحتها عدد من القرائن الفرعية، وهذه القرائن الأربع هي: قرينة الإسناد، وقرينة التخصيص، وقرينة

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص:191).

النسبة، وقرينة التبعية، وأولى القرائن المعنوية هي قرينة الإسناد، وعن هذه القرينة يقول: "العلاقات السياقية قرائن معنوية تفيد في تحديد المعنى النحوي" الباب الخاص كالفاعلية مثلاً" فعلاقة الإسناد مثلاً وهي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر، ثم بين الفعل والفاعل أو نائبه، تصبح عند فهمها وتصورها قرينة معنوية على أن الأول مبتدأ والثاني خبر، أو على أن الأول فعل والثاني فاعل أو نائب فاعل، ويصل المعرب إلى قراره أن ذلك كذلك عندما يفهم العلاقة الرابطة بين الجزئين، ولكن علاقة الإسناد لا تكفي بذاتها للوصول إلى هذا القرار؛ لأنها يمكن أن تكون إسناداً في جملة اسمية أو إسناداً في جملة فعلية، ويمكن أن تكون إسناداً خبرياً أو إسناداً إنشائياً، وهلمَّ جزءاً، ومن هنا تحتاج إلى قرائن أخرى لفظية تعينها على تحديد نوعها، فنلجأ إلى مباني التقسيم لنرى إن كان طرفا الإسناد اسمين أو اسماً وصفة أو اسماً وفعلًا أو فعلًا واسماً إلخ، ونلجأ أيضاً إلى مباني التصريف لنلمح الشخص والنوع والعدد والتعيين، وإلى العلامة الإعرابية لنرى ما إذا كانت الأسماء مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة، وإلى الرتبة لنرى من أي نوع هي، وإلى المطابقة بين الجزئين ما نوعها، وهلمَّ جراً مما يعتبر قرائن لفظية، وذلك إيضاح لظاهرة مهمة جداً في التعليق هي ظاهرة تضافر القرائن لإيضاح المعنى الواحد"¹. إذن هذه القرينة هي التي تحدد العلاقة بين طرفي الإسناد: الفعل والفاعل أو نائب الفاعل، والمبتدأ والخبر.

فأما تعدد صور الإسناد فتتضح من تباين العلاقات بين عناصر تركيب الجملة الاسمية والجملة الفعلية والجملة الوصفية، ولعل عبارة "الجملة الوصفية" بحاجة إلى شيء من الإيضاح، فالمعروف أن من شأن الاسم أن يكون مسنداً، أما الوصف فقد يكون دالاً على الأمرين في موقع بعينه كما في قولك: جاء الحسن وجهه، فالحسن مسند إليه بالنسبة إلى جاء وهو في الوقت ذاته مسند بالنسبة إلى "وجهه"، فالجملة في هذه الحالة الأخيرة جملة وصفية، والجملة وصفية أيضاً في "أقائم زيد"².

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص:191-192).

² اجتهادات لغوية، تمام حسان (ص:90-91).

والقرينة المعنوية الثانية هي قرينة التخصيص، وقد ذكر أنها: علاقة سياقية كبرى، وإن شئت فقل: قرينة معنوية كبرى تتفرع عنها قرائن معنوية أخص منها، وهي: التعدية، والغائية، والمعية، والظرفية، والتحديد والتوكيد، والملابسة، والتفسير والإخراج، والمخالفة¹.

وعن سبب تسمية قرينة التخصيص بهذا الاسم يقول: "وإنما سميت هذه القرينة الكبرى قرينة التخصيص لما لاحظته من أنّ كلّ ما تفرع عنها من القرائن قيود على علاقة الإسناد، بمعنى أن هذه القرائن المعنوية المتفرعة عن التخصيص يعبر كلٌّ منها عن جهة خاصة في فهم معنى الحدث الذي يشير إليه الفعل أو الصفة"².
وسنوضح هذه القرائن بشئ من التفصيل فيما يلي:

أول القرائن التي تتفرع عن قرينة التخصيص هي قرينة التعدية، والمعنى الذي تدل عليه هو المفعول به، فمثلاً: ضرب زيد عمراً، أو زيد ضارب عمراً، أو أضارب زيد عمراً، أو ضرباً عمراً...، فإن إسناد الضرب إلى المسند إليه كان في كل مثال مما سبق مخصّصاً بوقوعه على عمرو، أي: إن الوقوع على عمرو كان قيداً في إسناد الضرب إلى من أسند إليه، وكان أيضاً جهة في الضرب حالت بينه وبين أن يفهم على إطلاقه فطوعته لأن يفهم من جهة وقوعه على عمرو، وهذا هو المعنى الذي قصدت إليه بأن المفعول به هنا يعتبر تعبيراً عن الجهة، وأن التعدية تخصيص لعلاقة الإسناد التي بين الضرب وبين من أسند إليه³. إذن هذه القرينة توضح علاقة المفعول به بالمسند.

والقرينة الثانية التي تتفرع عن قرينة التخصيص هي الغائية، فإذا قلنا مثلاً: أتيت رغبة في لقائك أو كي ألقاك أو لألقاك إلخ، فإنك قد أسندت الإتيان إلى نفسك

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص:194).

² المرجع نفسه، (ص:195).

³ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:195).

مقيّدًا بسبب خاصّ وهذا القيد، وهو الغائية، يعتبر جهة في فهم الإتيان؛ لأن هذا الإتيان بدون سبب أعم منه وهو مسبب، فالإتيان هنا مفهوم من جهة كونه مسببًا عن الرغبة في اللقاء، وتكون الغائية وهي قرينة معنوية دالة على المفعول لأجله، أو على معنى المضارع بعد اللام وكي والفاء ولن وإذن... الخ، ومقيدة للإسناد الذي لولاها لكان أعمّ، وتكون أيضًا بسبب تقييدها هذا للإسناد دالة على جهة في فهم الحدث الذي يشير إليه الفعل، ويقال الشيء نفسه في: أنا آتٍ رغبة في لقاءك، وأنا آتٍ رغبة في لقاءك، وسآتي رغبة في لقاءك، وآتٍ أنا رغبة في لقاءك¹. ولا أدري لماذا فضل تمام حسان مصطلح الغائية على مصطلح التعليل، فالتعليل مصطلح معروف لدى الدارسين، وهو يوضح العلاقة بين المفعول لأجله والمسند، ولكن ربما سبب اختياره لمصطلح الغائية اختياره لمصطلح التفسير لتوضيح العلاقة بين التمييز والتمييز.

والمعينة تدل على المفعول معه والمضارع بعد الواو، أي: إنه خاص بهذين البابين، ومن أمثلة المضارع المذكور نحو: "لا تأكل السمك وتشرب اللبن"، ومع أن معنى الواو هنا هو نفسه معنى الواو التي في المفعول معه، كما يتشابه المعنى هنا والمعنى هناك، أحب النحاة أن يفرقوا بين معنيين متشابهين بسبب الاختلاف في التضامّ بين الواو وما يتبعها، فالذي يضامّ الواو في المعية اسم منصوب، والذي يضام الواو في المصاحبة مضارع منصوب، ومن هذا يتضح أن نصب المضارع بعد الواو على المعية من نوع نصب المفعول معه بعد الواو ذاتها². إذن فالمعينة توضح علاقة المفعول معه بالمسند.

ويرى تمام حسان أن الظرفية قرينة معنوية على إرادة معنى المفعول فيه، والظروف في اللغة العربية قسم من أقسام الكلم قائم بذاته (تقسيم تمام حسان للكلم)،

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 195-196).

² المرجع نفسه، (ص: 196).

وأن بعض ما ينتمي إلى الأقسام الأخرى من الكلم ينقل إلى معنى الظرف فيستعمل كما يستعمل الظرف مفعولاً فيه، ويسمى معظمه متصرفاً، وذلك كالمصدر وصيغتي الزمان والمكان، وبعض حروف الجر كـمذ ومنذ، وبعض الضمائر الإشارية كهنا وثمّ، وبعض المبهمات مثل كم، والأعداد والجهات، وأسماء الأوقات المبهمة، وأسماء العلاقات المفترقة إلى الإضافة كقبل وبعد وتحت وفوق، وأسماء الأوقات المحددة المعينة كالآن وأمس وسحر وبكرة إلخ، كل هذه الكلمات ليست ظروفًا ولكنها تشترك مع الظروف في أمر مهم، هي أنها تنقل إلى الظرفية فتفيد معنى المفعول فيه، فتخصص زمان الحدث ومكانه على معنى الاقتران، والظرفية هنا غير الظرفية التي يفيدها حرف الجر "في" أو ما يأتي بمعناها؛¹ لأن الظرفية هنا قرينة معنوية على باب نحوي، ولكنها في حروف الجر علاقة احتواء بين معنى الحدث المستفاد من الفعل وبين الاسم التالي لحرف الجر، أو بعبارة أخرى يكمن الفرق في أن الظرفية هنا للتخصيص، أي: لتقييد زمن الإسناد أو مكانه، والظرفية هناك لنسبة الحدث إلى ظرف يحتويه، فالمعنيان من القرائن المعنوية، وهما على ما بينهما من تشابه شديد جداً لا ينبغي اعتبارهما معنى واحداً لما بينهما من اختلاف المبنى¹. فالظرفية هي التي تحدد زمان أو مكان وقوع الحدث.

وأيضاً من القرائن التي يدرجها تمام حسان تحت قرينة التخصيص هي قرينة التحديد والتوكيد وهي "القرينة المعنوية الدالة على المفعول المطلق، والمقصود بالتحديد والتوكيد: تعزيز المعنى الذي يفيد الحدث في الفعل، وذلك بإيراد المصدر المشترك مع الفعل في مادته؛ لأن المصدر هو اسم الحدث، ففي إيراده بعد الفعل تعزيز لعنصر الحدث ومعنى الفعل، وتكون التقوية بواسطة ذكره مفرداً منوناً على سبيل التأكيد، أو مضافاً لمعين لإفادة النوع، أو موصوفاً لإفادة النوع أيضاً، أو مميزاً لعدد فيكون العدد نفسه مفعولاً مطلقاً، والمصدر تمييزاً وقد يكون المصدر اسم مرة،

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص:196-197).

أو مثنى اسم المرة فيفيد العدد أيضًا¹. إذن قرينة التحديد والتوكيد هي التي توضح علاقة المفعول المطلق بالمسند.

وأما الملابس للهيئات فهي قرينة معنوية على إفادة معنى "الحال" بواسطة الاسم المنصوب أو الجملة مع الواو وبدونها، فإذا قلت: "جاء زيد راكبًا"، فالمعنى جاء زيد ملابسًا لحال الركوب، وكذلك إذا قلت: جاء زيد وهو يركب، فالحال هنا عبّر عنها بالجملة والواو -وتسمّى هذه الواو واو الحال وواو الابتداء². وهذه القرينة توضح علاقة الحال بصاحبها.

والتفسير للذوات "قرينة معنوية على باب التمييز، وواضح أن التفسير يكون عند الحاجة إلى الإيضاح، ولا تكون هذه الحاجة إلا عند المبهم، والمبهم الذي يفسره التمييز إما أن يكون معنى الإسناد، نحو: طاب محمد نفسًا، أو معنى التعدية، نحو: زرعت الأرض شجرًا، أو اسم مفرد دالّ على مقدار مبهم، نحو: اشتريت مترين حريرًا" فهذا مبهم من حيث المقياس والعدد، ولا شك أن الإبهام عموم، وأن التقيد تخصيص لهذا العموم، وما دام التفسير يزيل الإبهام فهو تخصيص يزيل العموم، وكون التمييز تخصيصًا هو ما نسعى إلى إثباته هنا مع دعوى أن كل المنصوبات مخصصات لعموم الدلالة في الإسناد أو في نطاق الإسناد، وهي من ثمّ دالة على "جهة" معينة في فهم علاقة الإسناد³. فهذه القرينة إذن توضح علاقة التمييز بالتمييز.

وعلاقة الإخراج "قرينة معنوية على إرادة "باب المستثنى"، فالمستثنى يخرج من علاقة الإسناد حين نفهم هذه القرينة المعنوية من السياق، فإذا قلنا: جاء القوم إلا زيدًا، فإننا قد أسندنا المجيء إلى القوم وأخرجنا زيدًا من هذا الإسناد، وكما أنّ المعية والمصاحبة والملابسة والعطف وغيرها من القرائن المعنوية تتضافر معها الواو لبيان إعراب ما بعد هذه الواو، فيكون ذلك من قبيل "تضافر القرائن" فتسمّى الواو واو

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ، (ص:198).

² المرجع نفسه، (ص:198).

³ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ، (ص:199).

المعية أو المصاحبة أو الحال أو العطف، فكذلك تتضافر "إلا" وهي قرينة لفظية مع معنى الإخراج وهو قرينة معنوية ليفهم من كليهما ومعهما "النصب" وغيره من القرائن معنى الاستثناء¹. فهذه القرينة توضح علاقة المستثنى منه.

وآخر قرينة من القرائن التي تتفرع عن قرينة التخصيص هي المخالفة، يقول تمام حسان: "والمخالفة مظهر من مظاهر تطبيق استخدام القيم الخلافية بجعلها قرائن معنوية على الإعرابات المختلفة، ومن قبيل اعتبار المخالفة قرينة معنوية أننا لا نحس ارتياحاً إلى تفسير النحاة لمعنى باب الاختصاص؛ إذ يجعلون الاسم المنصوب على الاختصاص مفعولاً لفعل محذوف تقديره "أخص" أو "أعني"، ومع أن تقدير "أخص" منسجم مع اعتبار الاسم المختص من قبيل ما يدخل تحت عنوان "التخصيص"، إلا أنني أحسّ عزوفاً تاماً عن هذا التقدير الذي ينقل مبدأ وجوب الاستتار من الضمائر إلى الأفعال. والذي يبدو لي هنا أن القيمة الخلافية المراعاة في نصب الاسم هي المقابلة بينه وبين الخبر الواقع بعد مبتدأ مشابه لما قبل الاسم المنصوب هنا، وانظر إلى الجملة الآتية:

-نحن العربُ نكرم الضيف ونغيث الملهوف.

-نحن العربُ نكرم الضيف ونغيث الملهوف.

فالعربُ في الجملة الأولى خبر، وما بعده مستأنف، والعرب في الجملة الثانية مختص، وما بعده خبر، ولو اتحد المعنى لاتحد المبنى، فأصبحت الحركة واحدة فيهما، ولكن إرادة "المخالفة" بينهما كانت قرينة معنوية تتضافر مع اختلاف الحركة لبيان أن هذا خبر وهذا مختص، وقرينة المخالفة يمكن استخدامها في عدد آخر من أبواب النحو، فتكون مثلاً هي التفسير لما يرد من تعدد حركة المضارع في نحو: "لا تأكل السمك وتشرب اللبن"، وكذلك حركة المستثنى المنقطع في ما قام القوم إلا حماراً، ونصب الاسم بعد ما أفعل في التعجب وبعد الصفة المشبهة، ولكننا لسنا هنا بصدد تفصيل القول فيها، فلنكتف بالإشارة إلى اتخاذها قرينة معنوية على إطلاقها².

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص:199-200).

²المرجع نفسه،(ص:200-201).

وأما النسبة فهي قرينة كبرى كالتخصيص، وتدخّل تحتها قرائن معنوية فرعية كما دخلت القرائن المعنوية المتعددة تحت عنوان التخصيص، والنسبة قيد عام على علاقة الإسناد، أو ما وقع في نطاقها أيضاً، وهذا القيد يجعل علاقة الإسناد نسبية. وواضح أن معنى النسبة غير معنى التخصيص؛ لأن معنى التخصيص تضيق ومعنى النسبة إلحاق¹.

والنسبة هي "قرينة الإضافة، وهي -أيضاً- المعاني التي تستفاد من حروف الجر وقد يربو عددها على الثلاثين في كتب النحو، وتكون الإضافة على أي حرف منها وليس على معنى "اللام" و"من" و"في" دون غيرها، فقد تكون الإضافة على معنى "عن" نحو: تجاوز الحد، أو معنى "على" نحو ركوب الحصان، أو معنى "إلى" نحو بلوغ المدينة، أو معنى "الباء" نحو ضرب العصا، وهلم جرا"².

وحروف الجر "أدوات تعليق"... والتعلق بين الجار والمجرور وبين ما تعلق به إنما يكون بمعنى الحدث لا بمعنى الزمن، فإذا قلنا: جلس زيد على الكرسي، فإن الكرسي تعلق بالجلوس بواسطة حرف الجر، ولم يتعلق بالمضي، والجملة بهذا تعني: مضى جلوس زيد على الكرسي، فلا صلة للكرسي بالمضي، وإنما تقوم الصلة بينه وبين الجلوس. وأما العلاقة المباشرة للمضي فهي بالجلوس؛ لأن معنى الفعل يشتمل عليهما جميعاً³.

وأما معنى الإضافة فيكفي لبيان قوة التعليق فيه أن النحاة لم يغفلوا النصّ على أن المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة، غير أن هناك فرقاً بين النسبة التي يفيدها حرف النسبة، والنسبة التي تفيدها الإضافة، فالنسبة مع حرف النسبة تجعل علاقة الإسناد نسبية، سواء كانت هذه العلاقة بين مبتدأ وخبره، أو فعل وفاعله، أو غير ذلك، على حين تكون النسبة في الإضافة بين المتضامنين الواقعين في نطاق الإسناد⁴.

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:201).

²اجتهادات لغوية، تمام حسان (ص:91).

³اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص:202).

⁴المرجع نفسه، (ص:203).

والقرائن المعنوية الفرعية التي تدخل تحت قرينة النسبة كما حددها تمام حسان هي المعاني المتباينة لحروف النسبة كابتداء الغاية وانتهاء الغاية والبعضية والظرفية والتعليل... الخ، وقد ذكر أن هذه المعاني حددها النحاة، وعددها تسعة وعشرون قرينة ومعها قرينة الإضافة تصير ثلاثين قرينة معنوية¹.

وأما التبعية فهي أيضًا "قرينة معنوية عامّة يندرج تحتها أربع قرائن هي: النعت والعطف والتوكيد والإبدال، وهذه القرائن المعنوية تتضافر معها قرائن أخرى لفظية أشهرها قرينة المطابقة، ثم إن أشهر ما تكون فيه المطابقة بين التابع والمتبوع هو العلامة الإعرابية، كما أن هناك قرينة أخرى توجد فيها جميعًا هي الرتبة؛ إذ رتبة التابع هي التأخر عن المتبوع دائمًا أيًا كان نوعهما"².

فالتبعية "قرينة قوامها الربط بين عنصرين من عناصر الجملة تجعلهما يقفان على نفس المستوى إزاء نواة الجملة، والمقصود بالنواة العنصر الذي يفيد الحدث في الجملة (الفعل أو الوصف أو المصدر المضاف أو المتعدي)، وهذه القرينة لا ترتبط بإعراب معين وإن ارتبطت بالمطابقة في الإعراب"³.

هذه هي القرائن المعنوية كما يراها تمام حسان، والغرض من هذه القرائن بيان معنى المنطوقات وفهم دلالتها، وهي وإن كانت جديدة في مسمياتها، قديمة في محتواها، عرفها النحاة منذ قديم الزمان، فقد أشار النحاة إلى علاقة الإسناد، وعلاقة القيود بالمسند، وغير ذلك.

ثانياً- القرائن اللفظية:

أما تفصيل القرائن اللفظية فهو على النحو التالي:

أ-العلامة الإعرابية:

ذكر تمام حسان في كتابه "الخلاصة النحوية" أن "الإعراب من قرائن المعنى النحوي، ويعرف هذا المعنى بواسطة الإعراب من وجهين: أحدهما العلامة الإعرابية، والوجه الآخر هو المعاقبة، والمقصود بالمعاقبة صلاحية عنصر لغوي أن يحل محل

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ، ص:203).

²المرجع نفسه،(ص:204).

³اجتهادات لغوية، تمام حسان (ص:91).

عنصر آخر، سواء كان أحد العنصرين أم كلاهما مفرداً أم جملة، فإذا حل محله أخذ حكمه، وتتضح قيمة المعاقبة في مجالين: أحدهما تقدير الحركة والآخر المحل الإعرابي¹.

فتمام حسان يرى أنّ قرينة الإعراب "أوفر القرائن حظاً من اهتمام النُّحاة، فجعلوا للإعراب نظريّة كاملة سمّوها نظريّة العامل"².

ويقول عنها: "إنّها" قرينة يستعصي التَّمييز بين الأبواب بواسطتها حين يكون الإعراب تقديراً أو محلّياً أو بالحذف؛ لأنّ العلامة الإعرابيّة في كلّ واحدة من هذه الحالات ليست ظاهرة مطلق الضّمة أو مطلق الفتحة أو مطلق الكسرة، فسنجد أنّها لا تدلّ على باب واحد وإنّما تدلّ الواحدة منها على أكثر من باب"³.

ويضيف تمام حسان في موضع آخر قوله: "ولا أكاد أملُ ترديد القول إنّ العلامة الإعرابيّة بمفردها لا تعين على تحديد المعنى فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم "تضافر القرائن" وهذا القول صادق على كلّ قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنويّة أو لفظيّة، وبهذا يتّضح أنّ العامل النّحوي وكلّ ما أثير حوله من ضجّة لم يكن أكثر من مبالغة أدى إليها النّظر السّطحي والخضوع لتقليد السّلف والأخذ بأقوالهم على علاّتها"⁴.

وفكرة إغناء بعض القرائن عن بعضها لها جذور قديمة، فقد كان العالم النّحوي قطرب يبيح إذا أمن اللّبس عدم الالتزام بعلامات الإعراب مستشهداً على ذلك بقراءة "ابن كثير" لقوله تعالى: "فتلقّى آدم من ربّه كلمات" بنصب "آدم" ورفع "كلمات".

ثم يضيف تمام حسان مدافعاً عن رأيه أنّ الاتكال على العلامة الإعرابية باعتبارها كبرى الدّوال على المعنى ثمّ إعطاؤها من الاهتمام ما دعا النُّحاة إلى أن يبنوا نحوهم كلّها عليها عملاً يتّسم بالكثير من المبالغة وعدم التّمحيص ... ويكفي

¹الخلاصة النحوية، تمام حسان ص(34).

²اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ص(205).

³المرجع نفسه، ص(205).

⁴اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص(207).

لإظهار اهتمامهم بهذه العلامة الإعرابية أن أطلقوا على تحليل النَّصِّ تحليلاً نحويّاً
اسم الإعراب، وهو - كما علّمونا- اسم يطلق على تفسير أواخر الكلم بحسب
العوامل"¹. ويقول في ختام حديثه عن العلامة الإعرابيَّة أنّه إذا كان العامل قاصراً
عن تفسير الظواهر النَّحويَّة والعلاقات السِّيَاقِيَّة جميعها فإنَّ فكرة القرائن توزّع
اهتمامها بالقسط بين قرائن التَّعليق النَّحوي معنويِّها ولفظيِّها ولا تُعطي للعلامة
الإعرابيَّة أكثر ممّا تعطيه لأيّ قرينة أخرى من الاهتمام"².

ما يريد تمام حسان أن يقوله من خلال نقده اهتمام النحاة القدماء بأمر العلامة
الإعرابية هو أن العلامة الإعرابية ليست إلا قرينة من بين عدد من القرائن التي لا
تحدد معنى المنطوقات بمفردها، وإنما يتحدد معنى المنطوقات بواسطة تضافر عدد
من القرائن، لأن العلامة الإعرابية أحياناً لا تظهر-كما هو الحال بالنسبة للإعراب
التقديري- فكيف يعتمد عليها في تحديد المعنى، فمن هو الفاعل في الجملة الآتية؟
ولماذا؟

ضرب موسى عيسى

فقد عرفنا أن موسى هو الفاعل ليست بواسطة العلامة الإعرابية، وإنما بواسطة
قرينة الرتبة؛ لأن الفاعل في الأصل يتقدم على المفعول به.
وثمة نقطة أخرى يقصد إليها تمام حسان من خلال مفهوم تضافر القرائن، وهو
أن بعض القرائن قد يغني عن بعض، ويؤدي إلى فهم معنى المنطوق، فالجمل الآتية
يفهم المتلقي معناها دون حاجة إلى العلامات الإعرابية:

كان الجوُّ بارداً.

إنَّ الجوَّ بارداً.

كان الجوُّ بارداً.

فالمتلقي يفهم معنى هذه الجمل وهو برودة الجو حتى وإن كانت هذه الجمل
غير صحيحة نحويّاً، وبهذا يتساهل تمام حسان في بعض الأخطاء النحوية ويجيزها

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص(232).

²المرجع نفسه، ص(232).

إذا فهم المعنى، فالجمل أعلاه عنده جائزة ومقبولة؛ وذلك لأن قرائن أخرى أغنت عن العلامة الإعرابية، فجعلت المعنى مفهوماً بدونها.

وفساد هذا الرأي واضح؛ لأنه يخالف النظام اللغوي للعربية، فلا يجوز لأحد أن يخرج عن النظام اللغوي للعربية بحجة أن المعنى مفهوم؛ لأن اللغة لا تقوم على مجرد وصول الفكرة إلى المتلقى، فغير الناطقين بالعربية يمكنهم إيصال المعنى إليك بعربية ركيكة.

ب- الرتبة:

والرتبة عند تمام حسان¹ تتصل بفكرة الحيز، إذ يقال بحسب الرتبة أن أحد العنصرين وقع في حيز العنصر الآخر إما حقيقة وإما حكماً، فإذا وقع أحد العنصرين في حيز الآخر بحسب اللفظ في كل الأحوال فتلك رتبة محفوظة، وإذا وقع في ذلك الحيز حكماً أي بحسب الأصل فالرتبة غير محفوظة، أي يمكن أن تتخلف بحسب الدواعي الأسلوبية¹.

إذن تنقسم الرتبة عند تمام حسان إلى قسمين²:

- رتبة محفوظة: وهي إما بالتقديم مثل الأدوات التي لها الصدارة، وإما بالتأخير مثل رتبة الفاعل.
- ورتبة غير محفوظة وهي: أيضاً إما بالتقديم مثل رتبة المتبداً، وإما بالتأخير مثل رتبة المفعول به.

والرتبة كما أسلفنا لها دور في تحديد معنى المنطوقات كما في الأمثلة السابقة.

ج- مبنى الصيغة:

فلأسماء صيغها وللصفات وللأفعال صيغها، فمثلاً: أن يكون المطلوب في الخبر والحال والنعت المفرد أن تكون صفات، والمطلوب في التمييز أن تكون اسماً نكرة جامدة، وفيما بعد حرف الجر والمضاف و المضاف إليه أن يكون اسماً، وفي المفعول فيه أن يكون ظرفاً أو منقولاً إلى الظرف ... إلخ وهكذا تكون الصيغة قرينة

¹الخلاصة النحوية، تمام حسان، ص(83).

²اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص(208).

لفظية على الباب¹، فالتحت هذا العنوان يقع موضوع علم الصرف العربي برمته، فيشتمل على الموضوعات الخاصة ببنية الكلمة المفردة².

ويجب أن ننتبه إلى أننا نتكلم هنا عن قرينة دالة على المعنى العام للمنطوق وليس على دلالة الصيغة؛ لأن دلالة الصيغة تقع ضمن الدلالة الصرفية وليس الدلالة النحوية.

د-المطابقة:

ويتحدث تمام حسان عن هذه القرينة قائلاً: "مسرحة المطابقة هو الصيغ الصرفية والضمائر، فلا مطابقة في الأدوات، ولا في الظروف مثلاً إلا النواسخ المنقولة عن الفعلية فإن علاقاتها السياقية تعتمد على قرينة المطابقة. وأما الخوالب فلا مطابقة فيها إلا ما يلحق "نعم" من تاء التأنيث، وتكون المطابقة فيما يلي³:

أ- الشَّخص (المتكلم والخطاب والغيبة).

ب- العدد (الإفراد والتثنية والجمع).

ج- النوع (التذكير والتأنيث).

د- التَّعيين (التَّعريف والتَّكثير).

هـ-الرَّبط :

وعندما تحدث تمام حسان عن قرينة "الرَّبط" ذكر أنها "قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر، والمعروف أن الرَّبط ينبغي أن يتم بين الموصول وصلته، وبين المبتدأ وخبره، وبين الحال وصاحبه، وبين المنعوت وبعته، وبين القسم وجوابه، وبين الشرط وجوابه إلخ. ويتم الرَّبط بالضمير العائد الذي تبدو فيه المطابقة كما يفهم منه الرَّبط أو بالحرف أو بإعادة اللفظ أو إعادة المعنى أو باسم الإشارة أو أَل أو دخول أحد المترابطين في عموم الآخر"⁴.

ويفصل القول في هذه القرينة ذاكراً أن الرَّبط يكون بـ⁵:

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص210).

² الخلاصة النحوية، تمام حسان (39).

³ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ص(211-212).

⁴ المرجع نفسه، ص(213).

⁵ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص214).

- عود الضمير إمّا مباشرة مثل ضمير الشّخص كـ"زيد قام"، وضمير الإشارة كـ"لباس التّقوى ذلك خير"، وإمّا بواسطة السّببي مثل "زيد قام أبوه"، أو بواسطة الواقع في حيز العطف مثل " وإنسان عيني يحسد الماء تارة فيبدو...".

- الحرف مثل: الفاء في جواب الشرط واللام في جواب القسم ولولا والألف واللام في محل الضمير مثل: " الأطفال أطفال والرجال رجال".

- إعادة المعنى : "مثل شعاري لا إله إلا الله".

- العهد مثل زيد نعم الرّجل.

والربط إذا تجاوز مفهوم الجملة والتركيب إلى مفهوم التواصل فإنه يقع ضمن اهتمام النظرية التداولية، والذي يعنيه تمام حسان هنا الربط على مستوى التركيب، فهو قرينة لفظية، بينما الربط على مستوى التواصل فهو ربط معنوي وليس لفظي.

و- التّضام:

المقصود بالتّضام عند تمام حسان "أنّ يستلزم أحد العنصرين التّحليليين النّحويين عنصراً آخر فيسمّى التّضام هنا " التّلازم"، أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمّى هنا" التّنافي"، وعندما يستلزم أحد العنصرين الآخر قد يدلُّ عليه بمبنى وجودي على سبيل الذّكر أو يدلُّ عليه بمبنى عدمي على سبيل التّقدير بسبب الاستتار أو الحذف"¹.

ويتم ذلك عن طريق الافتقار -أحياناً²-، والمقصود بالافتقار أن "لفظاً ما لا يستقل بالإفادة ولا يوقف عليه في الكلام -غالباً- وإنما يتطلب في حيزه لفظاً آخر لا غنى له عنه"³، كما في "تلازم الموصول صلته، وتطلب كلا وكلتا مضافاً إليه معرفة مثنى، ويطلب العائد مرجعاً، والتلازم بين حرف الجر ومجروره، والمبهم وتمييزه، وواو الحال وجملة الحال، وحرف العطف والمعطوف، والنواصب والجوازم والفعل

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ص(217).

² المرجع نفسه، ص(217).

³ الخلاصة النحوية، تمام حسان، ص(80).

المضارع، والجواب الذي لا يصلح شرطاً، والحرف الرابط، وهلم جرا. ويتم الذكر أحياناً أخرى على طريق الاختيار، فتذكر الضميمة إذا لم تكن القرائن الأخرى على تقديرها، وتستتر أو تحذف عند وجود القرينة الدالة عليها لقصد الإيجاز والانصراف عن إطناب غير مطلوب¹.

ويقع التضام ضمن مفهوم العلاقات الأفقية عند دي سوسير وهو مفهوم أشرنا إلى جانب منه سابقاً وهو جانب العلاقات الرأسية، فالعلاقات الرأسية هي علاقة التبادل الراسي بين المفردات على مستوى الجملة، أما علاقة التبادل الأفقي فهي علاقة الكلمات داخل الجملة بما جاورها من كلمات، فكلمة أكل مثلاً تتطلب فاعلاً حياً، فلا يجوز أن تقول: أكل الحجر التقاحة؛ لأن الحجر لا يصلح أن يكون فاعلاً للفعل أكل، وهكذا.

ز-الأداة:

والأدوات على نوعين²:

- أدوات داخلية على الجمل ورتبتها على وجه العموم الصدارة، ومثالها أدوات الجمل النواسخ جميعاً و أدوات النفي والتأكيد والاستفهام والنهي والتمني والترجي والعرض والتخصيص والقسم والشرط والتعجب والنداء.
 - أدوات داخلية على المفردات ورتبتها دائماً التقديم ومثالها حروف الجر والعطف والاستثناء والمعية والتنفيس والتحقق والتعجب والتقليل والابتداء والنواصب والجوازم التي تجزم فعلاً واحداً.
- و"المعروف أن الأدوات ذوات معانٍ، فما كان منها داخلاً على الجملة فقد يلخص الأسلوب النحوي للجملة كالنفي أو الشرط أو الاستفهام إلخ"³.

¹الخلاصة النحوية، تمام حسان ، ص(217).

²اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص(224-225).

³الخلاصة النحوية، تمام حسان، ص(70).

ح-التَّغْمَةُ:

وهي الإطار الصَّوتي الذي تقال به الجملة في السِّياق، فالجمل العربيَّة تقع في صيغ وموازن تنغيميَّة هي هياكل من الأنساق النَّغميَّة ذات أشكال محدَّدة، فالهيكل النَّغمي الذي تأتي عليه الجملة الاستفهاميَّة وجملة العرض غير الهيكل النَّغمي لجملة الإثبات وهن يختلفن من حيث النَّغيم عن الجملة المؤكِّدة... والنَّغيم في الكلام يقوم بوظيفة التَّرقيم في الكتابة غير أنَّ النَّغيم أوضح من التَّرقيم في الدَّلالة على المعنى الوظيفي للجملة¹. وهنا يشير تمام حسان إلى فونيمية التنغيم. هذه هي القرائن المعنوية واللفظية كما يراها تمام حسان، وقد عول عليها كثيراً في تحديد الدلالة النحوية، مستكراً تعويل النحاة على نظرية العامل، تلك النظرية التي لا تستند إلى أساس علمي -كما يرى تمام حسان-، وكذلك قد أدت إلى صعوبة النحو العربي.

القرائن تغني عن العوامل:

ويرى تمام حسان أن نظرية القرائن أشمل وأدق من نظرية العامل التي تعطي اعتباراً مطلقاً للعلامة، ثم يحاول تمام حسان بيان أوجه القصور فيما يلي:
يقول تمام حسان: "لقد اتجه النحاة بقولهم بالعامل النحوي إلى إيضاح قرينة لفظية واحدة فقط هي قرينة الإعراب أو العلامة الإعرابية، فجاء قولهم بالعامل لتفسير اختلاف هذه العلامات بحسب المواقع في الجملة، فكانت الحركات بمفردها قاصرة عن تفسير المعاني النحوية لأمر²:"

أ- إن المعربات التي تظهر عليها الحركات أقلّ بكثير جدًّا من مجموع ما يمكن وروده في السياق من الكلمات، فهناك الإعراب بالحذف، والإعراب المقدر للتعذر أو للثقل أو لاشتغال المحل، وهناك المحل الإعرابي للمبنيات، والمحل الإعرابي للجمل، وكل هذه الإعرابات لا تتمُّ بواسطة الحركة الإعرابية الظاهرة.

¹الخلاصة النحوية، تمام حسان، ص(226).

²اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص(231-232).

ب- إننا لو افترضنا أن كل الإعرابات تَمَّت على أساس الحركة الظاهرة فلم يكن هناك إعراب تقديري ولا إعراب محلي، فإننا سنصادف صعوبة أخرى تنشأ عن أنَّ الحركة الواحدة تدل على أكثر من باب واحد، ومن هنا تصبح دلالتها بمفردها على الباب الواحد موضع لبس.

ومن هنا كان الاتكال على العلامة الإعرابية باعتبارها كبرى الدوالّ على المعنى، ثم إعطاؤها من الاهتمام ما دعا النحاة إلى أن يبنوا نحوهم كله عليها عملاً يتسم بالكثير من المبالغة وعدم التمحيص، ويكفي لإظهار اهتمامهم بهذه العلامة الإعرابية أن أطلقوا على تحليل النص تحليلاً نحوياً اسم "الإعراب" وهو -كما علمونا- اسم يطلق على تفسير أواخر الكلمات بحسب العوامل¹.

ثم يقول تمام حسان: "وإذا كان العامل قاصراً عن تفسير الظواهر النحوية والعلاقات السياقية جميعها، فإن فكرة القرائن توزع اهتمامها بالقسطاس بين قرائن التعليق النحوي معنويها ولفظيها، ولا تعطى للعلامة الإعرابية منها أكثر مما تعطيه لأية قرينة أخرى من الاهتمام. فالقرائن كلها مسؤولة عن أمن اللبس وعن وضوح المعنى، ولا تستعمل واحدة منها بمفردها للدلالة على معنى ما، وإنما تجتمع القرائن متضافرة لتدل على المعنى النحوي، وتنتج لا كما يأتي حاصل الجمع من اجتماع مفردات المعدودات، بل كما يأتي المركب الكيماوي من عناصر مختلفة، أي إنه إذا صحَّ أن تُسمَّى مفردات القرائن عند إرادة التحليل فإن الاستعمال اللغوي لا يعرف من أمر ذلك شيئاً، ولا يعرف إلا قرينة كبرى واحدة يسميها "وضوح المعنى"، ويسميها اللغويون "أمن اللبس"، وتقوم هذه القرينة الكبرى من قرائنها الفرعية مقام ناتج التفاعل الكيميائي من العناصر التي نتج عنها؛ إذ لا يشبه منها واحداً بمفرده"².

ويقول تمام حسان أيضاً: وفائدة القول بالاعتماد على القرائن في فهم التعليق النحوي أنه ينفي عن النحو العربي³:

أ- كل تفسير ظني أو منطقي لظواهر السياق.

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص(232).

² المرجع نفسه، ص(232).

³ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص(232-233).

ب- كل جدل من نوع ما لَجَّ فيه النحاة حول منطوقية هذا "العمل" أو ذاك، وحول أصالة بعض الكلمات في العمل وفرعية الكلمات الأخرى، وحول قوة العامل وضعفه أو تعليه أو تأويله مما ازدحمت به كتب النحو دون طائل يكون تحته. ويكفي للاقتناع بحسن تحليل النص بحسب قرائن التعليق مجتمعة أننا نستطيع بواسطة ذلك أن نلمح الصلة أو الرابطة أو العلاقة إن شئت بين كل جزء من أجزاء السياق وبين الأجزاء الأخرى من حيث المعنى ومن حيث المبنى في الوقت نفسه. ويستتبع القول بالقرائن واختياره بديلاً للقول بالعوامل أننا سنكتفي في تحليل الكلمات المعربة بقولنا: مرفوع أو منصوب أو مجرور أو مجزوم فقط، دون قولنا: مرفوع بكذا أو منصوب بكذا إلخ، بل يمكننا إذا أردنا أن نقول مثلاً: "مرفوع على الفاعلية" و"منصوب على المفعولية" وهلمَّ جرا.

ويقول تمام حسان أيضاً: "إنَّ بعض القرائن قد يغني عن بعض عند أمن اللبس. ولقد كررنا القول إن اللغة العربية - وكل لغة أخرى في الوجود - تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها؛ لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم، وقد خلقت اللغات أساساً للإفهام والفهم، وإن أعطاها النشاط الإنساني استعمالات أخرى فنية ونفسية. فإذا كان من الممكن الوصول إلى المعنى بلا لبسٍ مع عدم توفُّر إحدى القرائن اللفظية الدالة على هذا المعنى، فإن العرب كانت تترخص أحياناً في هذه القرينة اللفظية الإضافية؛ لأن أمن اللبس يتحقق بوجودها وبعدها. ولقد وجدنا في مآثر التراث العربي الكثير من الشواهد والأمثلة على هذه الظاهرة"¹.

هذه هي نظرية القرائن ورؤية صاحبها لها، وقد تعرضت لها كثير من الدراسات بالنقد، ولا يسمح المقام بإيرادها، فهي قد جاءت لتسهيل النحو العربي فإذا هي أصعب من نظرية العامل؛ لذلك لم تجد حظها من التطبيق، وعندما أراد صاحبها أن يطبقها على النحو العربي وضح له الفرق بين التنظير والتطبيق، فوقع في كثير مما أنكره على النحاة، وكل ذلك تتبعه له الدارسون، فنراه أحياناً يتراجع عن بعض آرائه

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 233).

وأفكاره السابقة، فبعد أن ذكر تمام حسان أن النحاة قد بنوا نحوهم كله على العلامة الإعرابية¹، نراه قد تراجعني أكثر من موضع عن هذا الحكم الذي أطلقه على النحاة، ومن ذلك قوله: "تقرأ أحياناً عن "القواعد الأصلية" و"القواعد الفرعية"، فنفهم بالقاعدة الأصلية (أو قاعدة الأصل، أو أصل القاعدة) تلك القاعدة السابقة على القيود والتعريفات، كقاعدة رفع الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ وتقدم الفعل على الفاعل وتقدم الموصول على صلته وافتقار الحرف إلى مدخوله وهلم جرا، وأكبر القواعد الأصلية على الإطلاق قاعدة الإفادة أي قاعدة أمن اللبس وهي التي تقول: "الأصل في الكلام أن يوضع للفائدة"، ثم يليها في الأهمية تلك القواعد التي تدور حول ما تتحقق به الإفادة من القرائن كقولهم²:

- أ- الإعراب إنما دخل الكلام في الأصل لمعنى. (قرينة إعراب).
- ب- الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، وفي الخبر أن يكون نكرة. (قرينة بنية).
- ج- الأصل في الصفة أن تصحب الموصوف. (قرينة تضام).
- د- الأصل في الكلام أن يوضع على لفظه. (قرينة بنية).
- هـ- الأصل في المعارف ألا توصف. (قرينة تضام).
- و- لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه. (قرينة رتبة).
- ز- مرتبة الجزاء بعد مرتبة الشرط. (قرينة رتبة).
- ح- حرف الخفض لا يدخل على حرف الخفض. (قرينة تضام).
- ط- الأصل في الجزاء أن يكون بالحرف. (قرينة الأداء).

وفي موضع آخر يذكر تمام حسان تعريف النحاة للفاعل، ويستخرج منه عدداً من القرائن التي أدركها النحاة، يقول في ذلك: "عرف النحاة الفاعل بأنه "الاسم المرفوع الذي تقدمه فعل مبني للمعلوم ودل على من فعل الفعل أو قام به الفعل"،

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص(232).

²الأصول، تمام حسان (ص:123-124).

فإن هذا التعريف يشتمل على عدد من أصول القواعد يمكن أن نعرضها على الوجه التالي:

أ- الفاعل اسم.

ب- الفاعل مرفوع.

ج- الفاعل يتقدمه الفعل.

د- الفعل مع الفاعل مبني للمعلوم.

هـ- الفاعل ما دل على من فعل الفعل أو قام به الفعل.

وكل واحدة من هذه القواعد تحدد قرينة من القرائن التي يعرف بها الفاعل، فالقاعدة الأولى تشير إلى بنية، والثانية إلى إعراب، والثالثة إلى رتبة، والرابعة إلى بنية، والخامسة إلى قرينة معنوية يمكن أن نسميها الإسناد، ويعرف الفاعل بهذه القرائن مجتمعة؛ لأن ما ليس اسماً لا يكون فاعلاً (إلا بتأويله على الحكاية)، وما لا يرفع لا يكون فاعلاً (إلا بتأويله على التقدير أو المحل)، وما لا يتأخر عن فعله لا يكون فاعلاً، وما لم يبين الفعل معه للمعلوم لا يكون فاعلاً، وكذلك ما لم يدل على من فعل الفعل أو قام به الفعل".¹

ويذكر تمام حسان أن النحاة "وجدوا أن الألفاظ قد تذكر أو تحذف، أو تضرر أو يضرر لها أو يتصيد معناها من السياق، وهكذا فهم النحاة مما لاحظوه أن المعنى النحوي بحاجة إلى قرائن تدل عليه، فاستخلصوا من فهمهم هذا عدداً من القرائن المختلفة الطابع التي تدل على المعنى، وينتمي كل منها إلى فرع من فروع النظام اللغوي"².

وفيما يلي يحاول "تمام حسان" أن يضرب أمثلة تطبق ظاهرة "تضافر القرائن" على القرائن اللفظية كل على حدة:

¹الأصول، تمام حسان (ص:124-125).

²الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان (ص:105).

أ-العلامة الإعرابية:

لقد وقع النحاة ضحايا اهتمامهم الشديد بالعلامة الإعرابية حين رأوا النصوص العربية تهمل الاعتماد على قرينة الحركة أحياناً فتضحى بها لأن المعنى واضح بدونها اعتماداً على غيرها من القرائن المعنوية واللفظية، ومن أمثلة ذلك ما يأتي¹:

- قالت العرب: خرق الثوب المسمار, فاعتمدوا على القرينة المعنوية وهي "الإسناد", وأهملوا الحركة إذ لا يصح أن يسند الخرق إلى الثوب, وإنما يسند إلى المسمار, فعلم أيهما فاعل وأيهما مفعول.

- قالت العرب: "جر ضب خرب" فأغنت عندهم قرية التبعية وهي معنوية, عن قرينة المطابقة في العلامة الإعرابية وهي لفظية, وكان الداعي إلى ذلك داعياً موسيقياً جمالياً هو المناسبة بين المتجاورين في الحركة الإعرابية, وقد سماه النحاة "المجاورة".

والمثالان السابقان اللذان ذكرهما تمام حسان يدلان على أن العرب لم تعتمد على العلامة الإعرابية فقط لبيان المعنى، وإنما أولت اهتماماً كذلك بقرائن أخرى توضح المعنى، وهذا يدل على أن العرب عملت بمبدأ الترخص في القرينة عند أمن اللبس، وهو كما قال تمام حسان: "مبدأ ربما ورد ذكره في التراث تحت عنوان: "التوسع" أو "الضرورة" أو "التوهم" أو غير ذلك من المصطلحات وهذا المبدأ يصلح تطبيقه على جميع القرائن"². غير أن هذا المبدأ لا يستخدم على إطلاقه، فهذه الأمثلة محدودة جداً، وهي قليلة تحصى على الأصابع، لذلك لا يسمح بالتساهل مطلقاً في اعتبار العلامة الإعرابية إذا أغنى عنها السياق.

ب-الرتبة:

يتضح الترخص في الرتبة أولاً في عدم حفظها والاعتراف بوجود رتبة غير محفوظة في النحو، وكذلك عندما تغني عنها القرائن الأخرى في قول الشاعر:

عليك ورحمة الله السلام

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص:233-234).

²اجتهادات لغوية، (ص:100).

فالذي أغنى عن رتبة المتعاطفين هنا¹:

- ما بين المتعاطفين من شهرة التعاطف على نسقٍ خاصٍ حتى أصبحا كالمثل، وذلك هو التضام.

- حفظ الرتبة بين حرف العطف والمعطوف.

- توسُّط المعطوف بين الخبر المقدَّم والمبتدأ المؤخَّر مما جعله لا يزال في حيز الجملة، فكذلك تغني القرائن حين تتضافر عن قرينة أخرى يَصِحُّ المعنى بدونها.

ج- مبنى الصيغة:

يقول تمام حسان في الترخُّص في قرينة مبنى الصيغة: "يبدو الترخُّص في الصيغة فيما نجده كثيرًا في الرجز من نحو قوله:

الحمد لله العلي الأجل

والمقصود الأجل، وكل ضرورة شعرية فهي ترخص في قرينة ما وإغناء غيرها عنها، وكثير من ذلك يندرج تحت عنوان الصيغة مثل: قصر الممدود، وحذف النون من اللذين واللتين، وحذف الألف من لفظ الجلالة، وواو هو، وياء وهي، وحذف الألف من ضمير المتكلم، وتخفيف المشدد في القوافي... الخ"².

د- المطابقة:

ومن الترخُّص في المطابقة إهمال المطابقة في النوع، ومن ذلك³:

- إن الصفات التي لا يوصف بها إلا المؤنث يترك تأنيثها لعدم توهم أنها لمذكر، ومن ذلك حائض وطالق وناشز ومرضع الخ، وقد تحذف التاء عند أمن اللبس "كإقام الصلاة" و"عدَّ الأمر" و {مِنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ} .

- إن بعض الصفات على وزن فاعل تصدق على المذكر والمؤنث كقتيل

وجريح.

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:236).

² المرجع نفسه، (ص:237).

³ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ، (ص:238).

- إن الفعل لا يطابق فاعله المؤنث إذا فُصلَ بينهما نحو: "أتى القاضي بنت
الفاضل".

هـ - الربط:

وعن الترخّص في قرينة الربط يقول تمام حسان: "يعتبر عود الضمير من
الروابط المهمة في الجملة، ولكن الارتباط قد يتمّ بقرائن أخرى فيصبح المعنى واضحاً
دون حاجة إلى الضمير الرابط، ومن ذلك قوله تعالى: {وَأَنْتُمْ يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ
نَفْسٍ شَيْئًا} أي: "فيه"، وقول بعضهم: "مررت بالبر قفيز بدرهم" أي: "منه"، فترخص
في الرابط لضمان الربط بدونه، أي: بقرائن أخرى"¹.

و - التضام:

من أمثلة الترخّص في التضام باعتباره قرينة ما يأتي²:

- كل ما دلّت عليه قرينة أمكن حذفه، وقد رأينا من قبل كيف يمكن حذف
المضاف والموصوف والمبتدأ والخبر والفعل إلخ، والحذف إسقاط قرينة أغنت عنها
قرائن أخرى.

- ورد إسقاط صلة الموصول في قول الشاعر:

نحن الأولى فاجمع جمو عك ثم وجههم إلينا

- ورد حذف المبتدأ من الجملة الحالية في قول الشاعر:

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالگًا

- قد تسقط الضميمة التي بعد الظرف وينون الظرف نحو: "حينئذ"، وقول

الشاعر:

فساغ لي الشراب وكنت قبلاً أكاد أعل بالماء الفرات

- قد تسقط ضميمة المرجع كما في ضمير الشيء نحو: {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظالمون} .

ز - الأداة:

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:238).

²المرجع نفسه، (ص:239).

يقول تمام حسان في الترخص في قرينة الأداة: "يسقط حرف النداء ويبقى النداء مفهوماً بواسطة قرائن أخرى، ويسقط حرف العطف ويبقى العطف مفهوماً بقرينة النغمة كقولك: يستمر الامتحان في الأيام الآتية:

السبت - الأحد - الاثنين - الثلاثاء إلخ، وتعني نغمة الكلام عن حرف العطف، وقد تسقط "رب" ويفهم معناها لإغناء الواو عنها، أي: إن قرينة التضام "بين الواو ورب" قد أغنت عن قرينة الأداة، وقد ينزع الخافض ويبقى المعنى مفهوماً، وأداة الاستفهام قد أسقطت من بيت عمر بن أبي ربيعة الذي يقول فيه:

ثم قالوا تحبها؟ قلت بهراً عدد النجم والحصى والتراب

لأن قرينة النغمة أغنت عن قرينة الأداة، ومن قبيل حذف الأداة حذف "لا" في قوله تعالى: {تَاللَّهِ تَقَاتُ تَذْكَرُ يُوسُفَ} ؛ حيث دلّت قرينة التضام على المعنى فأمن معها اللبس¹.

ح- النغمة:

ويقول تمام حسان في الترخص في قرينة النغمة: "قد تسقط قرينة النغمة لوضوح الكلام بدونها كحالك حين تقرأ قوله تعالى: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} فإنك لو وقفت عند لفظ الجلالة: فإنك لا تقف في التلاوة بنغمة الاستفهام ولكن بنغمة الترتيل العادي، ولا يحس السامع غرابة في ذلك كما يحسها لو سمع منك جملة "هل رأيت محمداً؟" بنغمة التقرير التي في "قد رأيت محمداً" مثلاً².

ثم يقول تمام حسان: "القرائن تتضافر على إيضاح المعنى الوظيفي النحوي، والقرينة تسقط عند إغناء غيرها عنها، وفي إدراك هذه الحقيقة تفسير لكثير مما عده النحاة مسموعاً يحفظ ولا يقاس عليه، أو عده شاذاً أو قليلاً أو نادراً أو خطأ، وكم أبدأ النحاة وأعادوا في قوله تعالى: {إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ رَانَ} ونحن ندرك من فهمنا لظاهرة تتضافر القرائن وإغناء بعضها عن بعض أن المنافسة الموسيقية الصوتية دعت إلى إهمال العلامة الإعرابية؛ لأن الرتبة واقتران الخبر باللام أوضحاً أنّ لفظ "هذان" لا

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص:239).

²المرجع نفسه،(ص:240).

يمكن فيه إلا أن يكون اسم إن، ولم يعد للعلامة الإعرابية بعد ذلك من الأهمية ما يحتم الاحتفاظ بها، ولا سيما أمام إرادة المناسبة الموسيقية بين أصوات المتلازمين¹.
ومن المعروف أن النحاة قد وجهوا قوله تعالى: "إن هذان لساحران" عدة توجيهات، ولا يعدو كلام تمام حسان أن يكون واحداً من التوجيهات التي تقبل الأخذ والرد، ومنها القول الذي يقول إن هذه الآية جاءت على لغة بني الحارث بن كعب، وهم يلتزمون الألف في كل الحالات الإعرابية، فالقرآن - كما هو معلوم - لم يرد بلغة قريش فقط، فقد وردت فيه لهجات عربية كثيرة في الأصوات والصرف والنحو والتراكيب، ولسنا بحاجة هنا للاستدلال على ذلك، فإذا كانت الآية واردة بلغة بني الحارث بن كعب فلا شاهد فيها لتمام حسان على الترخص والتوسع في استخدام القرائن.

إذن فالدلالة النحوية عند تمام حسان ارتبطت بتصوره للنظام النحوي للغة العربية والقرائن التي تدل عليه، وهي دلالة لا تتصل بمباني الصيغ؛ لأن دلالة مباني الصيغ تقع ضمن الدلالة الصرفية، وإنما الدلالة النحوية هي دلالة سياقية تقع في سياق التراكيب وتنتج عنها، كالدلالة على الفاعلية وغيرها، وعلاقات الإسناد والتخصيص أو القيود كما يسميها النحاة وغير ذلك، وهي دلالات تفهم من التراكيب وفق ما توحى به تلك القرائن التي ذكرها تمام حسان وأشار إليها النحاة، كالعلامة الإعرابية وغيرها.

5-3-3-4- الدلالة المعجمية.

يقسم تمام حسان مستوى الدلالة إلى قسمين: دلالة الكلمة في المعجم، ودلالاتها في سياق الاستخدام، وفي هذا الجزء نتناول رؤية تمام حسان للمعجم ودلالة الكلمات في المعجم، وعلاقاتها ببعضها. يقول تمام حسان: "إن لغة كل قوم إنما تسمى تجاربهـم الاجتماعية فتضع للمسميات اسماً، وتضع للأعمال أفعالاً، وتضع للعلاقات فيما بينهما أدوات تربط بين الكلمات في السياق. ويتم كل ذلك في حدود العرف المحلي لهؤلاء القوم، ومن ثم تختلف المفردات من لغة إلى لغة؛ لأن تعارف جماعة

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 240).

ما لا يتشابه بالضرورة مع تعارف الجماعة الأخرى. زد على ذلك أن الجماعات تختلف بيئاتها فتختلف مسمياتها، فإذا كانت بيئة ما تسمى "الجمل" فإن بيئة أخرى تسمى "اللاما"، وبيئة ثالثة تسمى "الفيل"، وكذلك قد تسمى بيئة من البيئات طعاماً لا يكون معروفاً للبيئة الأخرى، ومثل الطعام والعادة والآلة والتقليد وأنواع التجارب المختلفة؛ ومعنى هذا أن أية لغة من لغات العالم لا يتصور لها أن تسمى التجارب الإنسانية جميعاً؛ لأن اللغة محلية، ولأن أصحابها لا يعرفون جميع التجارب الإنسانية، فحتى لو تصورنا أن اللغة في عمومها تنتظم التجارب الإنسانية كلها في نظام معين "وهو أمر غير ممكن لتوالي حدوث تجارب إنسانية جديدة باستمرار"، فإن أية لغة محلية لا يمكن أن تنتظم هذه التجارب جميعاً¹.

ويرى تمام حسان أن "منهج المعجم متجهًا إلى دراسة "قائمة" من الكلمات تشتمل على جميع ما يستعمله المجتمع اللغوي من مفردات، ومن طبيعة هذه القائمة الضخمة التي هي في حوزة المجتمع في عمومها ألا يحيط بها فرد واحد من أفراد هذا المجتمع مهما بلغ حرصه على استقصائها؛ لأن ظاهرتي الارتجال والتوليد وهما مستمرتان لا بُدَّ أن تقفا به دون الإحاطة بالكلمات المرتجلة والمولدة التي هي في طريقها إلى الشيوخ العرفي. ولكن أفراد المجتمع يتوزعون مفردات هذه القائمة فيما بينهم؛ كل بحسب بيئته وثقافته وحياته الاجتماعية، فيستقل كل فرد بطائفة منها يعرف معانيها معرفة عامة، ويعرف ما لبعض هذه المعاني من ظلال دقيقة مختلفة. أما ما في أيدي الآخرين من هذه القائمة فلا يتفق ما لدى كل فرد منهم إلا مع بعض ما لدى الفرد الذي كنا نتكلم عنه، ويبقى بعد ذلك أكثر ما في أيديهم مجهولاً بالنسبة لهذا الفرد جهلاً لا يزيله إلا أن يعنى المتخصصون من هذا المجتمع بتدوين كل مفردات اللغة ومعانيها في صورة معجم ليرجع إليها هذا وذاك من الراغبين في الاطلاع على هذه المفردات والمعاني. لهذا كان تدوين المعجم ضرورة لغوية لكل مجتمع متقدم، وكان لا بُدَّ أن يتم تدوين المعجم على صورة تمكن كل فرد يطلع عليها أن يعرف الكثير من المعلومات التي توضح ما يحيط بمادتها الأساسية، وهي

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:314).

الكلمة"¹. ففي هذا النص يوضح تمام حسان أهمية إعداد المعاجم لحفظ اللغة من الضياع، وذلك أن حياة المجتمع تتجدد فتطلب تجديدًا في العبارات.

ثم يتكلم تمام حسان عن كيفية استخدام الكلمات، حيث يقول: "المتكلم لا يستخدم الكلمات، وإنما يحولها إلى ألفاظ محددة الدلالة في بيئة النص، نعم! "ألفاظ"؛ لأن الكلمة الصامتة صورة صوتية مفردة في ذهن المجتمع أو صورة كتابية مفردة بين جلدتي المعجم، والصورة دائمًا غير الحقيقية، فحين يلتقطها المتكلم يحولها.

أ- من الصورة إلى الحقيقة الحسية "سمعيًا أو بصريًا".

ب- من الأفراد "وهو طابع المعجم" إلى السياق الاستعمالي "وهو طابع الكلام". عندئذ يحرك بها لسانه ناطقًا أو يده كاتبًا، فيتحول اعتبارها من "كلمة" إلى "لفظ"، ففرق ما بين الكلمة واللفظ هو فرق ما بين اللغة والكلام، فاللغة "والكلمة وحدة من وحداتها" صامتة، والكلام "واللفظ جزء من نسقه" محسوس، واللغة سكون والكلام حركة"².

وعن تعدد الدلالات على المسمى الواحد في اللغات المختلفة يقول تمام حسان: "ومن الملاحظ أن المسمى الواحد تختلف أسماؤه من لغة إلى لغة؛ فالرجل في العربية يقابله man بالإنجليزية وكذلك l homme بالفرنسية وهلم جرا، وقد يقول قائل: إن "الرجل" و man و l homme يختلفون من حيث اللون والعادات والأخلاق والنظرة إلى الحياة والتاريخ بقدر ما يختلف الرجل العربي عن الرجل الإنجليزي والرجل الفرنسي، فالمفاهيم مختلفة بين الكلمات الثلاثة، وهذه مبررات مقبولة لاختلاف التسمية من لغة إلى لغة، ولكن هذا ليس صوابًا؛ لأن الثلاثة تصدق عليهم بالعربية كلمة "الرجل"، وبالإنجليزية كلمة man، وبالفرنسية كـ l homme، والعمل الواحد أو الحدث الواحد أيضًا تعبر عنه اللغات الثلاث بطرق مختلفة مثل: "يأكل" و manger to eat، ومعنى هذا باختصار أن كل مجتمع من المجتمعات الثلاثة التي عبّرت عن هذه المعاني اختار طريقة خاصة للتعبير عنها؛ فأصبح المعنى الواحد الذي في متناول المتكلمين باللغات المختلفة يحتمل أن تتعدد وسائل الرمز له

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 314-314).

² المرجع نفسه، (ص: 317).

بتعدد المجتمعات، فكيف يصل كلمجتمع إلى اختيار كلمة معينة ليدل بها على هذا المعنى؟ الجواب: بالتعارف. إذاً فما هو أساس التعارف؟ الجواب: الاعتبار. لا المنطق ولا الطبيعة¹. وهنا يشير تمام حسان إلى مسألة اعتبارية العلاقة بين الدال والمدلول، وهي مسألة سبق الإشارة إليها.

ويرى تمام حسان أن اللغة تتوسع مع الزمن بتوسع حاجات المجتمع، فكما تطور المجتمع استحدثت أشياء لم تكن اللغة تعبر عنها من قبل؛ لذلك يحتاج أصحاب اللغة إلى التوسع في المعاني القديمة عن طريق مباحث علم البيان كالتشبيه والمجاز وغيره، أو إيجاد كلمات جديدة، يقول تمام حسان في ذلك: "إن علم البيان" وهو فرع من فرع "علم البلاغة" يصلح أساساً نظرياً لبناء علم خاص بدراسة المعجم نظرياً وعملياً يسمى "علم المعجم"...وأوضح ما في علم البيان من مباحث هو الدلالات الاستعمالية للكلمة، والمعروف أن الواضع يضع الكلمة أولاً للمعنى الحقيقي العرفي وليس للمعنى المجازي الفني، ولكن كلمات اللغة دائماً وفي كل مجتمع أقل بكثير جداً من تجارب هذا المجتمع، فلو أن المجتمع اكتفى باستخدام الكلمات في معانيها الحقيقية لأصبحت تجاربه التي تعبر اللغة عنها محدودة، ولضاع معظم تجارب المجتمع في متاهات النسيان؛ لأن الكلمة عقال المعنى، والمعنى الشارد بلا عقال لا بُدَّ له أن يضل ويختفي ويضيع إلى الأبد، وكذلك كان لا بُدَّ من حل لهذه المشكلة في اتجاهين²:

أ- محاولة إثراء اللغة بإيجاد كلمات للمعاني التي لم يعبر عنها، ولم توضع لها كلمات من قبل.

ب- محاولة الانحراف بالمعنى العرفي للكلمة إلى معانٍ أخرى فنية بيانية تسمى المعاني المجازية كالتشبيه والاستعارة والمجاز المرسل.

غير أن هذه المعاني الفنية المجازية يكثر ترديدها على الألسنة مع إطلاقها المجازي الفني، فحين يطول عليها الأمد في هذا الاستعمال يميل الناس إلى اعتبار

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان (ص: 318-319).

² المرجع نفسه، (ص: 319-320).

دلالاتها على المعنى المجازي الجديد دلالة عليه على سبيل الحقيقة، ومن ثمَّ يصبح معنى الكلمة متعددًا، وترصد لها هذه المعاني المتعددة في المعجم، فتكون الكلمة بين جلدتي المعجم محتملة لكل معانيها المعجمية المختلفة المنشأ حتى توضع في سياق يحدد لها واحدًا من هذه المعاني. وهذا ما يوضح كثرة المعاني في المعجم للمفردة الواحدة، فالمعجم يتعامل مع الكلمات بجميع معانيها على السواء كمعانٍ حقيقية للكلمات، وهذا سبيل المعاجم اللغوية العربية عدا معجم أساس البلاغة للزمخشري، والذي فرق فيه بين الاستخدام الحقيقي والاستخدام المجازي للكلمات، فالمعنى المعجمي للمفردات يحتمل دلالات كثيرة، ولتحديد أي الدلالات المعجمية تشير إليه العبارة يكون ذلك عن طريق الاستخدام.

ويرى تمام حسان أن استحداث ألفاظ ومفردات جديدة مسألة يقوم بها الأفراد، ولكن مسألة قبولها وانتشارها متروكة للمجتمع، وهذه مسألة تحكمها أشياء كثيرة، ولا شيء أدلَّ على ذلك من المصطلحات التي ابتكرتها المجامع اللغوية للمخترعات الجديدة، فقد قبل بعضها وانتشر، ورفض بعضها واندثر، كالمذيع والمرئي وغيرها، يقول تمام حسان: "إن الباب ليس موصدًا أمام تصدي الأفراد لارتجال الكلمات للمعاني، ولتحويل الدلالة من معنى إلى آخر، والأفراد يفعلون ذلك في كل زمان ومكان، لا يحد حركتهم في هذا المجال شيء ما داموا قادرين على ممارسة هذه اللعبة، ولكن النشاط الفردي شيء والقبول الاجتماعي لما أوجده الفرد شيء آخر. فالشرط الأساسي لأنَّ يصبح هذا الصوغ الجديد أو الاستعمال الجديد الذي جاء به الفرد جزءًا من مفردات اللغة هو أن يتقبَّله المجتمع ويشيع استعماله، فيكتسب العرفية الضرورية لكلمات اللغة. لقد جاءنا مع التنمية وتشعب أنواع النشاط في المجتمع وغزارة المادة المكتوبة والمسموعة فيما بعد ثورة 1952 حشد هائل من الكلمات الجديدة التي بدأت كل واحدة منها على لسان فرد من الكتاب أو المتحدثين، فتقبلها المجتمع وأعطاهها بالرواج عرفية للاستعمال فأصبحت جزءًا من اللغة، بل إنني إذا لم تخني الذاكرة قد لعبت هذه اللعبة وأنا بعد طالب في مدرسة دار العلوم العليا في العام 1944-1945م. فلقد كانت كلمة "إشاعة" قبل ذلك التاريخ على قدر علمي هي الكلمة العرفية التي يقصد بها "الخبر غير المحقق الصدق"، وكان الناس

يستعملونها في الكلام والكتابة وفي نوبة من نوبات المطالب التي تعود الطلبة أن ينادوا بها، كنا نناقش أمر مطالبنا مع أستاذ لنا في حجرة الدراسة، وخطر لي وأنا أريد التكلم عن "إشاعة ما أن كلمة "شائعة" ربما كانت أصدق في التعبير عن المعنى المقصود، فاستعملته ورضي الأستاذ عن هذا الاستعمال الجديد وقرّظه واستعمله في أحديث الدينية في إذاعة القاهرة، فقلده الناس فيه واكتسبت الكلمة الرواج بينا كنت أنا من جانبي أرقب نمو هذا الوافد الجديد في الاستعمال، وأسّر في نفسي شيئاً من الاعتزاز به"¹. وقد أفرد تمام حسان مبحثاً في كتابه اللغة بين المعيارية والوصفية لهذا الموضوع أسماه: "أثر الفرد في نمو اللغة".

وعموماً فإن تمام حسان يتناول المعنى المعجمي بالتحليل من ثلاث نواحٍ هي كما

يلي:

أ- التعدد والاحتمال في المعنى المعجمي²:

يقول تمام حسان: "إن من طبيعة المعنى المعجمي أن يكون متعددًا ومحملاً، وهاتان الصفتان من صفاته تقود كل منهما إلى الآخر، فإذا تعدّد معنى الكلمة المفردة حال انعزالها تعددت احتمالات القصد وتعدد احتمالات القصد يعتبر تعددًا في المعنى، والذي يجب ألا يغيب عن أذهاننا دائماً أن الكلمة في المعجم لا تفهم إلاّ منعزلة عن السياق، وهذا هو المقصود بوصف الكلمات في المعجم بأنها "مفردات"، على حين لا توصف بهذا الوصف وهي في النص حاشا بعد استخراجها منه لتحديد معناها المناسب. وإن تعدد معنى الكلمة في المعجم يرجع إلى صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق، وثبوت ذلك لما سبق استعمالها في نصوص عربية قديمة وحديثة. ومن صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق ما يأتيتعدد معناها واحتماله في حالة الأفراد، ومن ذلك كلمة "صاحب" يتعدد معناها على النحو التالي:

- لقب "أي: ذو" نحو: صاحب الجلالة.

- مالك نحو: صاحب البيت.

- صديق نحو: صاحبي.

¹العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:322).

²المرجع نفسه، (ص:323-324).

- رفيق نحو: صاحب رسول الله.

- منتقع نحو: صاحب المصلحة.

- مستحق نحو: صاحب الحق.

- مقتسم نحو: صاحب نصيب الأسد.

فكلمة صاحب بمفردها تحتل هذه المعاني السبعة ولا تختص بواحد منها إلا عند التضام مع المضاف إليه، وهذا التضام أضعف صورة من صور الدخول في سياق، ولذلك يعتبر كل مثال من الأمثلة السبعة الواردة مما يحدد معنى واحدًا معينًا للكلمة.

ب- شرح المعنى كيف يكون؟

ويتناول تمام حسان في هذا الموضوع منهج المعجم وما يقدمه للدارس من نحو طريقة نطق المفردات وهجائها وبنيتها الصرفية ومعناها، فيرى تمام حسان أن الطالب ينبغي أن يتوقع من المعجم أن يقدم له المعلومات الآتية:

- طريقة النطق:

يقول تمام حسان: "الطريقة التي درجت عليها المعاجم العربية للوصول إلى هذه الغاية "إيضاح طريقة النطق" هي أن تصف حركات الكلمة ومدى وإعجام الحروف أو إهمالها، فتقول مثلاً في كلمة "تبعة" بفتح فكسر ففتح، أو تقول عند خوف اللبس المطبوعي: بالتاء الفوقية المثناة فالباء التحتية فالعين المهملة، ومن ذلك أيضاً ألا تفصل القول في حركاتها وحروفها، وإنما تلجأ إلى قياس هذه الكلمة على كلمة أخرى أشهر منها في الاستعمال، فتجعل الكلمة الشهيرة كالميزان الصرفي للكلمة المشروحة فتقول مثلاً: "ردح البيت كمنع" فيعرف أن هذا الفعل من باب فعل يفعل -بفتح العين- في الصغتين، فيفيد القارئ من ذلك من جهة النطق -وربما الصرف كذلك- في الوقت نفسه"¹.

- الهجاء:

ثم يقول تمام حسان عما يمكن أن يقدمه المعجم لمعرفة هجاء الكلمات: "ما دامت الأنظمة الإملائية لا تتطابق مع النطق بالضرورة ولا سيما حين تراعى

¹العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:326).

اعتبارات أخرى بعضها تاريخي وبعضها لغوي "صوتي أو صرفي أو نحوي" وهلمّ جرا، فلا بُدَّ أن يكون هجاء الكلمات غير متّسم أحياناً بالاطراد التام، ولا بُدَّ أن يختلف أساس هجاء كلمتين قد يبدو لأولوهلة أنهما متشابهتان مثل: "غزا" و"جزى"، فعلى المعجم في هذه الحالة أن يكون مظنةً من مظانّ الإجابة على كيفية كتابة كلمة ما، فيقدم هذا العون لمن لا يعرف ما يختفي خلف هاتين الألفين من اعتبارات صرفية، ومثل ذلك يقال في الكلمات التي تشتمل على الهمزات التي يختلف موضعها من الصورة الكتابية للكلمة بين الأفراد والكتابة على ألف أو واو أو ياء، فعلى المعجم أيضاً أن يكون مظنة الوصول إلى هجاء هذه الكلمات.

أما الرجل العادي الذي لا بصر له بقواعد اللغة فليرجع في شأن الهجاء إلى المعجم.¹

- التحديد الصرفي:

يقول تمام حسان عن دور المعجم في معرفة المبنى الصرفي للكلمة: "ومما ينبغي للمعجم أن يقدمه للقارئ تحديد المبنى الصرفي للكلمة، كما إذا كانت الكلمة اسماً أو صفة أو فعلاً أو غير ذلك، فتقديم هذا التحديد الصرفي للكلمة يعتبر الخطوة الضرورية في طريق الشرح؛ لأنه لا يمكن لإنسان أن يربط ما بين كلمة وما بين معناها المعجمي إلا إذا عرف مبناها الصرفي فحدّد معناها الوظيفي أولاً، ويحدث أحياناً أن تأتي كلمة على صيغة صرفية محايدة مثل:

فاعل: لصفة الفاعل والأمر من فاعل نحو: "قاتل".

فعل: للصفة المشبهة والمصدر نحو: "عدل".

فعل: لصيغة المبالغة ولمعنى مفعول نحو: "رفيع".

أفعل: للفعل الماضي وصفة التفضيل والصفة المشبهة نحو: "أسمى".

فانعزال الكلمة في المعجم قد يكون بيئةً صالحةً للبس في معناها، فعلى المعجم أن يعطيها من طرق الشرح ما يوضح معناه الصرفي كالتضامّ بأن يقول مثلاً: "الأشرف الفاضل في الشرف" فنعلم من هذا أن المقصود صفة التفضيل بقرينة

¹العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 326-327).

التضامّ مع أداة التعريف, أو يقول: "أشرف على الشيء" أطل عليه" فيعرف من التضام أن المقصود الفعل. وفي كلمة مثل "المختار" لا بُدّ للمعجم قبل شرحها أن يقول مثلاً: "والمختار بمعنى الفاعل الذي يختار لنفسه وبمعنى المفعول من يقع عليه الاختيار" أو شيئاً شبيهاً بذلك, فقله: بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول تحديد صرفي لكلمة محايدة, أو يقول: "العدل بمعنى الصفة العادل, وبمعنى المصدر الإقساط في الحكم". فلا يمكن في حالة "المختار" و"العدل" ولا في غيرهما أن يكون الشرح مفيداً إفادة تامة دون التحديد الصرفي للكلمة¹.

- الشرح:

يقول تمام حسان: "يكون شرح الكلمة بذكر معانيها المتعددة التي يصلح كل واحد منها لسياق معين"².

ج- صلة المعنى المعجمي بأنظمة اللغة الثلاثة الصوتي والصرفي والنحوي:

يقول تمام حسان عن صلة المعنى المعجمي بأنظمة اللغة الثلاثة: "إن المعجم ينتفع بنتائج المستويات التحليلية, وهي النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي, وهي النظم المسؤولة عن تحديد المعنى الوظيفي, أي: إن المعنى المعجمي يستعين بالمعنى الوظيفي"³.

هل المعجم عند تمام حسان نظام أم رصيد من المفردات؟

تباينت آراء تمام حسان حول هذا الموضوع في مراحل دراساته, وفي كل مرحلة كان يأتي بالأدلة على رأيه, فعندما أُلّف "اللغة العربية معناها ومبناها"-مثلاً- كان يرى أن المعجم لا يمكن أن يوصف بأنه نظام كالنظام الصوتي والصرفي والنحوي, وأثبت هذا عن طريق أمور ثلاثة نسبها إلى أنظمة اللغة الأخرى ليرى في كل أمر منها ما إذا كان يتحقق أولاً يتحقق للمعجم. وهذه الأمور الثلاثة هي⁴:

أ- العلاقات العضوية والقيم الخلافية بين المكونات.

¹العربية معناها ومبناها, تمام حسان, (ص:327-328).

²المرجع نفسه, (ص:328).

³العربية معناها ومبناها, تمام حسان, (ص:331).

⁴المرجع نفسه, (ص:112-114).

ب- الصلاحية للجدولة "أي أن يوضع في صورة جدول".

ج- عدم إمكان الاستعارة بين لغة ولغة.

أما من حيث العلاقات العضوية فليس بين كلمات المعجم أيّ علاقة عضوية، وقد يكون بين كل طائفة من هذه الكلمات علاقة اشتقاقية معنية هي اشتراكها في أصول المادة، ولكن هذه العلاقة الاشتقاقية تختلف عمّا نقصده من العلاقة العضوية؛ لأن العلاقة العضوية لأية وحدة من وحدات النظام تدخلها في علاقة خلافية مع بقية الوحدات جميعاً أيّاً كان موضعها من النظام، فإذا نظرنا مثلاً إلى جدول الصرف وأخذنا وحدة من وحداته التقسيمية كالاسم مثلاً، وجدنا هذا الاسم يختلف عن كل ما عداه...".

والأمر الثاني هو صلاحية أيّ نظام لغوي للجدولة، وقد رأينا كيف أمكن وضع النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي للعربية الفصحى في صورة جداول ذات أبعاد رأسية وأخرى أفقية تتشابه فيها العلاقات، وتقوم القيم الخلافية في كل جدول حارساً أميناً لأمن اللبس في النظام والسياق معاً. وواضح أن المعجم لا يمكن أن يوضع في صورة جدول؛ لأنه كما قلنا تتقصه العلاقات العضوية بين مكوناته، ومن شروط إمكان أي جدول أن يوضع أن يكون بين مكوناته هذه العلاقات العضوية كما ذكرنا. وإذا كان المعجم غير صالح للجدولة فلا يمكن أن يكون نظاماً لغوياً.

والأمر الثالث الذي تتميز به الأنظمة اللغوية هو صعوبة الاستعارة بالنسبة لوحداتها من لغة إلى أخرى، فلا تستعار أداة ولا رتبة ولا صيغة ولا باب نحوي من لغة إلى لغة أخرى في العادة، والملاحظ أن مجال الافتراض بين اللغات هي الكلمات المفردة وهي مكونات المعجم. ولقد اشتملت اللغة العربية منذ الزمن القديم في العصر الجاهلي على مفردات مستعارة من لغات أخرى في الشرق والغرب؛ كالسكر من السنسكريتية، والإبريسيم والاستبرق من الهلوية، والإقليم والقسطاس والدينار من الإغريقية، ولكن العربية الفصحى لم تستعر من واحدة من هذه اللغات قاعدة ولا طريقة من طرق التركيب ولا أداة ولا جزءاً آخر من أجزاء أنظمتها. ومعنى ذلك كله أن المعجم لا يمكن لهذا السبب أن يوصف بأنه نظام.

ثم يأتي في كتابه "الفكر اللغوي الجديد" ويعترف بكون "المعجم" أحد أنظمة اللغة، يقول في ذلك: "لقد أجمع علماء اللغة تقريباً على أن المعجم لا يمثل نظاماً من أنظمة اللغة، بل هو في رأيهم سجل لمفرداتها، وهذه المفردات لا تتجمع على صورة منظمة يمكن أن ينشأ عنها علم مضبوط ذو قواعد على الطريقة التي كانت تتميز بها الأنظمة الأخرى، غير أن هؤلاء الذين يروا أن المعجم لا يمثل نظاماً وأنه مجرد سجل لمفردات اللغة كانوا هم أنفسهم الذين لاحظوا وجود ظاهرة الحقل المعجمية التي تنتمي إليها مفردات المعجم وأن كل مفردتين مختلفتي الحقل قد تصلحان أو لا تصلحان أن تضام إحداهما الأخرى، وهذا ما عبر عنه البيانين بقولهم: أسند إلى من هو له أو لم يسند إلى ذلك"¹.

هل يعد تمام حسان نفسه أحد هؤلاء العلماء الذين أجمعوا على أن المعجم لا يمثل نظاماً من أنظمة اللغة، وهو في رأيهم سجل لمفرداتها، أم أنه خارج عن هؤلاء؟ على كل هو يدل في كتابه الأخير هذا على أن المعجم أحد أنظمة اللغة، فيقول: "إن أهم ما يدل على أن المعجم نظام إنما هو الحقل المعجمية، والمقصود بالحقل المعجمية أن المفردات التي يشتمل عليها المعجم لا ينتظمها معنى واحد، وإنما تتنوع دلالاتها بحسب تنوع مواقع مدلولاتها في مجال المدركات، فلو أن قائلاً قال: "رأيت الفضيلة في جزاء الأجواء" تبين لك أن ثمة تبايناً في الانتماء إلى حقل المفردات المعجمية يحول دون التقاء هذه المفردات في سياق واحد، وتوصف هذه الظاهرة بأنها "مفارقة معجمية"، ويوصف عكسه بأنه "مناسبة معجمية"، والمناسبة المعجمية جزء من مفهوم قرينة التضام في نظام النحو، هذه المناسبة المعجمية وتعدى الفعل أو لزومه يتنافيان مع الطابع الإفرادي الذي ينسب إلى المعجم وإن كانا لا يبطلانه،

¹الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان، (ص:160).

أضف إلى ذلك ضرورة الاستشهاد بالنصوص على المعنى وهو ما يحتمه تعدد المعنى للفظ الواحد"¹.

ويقول أيضاً: "تقوم بين المعاني النحوية "علاقة المناسبة المعجمية التي تجعلها صالحة للتضام في السياق، أو علاقة مفارقة معجمية تنفي أن يكون أحد اللفظين مصاحباً للآخر، فيمكن أن يقال مثلاً: "أحس فلان بالحرص أن يرفع صوته بالغناء"، ولا يقبل من قائل أن يقول: أحس البساط بالفرحة تطير في نسيجه، ذلك أن الفعل "أحس" يتطلب فاعلاً ذا قدرة على الإحساس، والبساط لا حس له وهو غريب عن فكرة الحرج والفرح، ومن هنا توصف الجملة التي قيلت عنه بالفساد؛ لأن المفارقة المعجمية حكمت بفسادها"². إذن فالمفارقة المعجمية تمثل العلاقات الأفقية بين الكلمات.

ثم يختم حديثه عن هذا بقوله: "بهذا يتضح أن المعجم يمثل واحداً من أنظمة اللغة التي تقوم على علاقات جامعة وأخرى فارقة، وتبدو هذه العلاقات بنوعيتها من خلال الحقول المعجمية والاستصحاب للأصل والعدول عنه، وأخيراً أقول: إنه لولا أن المعجم نظام ما استطاع طالب معنى الكلمة أن يحدد مكانها بين مداخل ألفاظه عندما يتناول المعجم بيده أو قبل ذلك"³.

وبما أن هذا الكتاب -الفكر اللغوي الجديد- هو آخر كتب تمام حسان فهو يمثل رأيه الأخير في المسألة، وعليه فإن تمام حسان يرى أن المعجم عبارة عن نظام وليس مجرد رصيد من الكلمات، ويستدل على هذه النظامية بما ظهر من النظريات المعجمية الحديثة كنظرية الحقول الدلالية، وهي نظرية ترى أن مفردات المعجم

¹الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان، (ص:91).

²المرجع نفسه، (ص:95).

³الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان، (ص:100).

تننظم في وحدات دلالية تربطها بعض العلاقات، ووفقاً لتصور دي سوسير في تحقيق الدلالة ذلك التصور القائم على مبدأ الخلاف أو المخالفة فإن دلالة الكلمات تتحدد بخلافها عن غيرها من مفردات الحقل الدلالي، ويضرب دي سوسير مثلاً لذلك بمعنى كلمة اللون "البنّي" بأن اللون "البنّي" هو ما ليس بأحمر ولا أصفر ولا أخضر ولا أبيض... وهكذا¹ حتى نهاية حقل الألوان، إذن فاللون البنّي ينتمي إلى حقل الألوان. ونظرية الحقول الدلالية طبقها اللغويون العرب القدماء من خلال معاجم المعاني والتي تتناول حقولاً دلالية معينة بخلاف معاجم الألفاظ، ومن أمثلة معاجم المعاني: المخصص لابن سيدة، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي، وغيرها.

وعموماً فإن الدلالة المعجمية عند تمام حسان تتمثل في دلالة المفردات على معانيها المعجمية، وهذه الدلالة متعددة بسبب تطور المفردات، لذلك فهي تحتاج إلى السياق ليحدد معناها.

وخلاصة القول فإن الدلالة عند تمام حسان تتدرج بتدرج المستويات اللغوية، ابتداءً من الصوت المفرد حين تضامه مع الأصوات الأخرى، مروراً بالصيغ الصرفية ودلالاتها، والتراكيب النحوية ومعانيها، ثم المفردات المعجمية، فكل مستوى من هذه المستويات يأخذ قسطاً أو جزءاً أو نصيباً من الدلالة العامة للمنطوقات اللغوية، فقد رأينا كيف يتغير مدلول الكلمات بتغيير حرف أو صوت من حروفها، أو إضافة حرف أو حذفه، ورأينا كيف تدل الصيغ الصرفية على معانيها، وأن تمام حسان يرى أن دلالة تلك الصيغ هي دلالة سياقية وليس معجمية، وكذلك الحال بالنسبة للمعنى النحوي، فهو عنده معنى سياقي، وأوضحنا رأي النحاة في ذلك. وأخيراً الدلالة المعجمية وهي دلالة المفردات على معانيها الوضعية، والتي تتعدد بتطور الحياة الاجتماعية. وبقي أن نشير إلى أن الدلالة عند تمام حسان لا تتوقف عند هذا الحد،

¹ انظر: علم اللغة العام، دي سوسير، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، ط2، دار آفاق عربية، بغداد- العراق.

بل تتجاوزهُ إلى دلالة السياق وأثره في تحديد معنى المنطوقات، وهذا سيكون موضوع الفصل القادم من هذا الفصل.

الفصل السادس

السياق عند تمام حسان

وبالنظر إلى الفصل السابق، فإن تمام حسان قد درس في جامعة لندن وعلى يد أستاذها المشهور جون روبرت فيرث، صاحب النظرية اللغوية المعروفة باسم نظرية السياق، وهي نظرية في المعنى ترى أن غاية الدرس اللغوي هو الوصول إلى المعنى، وكانت تلك النظرية قد نشأت ردة فعل على المدارس اللغوية الأمريكية التي سادت في بدايات القرن العشرين كمدرسة بلومفيلد التوزيعية، ومدرسة تشومسكي التوليدية وكلتيهما قد أهمل جانب المعنى وركز على جانب الشكل مما دفع فيرث على إصدار نظريته، ونظرية السياق تتدرج بالمعنى على عدة درجات ابتداءً من الأصوات، ثم الصرف، ثم الدلالة المعجمية، ثم دلالة السياق أو المقام، وقد فتحت هذه النظرية الباب لنظريات تالية ذهبت بالسياق إلى أبعد من المقام، فدرست كل ما يحيط بالتواصل اللغوي من ظروف وأثر ذلك في تحديد دلالة المنطوقات، وهذه النظرية هي ما تعرف بالبراجماتية أو التداولية، غير أن تمام حسان ولتأثرة بنظرية فيرث يتوقف في دراسة المعنى عند الحد الذي وقف عنده فيرث وهو السياق أو المقام.

ومن خلال ما سبق وما سيأتي من التفصيل يتضح أن السياق يمثل درجتين، سياق النص وسياق الموقف أو المقام، وسياق النص هو سياق التركيب اللغوي الذي يحدد المعنى الدقيق للكلمات، فقد ذكرنا في الفصل السابق عند حديثنا عن المعنى المعجمي أن معنى الكلمة في المعجم متعدد، فالكلمة في المعجم تحتل أكثر من معنى، فإذا دخلت في سياق تركيب لغوي فإنها تحتل معنى واحداً فقط من تلك المعاني، وفي هذه الحالة يكون التركيب اللغوي سياق استخدام حدد معنى محدداً للمفردة اللغوية، هذا هو سياق النص، أما سياق المقام فهو كل ما يحيط بالتواصل اللغوي من الظروف الطبيعية وغير الطبيعية، وطبيعة كل من المتكلم والمتلقي وهكذا، وعند دراسة المعنى لا بد من دراسة السياق سواء كان سياقاً للنص أو سياقاً للموقف، وفي هذا الفصل نتناول دراسة "تمام حسان" للسياق ابتداءً بمفهوم السياق،

ثم أنواعه ووظيفته، ثم ننتقل إلى تناوله للمقام وتبويب المقامات في إطار الثقافة الشعبية حيث يبني هذا التبويب على أسس هي: دور الفرد في المجتمع، ودور الفرد في الأداء، وغايات الأداء، ثم نتناول الزمن، والظواهر السياقية، وهي: التأليف، والوقف، والمناسبة، والإعلال والإبدال، والتوصل، والإدغام، والتخلص، والحذف، والإسكان والكمية، والإشباع، والإضعاف والنبر والتنغيم.

6-1- مفهوم السياق وأنواعه عند تمام حسان:

يشرح تمام حسان مفهوم السياق بقوله: "المقصود بالسياق التوالي، ومن ثم يمكن أن ننظر إليه من زاويتين: أولاهما توالي العناصر التي يتحقق بها السياق الكلامي، وفي هذه الحالة نسمي السياق "سياق النص"، والثانية توالي الأحداث التي هي عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام، وعندئذ نسمي السياق "سياق الموقف"، وهناك علاقة طابعتها العموم والخصوص بين مصطلحين هما: "دلالة السياق" و"قرينة السياق"، فالمستفاد من النص في جميع حالات الإفادة هو "دلالة السياق" سوا كانت هذه الدلالة بواسطة العبارة أم كانت بواسطة الإشارة أو الإيماء أو الاقتضاء والدلالة فيما عدا العبارة دلالة على معنى مضاف يلزم عن العبارة أي عن الكلام نفسه، وفي هذه الحالة يدل السياق بالإشارة أو الإيماء أو الاقتضاء على معنى لم يرد عنه في النص تعبير صريح، وعندئذ يكون السياق قرينة على هذا المعنى، وهكذا يكون المقصود بقرينة السياق أخص من المقصود بدلالة السياق"¹، وفي هذا النص يلفت تمام حسان أنظارنا إلى مسألة مهمة وهي التفريق بين دلالة السياق وقرينة السياق، فالأولى هي دلالة المنطوق بحسب سياق التواصل، أما الثانية فهي تعضيد للمعنى وتحديد لمقتضاه، كاستخدام الإشارات أثناء الكلام وكذلك الإيماءات، وهذه الإشارات والإيماءات تحدد المعنى بدقة ولا تظهر في الكلام، كقول الرسول ﷺ: "كافل اليتيم له، أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة

¹اجتهادات لغوية، تمام حسان، (ص:237).

والوسطى¹، ويقول الرسول ﷺ - "بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى"²، فهذه الإشارات غير مذكورة في النص، بل هي حركات عملية وردت أثناء التواصل.

ويوضح تمام حسان سياق النص والمقام بقوله: "سياق النص إما أن يكون قرينة تركيبية (نحوية أو معجمية) أو دلالية (قوامها العلاقات النصية)، أما سياق الموقف فإما أن يكون ذا دلالة واقعية أو ذهنية، فالواقعية مبنها على العرف أو أحداث التاريخ أو مواقع الجغرافيا أو العلاقات العملية في إطار الموقف الذي وقع فيه الكلام، أما الذهنية فإنها تنشأ عن تداعي المعاني بحيث يثير بعضها بعضاً في تسلسل منطقي (طبيعي لا صوري)"³.

ويضرب تمام حسان مثلاً لسياق النص ودوره في تحديد معنى المنطوقات ببعض الأدوات ذات المعاني المتعددة، وكذلك تقدير المحذوف من النص من خلال السياق، وكذلك بعض المفردات ذات الدلالة الأسلوبية المتعددة، ولتحديد معنى الأدوات عن طريق السياق يمثل "تمام حسان" بقوله: "يمكن استعمال "ما" عند قصد الموصولية كما في قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ السَّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ"⁴، أي من الذي يدعونني إليه، كما يمكن استعمالها للنفي، نحو: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا"⁵، فإذا نظرنا إلى ما في قوله تعالى: "لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ"⁶ وجدنا أنه يمكن أن تكون "ما" موصولة، أي من الذي عملته أيديهم، أو "نافية" أي ولم تعمله

¹المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334 هـ، (ص:221).

²صحيح مسلم، (ص:208).

³اجتهادات لغوية، تمام حسان، (ص:237).

⁴سورة يوسف، (الآية: 33).

⁵سورة آل عمران، (الآية: 67).

⁶سورة يس، (الآية: 35).

أيديهم، غير أن في الآية قرينة على إرادة النفي هي قوله تعالى بعد ذلك "أَفَلَا يَشْكُرُونَ"¹ فالمرء إن أعد طعامه بنفسه فلا يشكر نفسه على ما قدم لنفسه"².

ولتقدير المحذوف عن طريق السياق يقول: "ربما خلا موقع الحرف في السياق فقيل إن الحرف محذوف في هذا الموقع، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى "وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَأَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ"³، فالحرف المحذوف في أحد الموضعين أو كليهما هو "الفاء" قبل "قلت"، وإما أن نقدرها قبل "تولوا"، أو أن نقدرها في الموضعين كليهما"⁴، وموضوع الحذف أصلاً لا يمكن تقديره إلا من خلال السياق سواء أكان سياق النص كذكر كلمة في جملة ثم إعادة الجملة بدونها اختصاراً، كقول الشاعر:

أكل امرئ تحسبين امرءاً وناراً توقد بالليل ناراً⁵

وتقدير المحذوف: وكل نارٍ، فسياق النص هو الذي دل على المحذوف، أما سياق المقام ودوره في تقدير المحذوف كما في قوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى"⁶ تقدير الحذف: لكان هذا القرآن، وغير ذلك كثير.

وقد تنصب الخيارات الأسلوبية على المعنى بصور مختلفة للفظ الواحد، فلو أخذنا لفظ "أم" مثلاً لهذا التعدد في المعنى الأسلوبي لوجدنا ما يلي⁷:

أ- المعنى الإرشادي الأصلي الذي يتحقق بتعريف لفظ "أم".

¹سورة يس، (الآية: 35).

²الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان (ص: 12-13).

³سورة التوبة، (الآية: 92).

⁴الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان (ص: 14).

⁵الشاهد رقم 238 من شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث- القاهرة (1426-2005)، (ص: 59)، والبيت لأبي داود الإبادي.

⁶سورة الرعد، (الآية: 31).

⁷الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان، (ص: 79-80).

- ب- المعنى الاستدعائي الذي يشتمل على الفروع التالية:
 أ- المعنى اللزومي الذي يشمل الحمل والولادة.
 ب- المعنى الأسلوبي الذي يشمل تعديل لفظ "أم" إلى لفظ ماما ومامي الخ.
 ج- المعنى العاطفي الذي نلمحه في عبارة "مصر أمنا".
 د- المعنى الانعكاسي المنفر كالثنائيم المشتمة على لفظ الأم، وكوصف الخمر بأم الكبائر.

ه- المعنى التواردي الذي تظهر به الكلمات التي ترد مع لفظ "أم" مثل لين الأم وحنان الأم والأم الرعوم.

ج- المعنى البؤري الذي تتحدد معه بؤرة الاهتمام بمضمون اللفظ بواسطة أمور منها التقديم والتأخير والتأكيد والتكرار كما في حديث "من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك قال ثم من؟ قال: أبوك" إذ صارت الأم بالتكرار في بؤرة الانتباه.

ثم يوضح تمام حسان أهمية سياق النص بقوله إن "السياق من شأنه أن يحدد المعنى ويخصه، فإذا دخلت الكلمة في السياق فقد حل إشكال صفة العموم التي في المعنى المعجمي، واشتمل اللفظ على معناه الأخص، ولم يعد في الأمر ما يدعو إلى طلب زيادة لمستزيد"¹.

أما النوع الثاني من السياق فهو سياق المقام، ومفهوم المقام ليس من المفاهيم الحديثة، فقد عرفت الدراسات العربية القديمة، وإن اختلفت نظرة كل من الدراسات اللغوية الحديثة والدراسات البلاغية العربية إلى المقام، فالبلاغة العربية تنظر إليه من ناحية جمالية، أما الدراسات اللغوية الحديثة فهي تنظر إليه من ناحية دوره في تحديد المعنى، ففي كلتا الحالتين لا يقل مفهوم المقام أهمية، يقول عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي "قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد، فيحسن في وقت ما لا يحسن في وقت آخر، ويستحسن أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره، ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه، وكثر استعماله عند أهله، بعد ألا تخرج من حسن

¹اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، (ص:121).

الاستواء، وهو الاعتدال، وجودة الصنعة¹، فالمقام ذو أثر في تحديد معنى الكلام؛ لذلك اشترط النقاد قديماً مراعاة المقام، ولأهميته اعتبر معياراً من معايير النصوصية في "لسانيات النص" إلى جانب السبك والحبك والإعلامية وغيرها.

والمقام يمثل الجانب الاجتماعي للغة، فاللغة ليست مجرد تراكيب فحسب، إذ أن هذه التراكيب تستخدم في التواصل الاجتماعي، ومن هذا الجانب يبدو الطابع الاجتماعي للمقام، وهذا ما أكدت عليه نظرية فيرث السياقية، فهذه النظرية ترى أن دراسة اللغة دون الإشارة إلى المجتمع وأخذه في الحسبان نظرة غير دقيقة، شأنها في ذلك شأن من يدرس سلوك الصداقة دون أن يربط سلوك أحد الصديقين بسلوك الآخر²، ويقول تمام حسان: "فاللغة نتاج اجتماعي بلا شك، ويتطلب الكلام في حالاته النموذجية تبادل النطق والسماع، أي أن فيه خصائص اجتماعية كما في اللغة، وهذا الجانب الاجتماعي في اللغة لا بد من مراعاة الكشف عنه في إبانة المعنى"³، فهو هنا يتكلم عن المقام الاجتماعي الذي تستخدم فيه اللغة، وفي موضع آخر يذكر ذلك صراحة حيث يقول: "إن اللغة ظاهرة اجتماعية وهي شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها، وهذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلاً منها "مقاماً"، فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو التمني أو الهجاء"⁴.

ويولي تمام حسان المقام أهمية كبيرة، يقول في ذلك "إن فكرة "المقام" هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي يبنى عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء "المقال"⁵. وعبارة "الوقت الحاضر" والتي جاءت في هذا النص تشير إلى وقت كتابة كتابه

¹المطالعة التوجيهية، أحمد أمين وآخرون، دار المعارف- مصر، (ص:9).

²علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، (ص:51).

³اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، (ص:121).

⁴اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص:337).

⁵المرجع نفسه، (ص:337).

"اللغة العربية معناها ومبناها"؛ لأنه كما ذكرنا فقد ذهبَت الدراسات اللغوية الحديثة إلى أبعد من المقام.

ثم يوضح تمام حسان أنواع المعنى بقوله: "إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي" الصوتي والصرفي والنحوي"، وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلا "معنى المقال" أو "المعنى الحرفي" كما يسميه النقاد، "أو معنى ظاهر النص" كما يسميه الأصوليون، وهو -مع الاعتذار الشديد للظاهرة- معنى فارغ تمامًا من محتواه الاجتماعي والتاريخي منعزل تمامًا عن كل ما يحيط بالنص من القرائن الحالية وهي القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى"¹. ونلاحظ على هذا النص أن تمام حسان يصف فعل الظاهرية ووقوفهم عند ظاهر النص بأنه معنى فارغ تمامًا، وكما هو معلوم فإن الظاهرية يرفضون التعليل، وتمام حسان نفسه يرفض التعليل، ويمتدح فعل ابن مضاء الأندلسي في إنكاره لعل النحاة الغائية، وابن مضاء إنما ينكرها انطلاقاً من مذهبه الظاهري، ولهذا يبدو أن تمام حسان قد وقع في التناقض.

ثم يعدد تمام حسان أنواعاً من المقام، يقول: "ويعد من قبيل المقام أن يستعار "المقال" المشهور "للمقام" الطارئ" وهو ما يسمّى بالاستشهاد أو الاقتباس" أثناء الحديث، والأصل في ذلك أننا نستطيع أن نوفق بين كلام ذائع الشهرة انقضى مقامه الأصلي الذي قيل فيه وبين مقام مشابه وجدنا أنفسنا فيه الآن، فنورد الكلام القديم الشهير في المقام الجديد على سبيل التلفيق، وكلما قوي التناسب بين المقال الشهير وبين المقام الطارئ كان ذلك من حسن الاستشهاد، ولقد رزق أبو بكر -رضي الله عنه- القدرة على حسن الاستشهاد فمن ذلك استشهاده بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- بقول الله تعالى: لَوْ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} ولقد قال عمر عند سماعه هذا الاستشهاد ما معناه: والله لكأنني لم

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:337-338).

أسمع هذه الآية من قبل¹. وهذا الذي يذكره تمام حسان هو ما يسميه علماء البلاغة بالاستعارة التمثيلية.

ويمثل لهذا النوع بمثال آخر، حيث يقول: "لقد كنا نسمع ونحن بعد طلبة في دار العلوم أن قبيلتين عراقيتين نواتي أصرة حدث بينهما نزاع، فكان ممن ندب للصلح بينهما أستاذنا المرحوم الشاعر علي الجارم وكان وكيل دار العلوم في ذلك الحين، وقد سمعنا أنه نجح نجاحًا عظيمًا حين استشهد بقول البحترى:

شواجر أرماح تقطع دونها شواجر أرحام ملوم قطوعها

إذا احتريت يومًا ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

فبكى لسماع هذا الشعر رجال القبيلتين وتصالحوها، وما ذلك إلا لأنّ المقال القديم المشهور قد قيل مرة أخرى في مقام يكاد يكون تامّ الشبه بمقامه الأصلي القديم².

ويؤكد تمام حسان على الجانب الاجتماعي في المقام، ذلك الجانب الذي أشرنا إليه سابقاً، فاللغة تجري في الأنساق الاجتماعية مكيفة دلالتها وفق ما يقتضيه المقام الاجتماعي، حيث تختلف الدلالة باختلاف المقام، يقول تمام حسان: "العنصر الاجتماعي ضروري جداً لفهم المعنى الدلالي، فالذي يقول لفرسه عندما يراها، "أهلاً بالجميلة" يختلف المقام معه عن الذي يقول هذه العبارة لزوجته، فمقام توجيه هذه العبارة للفرس هو مقام الترويض، وربما صحب ذلك ربت على كتفها أو مسح على جبينها. أما بالنسبة للزوجة فالمعنى يختلف بحسب المقام الاجتماعي أيضاً، فقد تقال هذه العبارة في مقام الغزل أو في مقام التوبيخ أو التعبير بالدمامة. فالوقوف هنا عند المعنى المعجمي لكلمتي "أهلاً" و"الجميلة"، وعلى المعنى الوظيفي لهما وللبناء الرابطة بينهما، لا يصل بنا إلى المعنى الدلالي، ولا يكون وصولنا إلى هذا المعنى الدلالي إلا بالكشف عن المقام الذي قيل فيه النص³.

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 339-340).

² المرجع نفسه، (ص: 340-341).

³ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 342).

ثم يتطرق لنوع آخر من المقام ذو الطابع الاجتماعي يسميه بمقام اللغو، يقول تمام حسان: "هناك نوع من المقامات الاجتماعية يمكن أن نسميه مقامات اللغو الاجتماعي، يتبادل الناس فيها الكلام، ولكنهم لا يقصدون به أكثر من شغل الوقت، وحل موقف اجتماعي لولا هذا اللغو لكان فيه حرج. والكلام الذي يقال في هذا المقام ليس مقصوداً لذاته، فقد يكون موضوعه الطقس أو السياسة أو أيّ موضوع عام آخر، والحقائق التي يشتمل عليها هذا الموضوع معروفة عند طرفي المحادثة فلا يفيد أحدهما من سماعها أيّ قدر من المعلومات الجديدة، ولكن كلاً من الطرفين يلغو رفعاً للحرج الذي يتوقعه نتيجة للصمت. مثال ذلك أن تكون في حجرة انتظار أحد الأطباء بمفردك ولم يحضر الطبيب إلى عيادته فتظلّ بمفردك تنتظر قدومه، وفجأة يقدم عليك زائر آخر للطبيب فتضمكما الحجرة ولا ثالث لكما. فلو سكتكما ولم يفتح أحدكما باباً للكلام لأصبح الموقف بينكما مفعماً بنوع من الحرج الاجتماعي الذي يشعر معه كل منكما برغبة في إنهاء الموقف. والحيلة الاجتماعية لتجنب هذا الحرج هي فتح موضوع لتبادل الكلام. ولكن كيف يمكن لأحدكما أن يفتح موضوعاً وليس بينكما تجارب مشتركة، ولم ير أحدكما الآخر قبل اليوم. الجواب على ذلك أيضاً أن المجتمع الذي اخترع حيلة فتح الموضوع حدّد بعض الموضوعات العامة الطابع لهذا الغرض؛ بحيث لا يتعب إنسان في البحث عن موضوع، وهذه الموضوعات ذات طابع عام غير شخصي؛ بحيث لا يتأذى بفتحها إنسان لا غائب ولا حاضر، فمن ذلك الكلام في الطقس وما يحس المتكلم والسامع من حرّ أو برد أو جوّ ربيعي أو خريفي لطيف مع تذكر تجارب سابقة عن حالات جوية تستحق التذكر. وقد تدعو مناسبة زيارة الطبيب إلى أن يفصح كل منهما للآخر عمّا يشكو منه وعن تطور مرضه، ومن الموضوعات المفضّلة في هذه المواقف في البلاد العربية بخاصة الكلام في السياسة وفي القضايا القومية"¹. وهذا النوع من المقام الذي ذكره تمام حسان ليس دائماً مقام لغو اجتماعي، فقد ينداح الحديث بشكل عفوي من كلا الطرفين، ويكون خالياً من التكلف، وقد يكون حديثاً جداً مثمراً، وقد يكون حديث أحد الطرفين عن

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:343-344).

الطقس -مثلا- من باب شكوى من الحر أو غير ذلك، فليس دائماً هذا المقام مقام لغو اجتماعي.

ثم يشير تمام حسان إلى حالة من حالات المقام، وهي أن يكون المقال مكتوباً، ففي هذه الحالة يحدث لبس كبير على القارئ إذا لم يعلم مقام النص الذي قيل فيه، فالجهل بهذا المقام يقود إلى نتائج خاطئة، يقول في ذلك: "وإذا كان المقال مكتوباً فإنه من الضروري إعادة بناء المقام في صورة وصف مكتوب، وفي هذا يقول: "إذا كان "المقال" المكتوب لا يقع في أثناء قراءته في وقت لاحق في مقامه الاجتماعي الذي كان له في الأصل، فإن هذا المقام الأصيل من الممكن بل من الضروري أن يعاد بناؤه في صورة وصف له مكتوب، حتى يمكن للنص أن يفهم على وجهه الصحيح. وفي بناء هذا المقام الأصيل بناءً جديداً بواسطة وصفه، كما كان لا بُدَّ من الرجوع إلى الثقافة عموماً والتاريخ بصفة خاصة، وكلما كان وصف المقام أكثر تفصيلاً كان المعنى الدلالي الذي نريد الوصول إليه أكثر وضوحاً في النهاية حين تصبح كل عبارة من عبارات النص واضحة بما يجليها من القرائن الحالية التاريخية والقرائن المقالية التي في وصف المقام؛ فالذين يقرءون خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي على منبر الكوفة دون أن يعرفوا المقام الذي قيلت فيه هذه الخطبة، ربما اتهموا الحجاج بتهم بعيدة عنه؛ أولها: سوء السياسة ما دام قد استهلَّ ولايته على قوم لم يجربهم من قبل ولم يرههم بكل هذا العنف، ولكن المقام الذي يشتمل على إيضاح العلاقة بين العراقيين وبين بني أمية ربما شمل من الحوادث الماضية حادثاً كقتل عثمان ومعركة صفين ومقتل الحسين وتشيع العراقيين وكرهيتهم لبني أمية، ورغبة الأمويين في تأديب هؤلاء العراقيين حتى لا يثوروا بهم أو يعصوا ولاتهم، ومن هنا يصبح من الضروري أن يأتي وصف المقام في صورة مقدمة للخطبة تجري على نحو شبيه بما يأتي:

كان عبد الملك بن مروان قد أرسل الحجاج والياً من قبيله على العراق، وكان أهل العراق من الشيعة يكرهون الأمويين ويعصون ولاتهم، فلماً دخل الحجاج المسجد وكان ضئيل الجسم صعَدَ المنبر وأرخى فضل عمامته على وجهه وصمت صمماً طويلاً حتى همَّ بعض الناس أن يحصبه، وقال عمير بن ضابئ البرجمي وكان بين

الناس في المسجد، قَبَّحَ اللهُ بني أمية إذ يرسلون إلينا مثل هذا، فرفع الحجاج ما كان أرخى من عمامته وحسرها عن وجهه وقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

فكل هذه العبارات التي قدّمنا بها للخطبة ليست أكثر من وصف المقام الاجتماعي التاريخي الذي قيلت فيه هذه الخطبة، وبواسطته ينتقي عن الخطبة أن يكون معناها سوء السياسة، إلى أن يكون معناها الحزم. على أن هذا المقام الذي وصفناه بكلمات قليلة يمكن أن يكون وصفه هو كل ما قيل في تاريخ الفتنة الكبرى وما بعدها، ولكن الاكتفاء بهذا الوصف المختصر يفترض أن القارئ على علم بهذا التاريخ¹. ونلاحظ هنا أن تمام حسان يتكلم عن المقام من ناحية المتلقي، وهذا وجه اختلاف بين الدراسات اللغوية البلاغية القديمة والتي تتحد عن المقام من ناحية المرسل، بينما هنا يدور الحديث عن المقام من ناحية المتلقي، وإن كان كلا الجانبين ذكرتهما كتب النقد والبلاغة قديماً، فقد ذكر عن خالد قال: "قلت لبشار بن برد: إنك لتجيء بالشيء المتفاوت، قال: وما ذاك؟ قال: قلت: بينما تقول شعراً تثير به النقع، وتخلع به القلوب مثل قولك:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما

إلى أن تقول:

ربابة ربة البيت تصب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

فقال: لكل شيء وجه وموضع، فالقول الأول جدّ، وهذا قلته في جاريتي ربابة، وأنا لا آكل البيض من السوق، فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك، فهي تجمع لي البيض وتحفظه، فهذا من قولي عندها أحسن من (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) عندك². فالذي أخطأ المقام هنا هو المتلقي، لذلك حدث ما حدث له من اللبس في الحكم على شعر بشار بن برد، حتى أوضح له بشار مقام كل مقال من تلك

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان(ص:346-347).

²المطالعة التوجيهية، أحمد أمين وآخرون، (ص:28).

المقالات. أما النوع الثاني وهو جهل المرسل بالمقام فقد حفلت به كتب النقد والبلاغة قديماً.

ويذكر تمام حسان ضرب من المقام يقصد فيه المرسل إلى التعمية والتضليل، وهذه خاصية من خصائص الخطاب السياسي، حيث يكون الغموض متعمداً أو غاية في ذاته، ويمثل له تمام حسان بحكاية بشار بن برد والخياط، يقول في ذلك: "وإذا كان المقام ضرورياً للفهم فإنه يكون أحياناً ضرورياً لعدم تحديد فهم بعينه؛ كالذي نلمحه في مقام التعمية والإبهام والإلغاز؛ إذ يكون اللبس الذي تسببه التعمية، أو يأتي عن الإبهام والإلغاز مقصوداً لذاته فلولا فهم المقام هنا والمعرفة بأنه مقام تعمية ما قبل الناس المقال، ولا أقبلوا عليه ولا اعترفوا بأنه نص يستحق عناء النظر الجاد. ويتضح ذلك مثلاً في قول الشاعر في خياط أعور خاطه له قباء:

**خاط لي عمرو قباء لبت عينيه سواء
فاسأل الناس جميعاً أمديح أم هجاء**

فلا سبيل إلى معرفة التمني بلفظ "ليت"، أكان للخياط أم عليه إلا بمعرفة ما إذا كان الشاعر قد رضي عن قبائه أو سخط عليه، ولكن إخفاء هذا الجانب من الرضى أو السخط في بطن الشاعر حال بين الرضى أو السخط وبين أن يكون مقاماً لفهم النص، وأحل محله مقام التعمية فأصبحت التعمية جزءاً من المعنى، وأصبح اللبس الذي فيها مقصوداً لا يراد دفعه¹.

ويشبه السياق بالمسرح وذلك بقوله: "الحياة الاجتماعية مسرح أكبر لكل ممثل فيه دور خاص ذو كلمات محددة وحركات معينة، فإذا لم يحسن الفرد أداء كلماته وحركاته أصابه من الخيبة ومرارة الفشل ما يصيب الممثل الفاشل الذي يؤول أمره إلى سماع الاستهجان من النظارة والمتفرجين. وقد يؤدي سوء الأداء لدور أداء الممثلين إلى إصابة غيره من الممثلين بعدوى الفشل؛ لأن دور كل من الممثلين ينبني من حيث الأداء الكلامي والحركي على دور غيره من الممثلين على المسرح، وهو من ثم يتأثر إجادة أو تقصيراً بأداء الأدوار الأخرى"². وعلى هذا فإنه يجب على

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:350).

²المرجع نفسه، (ص:355).

أطراف الاتصال المعرفة الدقيقة بمقامات التواصل، ولأن هذا الجانب ضروري فقد كتب العلماء قديماً كتباً في هذا الموضوع، فبينوا كيف تخاطب الملوك، وما يجب أن يقال في الأفراح والأتراح، فكل هذه مقامات لا بد أن يصيها التواصل بدقة، وإلا فإن النتيجة تكون كما يقول تمام حسان كالممثل الفاشل والذي لم يحسن أداء دوره، وبناء على هذه الحقيقة ظهرت نظرية في علم الاجتماع اسمها "نظرية الدور" وهي نظرية ترى أن الفرد يعيش في حياته أدواراً مختلفة، فهو حين يكون مديراً في العمل يختلف عن كونه زوجاً أو أباً أو صديقاً أو غير ذلك من الأدوار الاجتماعية التي يؤديها الفرد في حياته، وكل دور من هذه الأدوار يتطلب من الفرد سلوكاً محدداً، فالمدير يتصف بالصرامة والجدية أمام مرؤوسيه، والزوج يتصف باللطافة مع زوجته، وأما مع أصدقائه فتختلف شخصيته عن كونه مع مرؤوسيه أو زوجته، وهكذا. فهذه الأدوار هي مقامات اجتماعية يمكن تشبيهها بالمسرح كما فعل تمام حسان، حيث يحتاج الفرد للنجاح في أي دور من هذه الأدوار، إلى أن يكون ملماً بطبيعة الدور الذي يؤديه في الحياة.

6-1- أسس تصنيف المقامات في إطار الثقافة الشعبية:

ومن خلال العرض السابق يتضح لنا أن المقامات الاجتماعية كثيرة جداً، غير أنه يمكن تصنيف هذه المقامات وفق أسس محددة جعلها تمام حسان ثلاثة أسس، هي¹:

- 1- دور الفرد في المجتمع.
- 2- دور الفرد في الأداء.
- 3- غاية الأداء.

وفيما يلي نفضل القول في كل واحد من هذه الأسس على حدة:

أولاً- دور الفرد في المجتمع:

يقول تمام حسان: "إن الحياة الاجتماعية مسرح أكبر، وأن لكل فرد من أفراد المجتمع دوراً محدداً من حيث الأداء الكلامي والحركي، وأن النجاح الاجتماعي للفرد منوط بحسن أداء دوره على مسرح الحياة، فقد يكون الفرد أباً أو أماً أو ابناً أو عضواً

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:356).

في ناد أو جماعة، أو رئيسًا أو مرعوسًا، أو أعلى أو أدنى، أو خادمًا أو مخدومًا، أو صديقًا أو شريكًا، أو أستاذًا أو طالبًا أو مربية، أو بائعًا أو مشتريًا، أو موظفًا أو أجيرًا، أو متطوعًا، وقد يكون عسكريًا أو مدنيًا، أو عاملاً يدويًا أو مفكرًا، أو صاحب مهنة أو عاطلاً، أو غنيًا أو فقيرًا، أو مثقفًا أو جاهلاً، أو جادًا أو هازلًا، أو قائدًا أو مقودًا، وهلم جرا ، وواضح أن الكلمة الواحدة بعينها قد يختلف معناها بحسب الدور الذي يؤد به الفرد. فعبرة: "إنه يشرب كثيرًا" مثلًا إذا قيلت في طفل صغير دلّت على نوعٍ من المشروبات، أما إذا قيلت في رجل مشهور بمعاقرة الخمر فإنها تدل على نوع آخر من المشروبات. وعبرة: "لا ينبغي لي أن ألبس هذه الملابس القصيرة" تختلف دلالتها الاجتماعية والمقاييس التي وصفت بالقصر بحسب ما إذا كان المتكلم رجلًا أو امرأة. وعبرة "أنا أحب هذه اللعبة" يختلف معناها حين يقولها طفل عنه حين يقولها رجل، بل يختلف حين يقولها متفرج عنه حين يقولها لاعب. وإننا إذا نظرنا إلى عضوية الأسرة باعتبارها دورًا اجتماعيًا للفرد، فسنجد لكل عضو في الأسرة عبارات تناسب دوره لا يقولها غيره من أفراد الأسرة الآخرين. فالعبارات التي يستعملها الأب غير العبارات التي ترد على لسان الأم، فالأب مثلًا لا يقول: "يا حبيبي" إذا كان يخاطب الكبار من أبنائه، ولكن الأم تقول ذلك بإسراف. والبنات لا تكلم أباهن في شئونهن الخاصة، ولكنها تكلم أمهاتهن، والأخ الأصغر في الأسرة يتلقّى التوجيه الصحيح من بقية أفراد الأسرة، وليس له فرصة لأن يوجه الآخرين أو يصحح أخطاءهم. ولو حاول ذلك لكانت تلك مناسبة طيبة للضحك وللتدليل والإعجاب بالصغير الطموح غير الواعي بدوره في الأسرة¹. إن ما يشير إليه تمام حسان في هذا النص هو ذات ما أشرنا إليه سابقًا من اختلاف اللغة باختلاف المقامات الاجتماعية، أو الأدوار الاجتماعية، فاللغة تختلف باختلاف المهن، إذ لكل مهنة لغتها الخاصة بها، وتختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية، فكل طبقة اجتماعية لغتها الخاصة، كما تختلف باختلاف الجنس، حيث تختلف لغة النساء عن لغة الرجال، وليس هذا فحسب بل تختلف باختلاف العمر، فلغة الكبار تختلف عن لغة

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:356-357).

الصغار، كل هذه العوامل وغيرها ذات أثر في تحديد معنى المنطوقات، وكلها تشكل مقامات اجتماعية يجب مراعاتها عند الحديث عن المعنى السياقي.

ثانياً- دور الفرد في الأداء:

يقول تمام حسان في هذه النقطة: "قد يكون الفرد هنا متكلمًا أو كاتبًا أو سامعًا أو قارئًا أو مناقشًا أو محادثًا أو لاغياً أو واعظًا أو مخاطبًا خطابًا رسميًا أو خطيبًا أو محاضرًا أو مساعدًا على إنجاز عمل أو مخططًا أو منظمًا أو ساحرًا أو راقياً أو مصليًا أو داعيًا أو تاليًا للقرآن أو مسبحًا وهلم جرا. وقد يكون منفردًا أو واحدًا من جماعة. ولأمر ما اصطنعت اللغة بين معانيها العامة معاني التكلم والخطاب والغيبة، والإفراد والتنثية والجمع، والجنس والعهد، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتكثير، والبناء للمعلوم والبناء للمجهول، وهلم جرا مما يشير إلى اعتداد اللغة باختلافات "المقام" الذي يجري فيه "المقال" من جهة، واعتدادها من جهة أخرى بدور الفرد في الأداء الكلامي إيجابًا وسلبًا"¹.

وهذه المقامات تتداخل مع المقامات السابقة، غير أنها تخالفها في التركيز على أحد طرفي التواصل من حيث التأثير والتأثر من خلال المقام، ولتوضيح ذلك يضرب تمام حسان مثالاً بخطب السياسيين، حيث يقول: "وإنمن ينظر إلى خطب الزعماء السياسيين والوعاظ والشعارات والتهافتات والإعلانات ليستطيع أن يجد الضوء القوي الذي يمكن له أن يسلطه على هذا الموضوع؛ فالزعماء في خطبهم يفضّلون العدول عن ضميري التكلم إلى كلمة "الشعب" فيقولون: "إن الشعب يريد ... " في مكان "نحن نريد" أو "أنا أريد"، لما في استعمال "أنا" من إحياء بالفردية والتسلط، ولما في "نحن" من احتمال تعظيم النفس، والمعلوم أن مقامي التسلط وتعظيم النفس ليسا مما يقرب الزعماء من قلوب الجماهير. ويفضل الواعظ غالبًا أن يعدل عن استعمال ضمير المخاطبين إلى ضمير المتكلمين، فهو يتحاشى أن يقول: "ينبغي أن تعودوا إلى حظيرة الدين" ويقول في مكان ذلك: "ينبغي لنا أن نعود إلى حظيرة الدين"،

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:361).

ويتحاشى أن يقول: "غفر الله لكم" ويقول: "اللهم اغفر لنا"¹. نلاحظ أن التغيير في الضمائر والكلمات محكوم بالتأثير في المتلقي، فالسياسي يريد أن يكسب ود الجماهير، والواعظ يريد التأثير في نفس المتلقين.

ثالثاً - غايات الأداء:

ويرى تمام حسان أن أكبر غايات الأداء اللغوي على الإطلاق غايتان²:

أ- التعامل. ب- الإفصاح.

فأما التعامل فهو استخدام اللغة بقصد التأثير في البيئة الطبيعية أو الاجتماعية المحيطة بالفرد، فيدخل في ذلك البيع والشراء والمخاصمة والتعليم والبحث العلمي والمناقشات الموصلة إلى قرارات والتأليف والخطابة والمقالة السياسية والتعليق الإذاعي ونشرة الأخبار وهلمّ جرا. وأما الإفصاح فهو استعمال اللغة بقصد التعبير عن موقف نفسي ذاتي دون إرادة التأثير في البيئة، ولا يتحتم في هذه الحالة أن يكون الإسماع مقصوداً، ومن ذلك اللغو والغناء مع عدم قصد الإسماع والتعجب والمدح والذم، والإنتاج الأدبي بصوره المختلفة وإنشاء الشعر الغنائي بصفة خاصة. وكما اعتدت اللغة باختلاف دور الفرد بالأداء فجعلت من معانيها العامة التكلم والخطاب إلخ، اعتدت كذلك بغايات الأداء فقسمت معاني الجملة العربية إلى خبر وإنشاء، وقسمت الخبر إلى إثبات ونفي وتوكيد، وقسمت الإنشاء إلى طلب وشرط وإفصاح، وقسمت الطلب والشرط والإفصاح كلاً إلى أقسام مختلفة، ولكن إذا كانت اللغة قد فعلت ذلك فإن اللغويين لم يفتنوا إلى تقسيمات اللغة فيما يختص بالمقابلة بين التعامل والإفصاح، ومن ثم جعلوا الجملة الإفصاحية من قبيل الخبر أحياناً والإنشاء أحياناً أخرى، مع وضوح الفرق بين طابع التعامل الذي يسود الخبرية ومعظم الإنشائية، وطابع التعبير الذاتي الذي نلاحظه في الجملة الإفصاحية، وقد سبق أن أشرنا إلى الخطأ الذي كان من النحاة حين فسروا "أوه" بكلمة "أتوجع"، وربما وقف "الدعاء" بين التعامل والإفصاح بحيث لا يكون من قبيل أحدهما إلا بعد النظر في

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:362).

² المرجع نفسه، (ص:363-371).

غاية الأداء، فإذا كانت غايته استئزال غضب الله أو رحمته فهو تعامل، وإذا كانت غايته التعبير عن الرضى أو السخط فهو إفصاح. والاستسقاء دعاء من قبيل التعامل، ولكن قول السائل لمن أعطاه صدقه "الله يخلف عليك" إفصاح؛ لأن الغاية منه التعبير عن الرضى، ومثله ما نراه من دعاء في الرسائل الإخوانية نحو: "بلغني -أطال الله بقاءك". ومصطلح "الإفصاح" من المصطلحات التي ابتكرها تمام حسان من خلال محاولته لتجديد النحو العربي، ولا يمكن فهمه إلا في سياق تلك المحاولة والتي ضمنها في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، وقد انتقد فيه مسلك القدماء في تقسيم الجملة بين الإنشائية والخبرية، مع أن معيارهم في ذلك كان واضحاً "الصدق والكذب"، فقد يكون في تجديد تمام حسان شيئاً من الدقة، إلا أنه سيؤدي إلى خلط وزعزعة مصطلحات اكتسبت ثباتاً على مدى طويل من الزمن.

إضافة إلى ذلك أن ما يسميه تمام حسان بالإفصاح قد شملته نظرية "أفعال الكلام"، فقد اهتمت هذه النظرية بأفعال الأداء كالشكر وغيره من الأفعال، وقد ظهرت هذه النظرية في الستينات من القرن الماضي على يد جون أوستن، وهي كما أشرنا تهتم بجانب الأداء، وهو الجانب الذي يشير إليه تمام حسان هنا بالإفصاح، فقد عدّ تمام حسان "من غايات الأداء الاتفاق والتشجيع والمصادقة والتثبيط والشم والتمني والترجي واللعن والفخر والتحدي والتحضيض والاستخفاف والتحقير والتعظيم والإغاظة والإيلام والمعادة والمدارة والتلق والنفاق والتحبب والغزل واللوم والدعاية والإغراء والاستقبال والتوديع والإلزام والترحم والتحية والتعجب والتهنئة والنصيحة، وغير ذلك من المعاني التعاملية والإفصاحية، ولكل غاية من هذه الغايات عباراتها المعيارية التي تقال فيها، وذلك مصداق قول البلغاء: "لكل مقام مقال" و"لكل كلمة مع صاحبها مقام".

ونلاحظ أن كل هذه الغايات تقع ضمن أفعال الكلام التي ذكرها جون أوستن، غير أن تمام حسان لا يتناولها هنا من ناحية معيارية كما يفعل جون أوستن، بل يتناولها من جانب اختلاف اللغة باختلاف تلك المقامات الاجتماعية "لكل غاية من غايات الأداء عبارات معيارية خاصة من الناحية النظرية، ولكن مطالب الاستعمال ومناسبة المقام ربما تطلب نقل عبارة ذات غاية محددة إلى غاية أخرى، فمن ذلك

مثلاً أننا أوردنا أمام عبارة "اسمع يا فلان" أنها يقولها الصديق للصديق، وهذا هو فعلاً موضعها في الخطاب العادي، ولكنها قد تتحوّل إلى غاية أخرى هي التهديد أو التقديم للنصح، وعبارة "لليمين در" قد تتحول من غايتها العسكرية المحددة إلى السخرية من شخص تطرده، وعبارة "رح لحالك" ربما تحولت عن غايتها العادية وهي الطرد إلى معنى غزلي هو التمتع والدلال، وعبارة "مع السلامة" ربما تحولت عن غايتها العادية وهو الوداع إلى غاية أخرى هي السخرية عند الطرد، أو التعبير عن عدم الرغبة في الرؤية مرة أخرى. وقد تقال عبارة "خطوة عزيزة" للتأنيب على التأخر، ويمكن أن تقال عبارة "الناس كلهم عارفين أمانتك" عند السخرية من خيانة المخاطب، ويمكن في عبارة لا إله إلا الله أن تقال للتأفف أو للذكر أو في الأذان، ويمكن في عبارة "مش عايز تكسب ثواب" أن تقال في السخرية عند الدعوة إلى أداء عمل إضافي يستحق عليه أجر ولكنه لا ينتظر دفعه، وكذلك عبارة "خياركم السابقون" يمكن أن تكون تعليقاً ساخراً عند فصل موظف سيئ السمعة مع انتظار فصل آخرين على شاكلته، أما عبارة "يا سلام" فقد سبق أن ذكرنا ما يمكن لها من المعاني المختلفة باختلاف تنغيمها، وكل عبارات التعجب يمكن أن تتحوّل عن غايتها إلى السخرية أيضاً، ومثلها عبارات التهنة أيضاً. فكل هذه المعاني اقتضاها السياق، وما أشار إليه تمام حسان هنا هو بالضبط ما يقوم به البحث البراجماتي أو التداولي، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك كما أشرنا سابقاً؛ لأن اللغة في سياق التواصل تختلف عنها في سياق المعجم، أو في بنائها الشكلي، حيث تؤدي العبارات في سياق التواصل معاني أكثر من حمولتها المعجمية أو التركيبية، فعبارة "لا إله إلا الله" كما ذكر تمام حسان تخرج في سياق التواصل عن معنى نفي العبودية بالحق لغير الله إلى معاني سياقية تواصلية كالتأفف أو الدهشة أو غير ذلك، وهي معاني لا تدل عليها بصيغتها التركيبية، وإنما دلّ عليها سياق التواصل فقط، وعلى هذا فإن عبارة "الجو بارد" قد تعني في سياق التداول "أغلق المروحة"، وذلك حين يقوم شخص بتشغيل المروحة في يومٍ شاتٍ، فنقول له "الجو بارد" ففي هذا السياق لا تعني هذه العبارة مجرد وصف الجو، بل تعني "أغلق المروحة"، وهذا النموذج الذي ذكرناه يقع

ضمن اهتمامات البحث البراجماتي أو التداولي، والذي -كما ذكرنا- يذهب بالسياق إلى أبعد مما يذهب به جون فيرث ومن خلفه تمام حسان.

فالعلاقة بين كل ما ذكر سابقاً سواء أعلى مستوى السياق أم التداول هو أن التراكيب في سياق التواصل تخرج من معانيها الأصلية إلى معانٍ سياقية لا تؤديها بلفظها، وقد أشار علماء البلاغة إلى جانب من هذا عند حديثهم عن "خروج الكلام عن مقتضى الظاهر".

بقي أن نشير هنا إلى أن المعاني الإضافية المتعددة التي تؤديها العبارة في السياق تتعدد بتعدد السياقات وليست متعددة في السياق الواحد، فعبارة "لا إله إلا الله" التي ذكرناها سابقاً لا تؤدي معنى التأفف والدهشة في سياق واحد بل في سياقين مختلفين، والذي نريد أن السياق غير متعدد، أي أن العبارة في السياق تؤدي معنى واحداً في السياق الواحد، بينما معنى العبارة في المعجم متعدد كما ذكرنا سابقاً، وقد أرجع تمام حسان عدم تعدد المعنى في السياق بينما هو متعدد في المعجم إلى سببين، هما¹:

أ- ما في السياق من قرائن تعين على التحديد "وقد سبقت الإشارة إلى القرائن المقالية".

ب- ارتباط كل سياق بمقام معين يحدد في ضوء القرائن الحالية.

الزمن النحوي:

تناولنا طرفاً من هذه القضية في الفصل الماضي حين تحدثنا عن الدلالة النحوية، ونوردها هنا بشيء من التفصيل لارتباطها بالسياق، وكما أسلفنا فإن تمام حسان يرى أن "الزمن النحوي وظيفة في السياق يؤديها الفعل أو الصفة أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم كالصادر والخالف، والزمن بهذا المعنى يختلف عمّا يفهم منه في الصرف؛ إذ هو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق، فلا يستفاد من الصفة التي تفيد موصوفاً بالحدث، ولا يستفاد من المصدر الذي يفيد

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:316).

الحدث دون الزمن، وحين يستفاد الزمن الصرفي من صيغة للفعل يبدو قاطعاً في دلالة كل صيغة على معناها الزمني على النحو الآتي:

- صيغة فَعَلَ وقبيلها: تفيد وقوع الحدث في الزمن الماضي.
- صيغة يفعل وقبيلها: تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال.
- صيغة أفعل وقبيلها: تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال.

أما في السياق النحوي فإن الزمن هو وظيفة في السياق يؤديها الفعل وغيره من أقسام الكلم التي تنقل إلى معناه¹. هكذا يرى تمام حسان مفرقاً بين الزمن النحوي والزمن الصرفي.

ثم يفصل في صيغتي المضارع والأمر بقوله: "إن صيغتي يفعل وأفعل ونحوهما، إما أن يكونا للحال أو للاستقبال، فلا يتحدد لأيٍّ منهما أحد المعنيين إلا بقرينة السياق، لأن السياق يحمل من القرائن اللفظية والمعنوية والحالية ما يعين على فهم الزمن في مجال أوسع من مجرد المجال الصرفي المحدود، وهكذا يكون نظام الزمن جزءاً من النظام الصرفي، وأما الزمن السياقي النحوي: فإنه جزء من الظواهر الموقعية السياقية؛ لأن دلالة الفعل على زمنٍ ما تتوقف على موقعه وعلى قرينته في السياق².

وهو بهذا ينكر النظر إلى الزمن في الحالة الصرفية للكلمة دون دخولها في سياق نحوي، أي تركيب لغوي، ولقد ظل يؤكد على هذا الأمر مراراً، يقول في ذلك: "إذا كان النحو هو نظام العلاقات في السياق، فمجال النظر في الزمن النحوي هو السياق وليس الصيغة المنعزلة، وحيث يكون الصرف هو نظام المباني والصيغ، يكون الزمن الصرفي قاصراً على معنى الصيغة يبدأ بها وينتهي بها، ولا يكون لها عندما تدخل في علاقات السياق. فلا مفرّ إذاً من النظر إلى الزمن في السياق نظرة تختلف عما يكون للزمن في الصيغة؛ لأن معنى الزمن النحوي يختلف عن معنى

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:240-241).

²المرجع نفسه،(ص:105).

الزمن الصرفي من حيث إنَّ الزمن الصرفي وظيفته الصيغة، وإنَّ الزمن النحوي وظيفته السياق تحددها الضمائم والقرائن¹.

ويتحدث "تمام حسان" عن نظرة النحاة للزمن، يقول في ذلك: "وحيث نظر النحاة العرب في معنى الزمن في اللغة العربية كان من السهل عليهم أن يحددوا الزمن الصرفي من أول وهلة، فقسموا الأفعال بحسبه إلى ماضٍ ومضارع وأمر، ثم جعلوا هذه الدلالات الزمنية الصرفية نظامًا زمنيًا، وفرضوا تطبيقها على صيغ الأفعال في السياق كما يبدو من تسمية الماضي ماضيًا حتى حين يكون معناه في السياق الاستقبال. وواضح أن كل نظام مهما افترض لنفسه من الإطلاق لا بُدَّ أن يصادف من مشكلات التطبيق ما يتطلب حلولًا من نوع ما. فلما نسب النحاة المضي دائمًا إلى صيغة "فَعَلَ" وقبيلها، ونسبوا الحال أو الاستقبال دائمًا إلى صيغتي "يفعل" و"افعل" وقبيلهما، نظروا في الجملة الخبرية المثبتة والمؤكَّدة فلم يجدوا هذه الدلالات الزمنية تتأثر تأثرًا كبيرًا بعلاقاتها في السياق. ولكنهم عند نظرهم إلى الجملة المنفية وجدوا المضارع المنفي قد يدل على المضي، وحين نظروا في الجمل الإنشائية وجدوا صيغة "فَعَلَ" تفيد الاستقبال في التحضيض والدعاء والشرط مثلًا، ولما كانت قواعدهم التي وضعوها عزيزة على أنفسهم لم يخطر ببالهم أن يعيدوا النظر في نظام الزمن في ضوء مطالب السياق، وساغ لهم في حرصهم على القواعد أن ينسبوا اختلاف الزمن إلى الأدوات، فقالوا: إن "لم" حرف قلب، وإن "إذا" ظرف لما يستقبل من الزمان، ولست أدري لم أحجموا عن نسبة مثل هذا المعنى إلى "إن" الشرطية التي تتحوَّل بعدها صيغة "فَعَلَ" إلى معنى الاستقبال، والخاصة: إن النحاة لم يحسنوا النظر في تقسيمات الزمن في السياق العربي إذ كان عليهم أن يدركوا طبيعة الفرق بين مقررات النظام ومطالب السياق، ثم أن ينسبوا الزمن الصرفي إلى النظام الصرفي، وينسبوا الزمن النحوي إلى مطالب السياق. وهذه المطالب هي التي اصطَلحنا على تسميتها بالظواهر الموقعية، وما دام الزمن النحوي وظيفته في السياق

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:242).

يؤديها الفعل والصفة إلخ، فلا بُدَّ أن تلعب القرائن الحالية والمقالية دورها كاملاً في تحديد هذا الزمن¹.

وكما أشرت في الفصل الماضي فإنني لا أرى من خطأ في فعل النحاة، لأن التغير في الزمن النحوي هو شيء عارض؛ لأن السياق له حكمه، وحكم السياق لا يبني عليه الاطراد، ويظل لصالته في حدود الشذوذ، فصيغة "فعل" أو "يفعل" لا تتغير دلالتها على الزمن إلا في سياقات محددة هي إذا دخلت عليها بعض الأدوات، ومعلوم أن لكل قاعدة شواذ، وأن الشذوذ لا ينفي صحة القاعدة، ومعلوم كذلك أن القاعدة تبنى على الأكثر، وما يخالف الكثير يوصف بالشذوذ، ولولا ذلك ما قامت القواعد أصلاً، ولذلك فإن نسبة هذا التغير في الزمن للأدوات عملٌ صحيحٌ وموفق من قبل النحاة، وأن تقويم الزمن النحوي وتركه للسياق قد يؤدي إلى تعقيد النحو العربي، ولا أرى من فائدة يمكن أستفيدها من القول بأن الزمن النحوي زمن السياق ما دام أنه يمكن نسبة التغير للأدوات ويستقيم الحال، وليس معنى هذا أنني أبخس جهد تمام حسان أو أصفه بالخطأ، وإنما هما خياران أرى الأفضل منهما ما اختاره النحاة العرب القدماء.

وربما دفع تمام حسان إلى اختيار الخيار الثاني هو اهتمامه بالقرائن، فأراد أن يربط الزمن النحوي بالقرائن، والقرائن كما هو معلوم تتصل بالسياق اتصالاً تاماً، فهي قرائن سياقية تفهم من سياق التركيب، أو سياق الموقف؛ ولهذا يسهب تمام حسان في وصف اتصال الزمن النحوي بسياق القرائن يقول في ذلك: "يعتبر الزمن وظيفة في السياق لا ترتبط بصيغة معينة دائماً، وإنما تختار الصيغة التي تتوافر لها الضمائم والقرائن التي تعين على تحميلها معنى الزمن المعين المراد في السياق، فلا يهم إن كان الزمن الماضي أتياً من صيغة "فَعَلَ" أو صيغة "يَفْعَل" ما دام يمكن بالتفريق بالضمائم والقرائن بين الأزمنة المختلفة أن نختار من بين الصيغتين أصلهما للدلالة على المعنى الزمني المراد في سياق بعينه"².

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 242-243).

² المرجع نفسه، (ص: 248).

ولكن الزمن ليس جزءاً من معنى الصفة، بل هو جزء من معنى الفعل، يقول تمام حسان: "الفعل "ضرب" مثلاً يفيد الضرب والمضي المستفاد من الصيغة، أما "ضارب" فهي تدل على موصوف بالضرب على معنى صفة الفاعل، ولكن هذه الكلمة ذاتها صالحة لأن تدخل في علاقات سياقية كعلاقة الإسناد والتعدية في قولك: "أضارب أخوك زميله"؛ حيث أخوك فاعل وزميله مفعول به لضارب، فكلمة ضارب في هذا التركيب محتملة للحال والاستقبال دون تعيين لأحدهما بواسطة قرينة لفظية، ولكنها لا بُدَّ أن تتعين لأحدهما هنا بقرينة حالية، وإلا كان في الكلام لبس، فالذي يعين هذه الجملة الوصفية للحال ما يأتي¹:

أ- قرينة حالية: كأن تقال الجملة أثناء وقوع الضرب، فتكون القرينة هي المقام.
ب- قرينة لفظية: بواسطة الظرف كأن قال: "أضارب أخوك زميله الآن؟" فتكون القرينة في المقال.

والذي يعين هذه الجملة للاستقبال أمران أيضاً:

1- قرينة حالية: كأن تقال الجملة وقد شاع في الناس أن الأخ عازم على ضرب زميله، ولكن الضرب لم يقع، فالمقام هنا قرينة حالية.
2- قرينة لفظية: بواسطة ذكر الظرف كأن قال: "أضارب أخوك زميله غداً؟ فتكون القرينة في المقال. ومن هذا القبيل قوله تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}.

أما إذا أضيف الوصف إلى ما بعده ففي معناه من جهة الزمن احتمالان:

1- الدلالة على الماضي: بقرينة حالية أو مقالية كقولك: "أبو بكر قاهر المرتدين" أو "هذا ضارب زيد أمس" على الترتيب.
2- الدلالة على مطلق الوصف كقولك في الله تعالى: "واهب النعم"، وفي "زيد" من قولك: "قام زيد" إنه "فاعل الفعل"، وفي هذه الحالة يكون الوصف خلواً من معنى الزمن.

ثم يضرب مثلاً آخر بالمصدر، فالمصدر كما هو معلوم لا يفيد دلالة على الزمن، ولكنه حين يدخل في سياق يمكن أن يدل على زمن، يقول تمام حسان:

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 252-254).

"والمصدر كذلك حين يدخل في علاقات سياقية كالإسناد والتعدية يفيد معنى الزمن بحسب القرينة، وحين يدخل المصدر في هذه العلاقات السياقية فإما أن يكون على معنى الإنشاء، وإما أن يكون على معنى الإضافة. فإذا كان على معنى الإنشاء صار شبيهاً بالأمر من مادته الاشتقاقية فيصير "ضرباً زيّداً" شبيهاً بقولك: "اضرب زيّداً، أما على معنى الإضافة فإن المصدر يحتمل الماضي والحال والاستقبال جميعاً ويتعين أحدها له بالقرينة الحالية أو المقالية أيضاً، فتقول: "أعجبنى ضرب زيد عمراً" فيدل على الماضي بقرينة "أعجبنى"، وتقول: "يعجبنى ضرب زيداً عمراً الآن أو غداً، فيحدد الظرف معنى الزمن بالحال أو الاستقبال، وتقول: "ضرب زيد عمراً شديداً" فتحتاج إلى القرينة الحالية لتدل على الزمن، فإذا كان هذا الضرب قد حدث فالزمن ماضٍ، وإذا كان حادثاً فهو الحاضر، أو متوقفاً فهو المستقبل¹.

6-3- الظواهر السياقية:

وهي بعض الظواهر التي ينتجها جانب سياق الاستخدام اللغوي، وتمثل حالة خاصة من حالات الاستخدام تفرض واقعاً مغايراً لما كان يجب أن يكون عليه الحال قبل ظهور تلك الظاهرة السياقية، وهذه الظواهر السياقية بعضها يتعلق بالجانب التركيبي، وبعضها يتعلق بالجانب الدلالي، غير أنها جميعاً من نتاج سياق الاستخدام اللغوي، وهذه الظواهر يسميها تمام حسان بالموقعيات، والظواهر السياقية أو الموقعيات هي:

6-3-1- التأليف:

وظاهرة التأليف هي من الظواهر السياقية ذات الاتصال بالجانب التركيبي، يتناول فيها تمام حسان أثر السياق في تركيب بعض الكلمات العربية، يقول عن ظاهرة التأليف: "لاحظ اللغويون منذ القَدَمِ عند النظر في تأليف الكلمة العربية من أصولها الثلاثة "الفاء والعين واللام" أن هذه الأصول يجري تأليفها حسب أساسٍ ذوقي وعضوي خاصٍ يتصل بتجاور مخارج الحروف الأصول التي تتألف منها الكلمة أو تباعدها بالنسبة إلى أماكنها في الجهاز النطقي. ولقد لاحظ الأقدمون أن الكلمة العربية إذا أريد لها أن تكون فصيحة مقبولة فإنها تتطلب في مخارج حروفها

¹اللغة العربية معناها ومبناها، حسان تمام، (ص: 254-255).

أن تكون متناسقة، ولا تتسامح اللغة فتتخلى عن هذا المطلب إلا في أضيق الحدود في حالات الزيادة والإلصاق ونحوهما¹، ولقد أدرك علماء العربية هذه الخاصة في لغتهم، واستطاعوا بفكرهم الثاقب ونظرهم الدقيق أن يضعوا ما يشبه أن يكون قواعد صوتية لما ينبغي أن يكون عليه تأليف الكلمة من أصوات، أخذا بنظام توزيع أصوات لغتهم على مدارج النطق ونظام التناسق والانسجام بين هذه الأصوات².

ثم يوضح تمام حسان سبب عدول العربية عن المخارج المتقاربة بقوله: "أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستثقال، وبقيته ملحقة به ومقفاة على إثره، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو سص وطس وظث وئظ وئظ وئظ وشش وشش وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه، وكذلك نحو قج وجق وكق وقك وكج وجك، وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف أعني حروف الفم، فإن جمع بين اثنين منها قدم الأقوى على الأضعف نحو أهل وأحد وأخ وعهد وعهر وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما نحو أرل، ووتد، ووطد"³. ونلاحظ على هذا النص أنه وضع الحروف المتقاربة والتي يخلو منها تأليف الكلمات العربية، وقد عدَّ بعض علماء العربية أن اجتماع بعض الحروف في الكلمة الواحدة معياراً لأنها غير عربية، فلا تجتمع السين والذال في الكلمات العربية؛ لذلك كانت كلمة "أستاذ" غير عربية، فهي فارسية الأصل، ولا يجتمع الصاد والجيم نحو "صاج"، فهي غير عربية، وغير ذلك كثير. وثمة ملاحظة أخرى وهي أن تمام حسان علل لنفور الذوق العربي عن اجتماع تلك الحروف بالثقل في قوله: "فأكثره متروك للاستثقال"، وهو بهذا يقع فيما أعابه على النحاة القدماء وهو التعليل الغائي، واستخدام تمام حسان للتعليل الغائي مع إنكاره على النحاة القدماء يوضح مدى الفرق بين التنظير والتطبيق، فقد أنكره تنظيراً واستخدمه تطبيقاً.

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 265).

² دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (ص: 196).

³ الخصائص، ابن جني، (ص: 55).

ثم يذكر تمام حسان المخارج العربية حين تنسب إلى المناطق التي حددها اللغويون القدماء بالنسبة لدراسة ظاهرة التأليف، وهي كما يلي¹:

المنطقة الأولى "الشفقان".

أ- الشفوي "ب م و".

ب- الشوفي الأسنانى "ف".

المنطقة الثانية "مقدم اللسان".

ج- الأسنانى "ث ذ ظ".

د- الأسنانى اللثوى "ت د ذ ط س ز ص".

هـ- اللثوى "ن ل ر".

و- الغارى "ج ش ى".

المنطقة الثالثة "مؤخر اللسان والحلق".

أ- الطبقي "ك=g".

ح- اللهوى "الحلقومى خ غ ق".

ط- الحلقى "ع ح".

ي- الحنجري "ء هـ".

ويروي الشيخ السيوطى عن الشيخ بهاء الدين صاحب عروس الأفراح أن رتّب الفصاحة متفاوتة، فإن الكلمة تخفّ وتثقل بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قريباً أو بعداً، فإذا كانت الكلمة ثلاثية فتراكيبها اثنا عشر²:

1- الانحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى نحو: ع د ب.

2- الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط نحو: ع ر د.

"ويظهر أن الرء خطأ مطبعى صحته الباء".

3- من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى نحو: ع م هـ.

4- من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى نحو: ع ل ن.

"ويظهر أن النون خطأ مطبعى صحته الهاء".

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:266-267).

²اللغة العربية معناها ومبناها،(ص:267-268). ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، (ص:156).

- 5- من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى نحو: ب د ع.
- 6- من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط نحو: ب ع د.
- 7- من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى نحو: ف ع م.
- 8- من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى نحو: ف د م.
- 9- من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى نحو: د ع م.
- 10- من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى نحو: د م ع.
- 11- من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط نحو: ن ع ل.
- 12- من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط نحو: ن م ل.

ثم يقول تمام حسان: إن أحسن هذه التراكيب الأول فالعاشر فالسادس، وأما الخامس والتاسع فهما سيان في الاستعمال، وإن كان القياس يقتضي أن يكون أرجحهما التاسع، وأقل الجميع استعمالاً السادس.

ويعقب تمام حسان على ما سبق بقوله: "يظهر أن الشيخ بهاء الدين وكذلك السيوطي لم يكلف نفسه عناء استقصاء الإمكانيات التي تحتملها الكلمة العربية من هذ الناحية استقصاءً كاملاً، فكان عليهما أن ينظرا إلى القضية مثل النظرة الرياضية الإحصائية التي نظرها الخليل في كتاب العين؛ حيث حسب الطرق التي تجتمع بها الحروف في الكلمة الواحدة ف ضرب $28 \times 28 \times 28$ ، وحصل منها على عدد المواد التي يمكن للغة العربية أن تعدد الكلمات تحت كل واحدة منها. ولا شك أن الشيخ بهاء الدين والسيوطي كليهما لم يكن أمامهما عمل معقد كالذي قام به الخليل؛ لأن العدد المضروب هنا لن يكون 28 بعدد الحروف، وإنما يكون 3 بعدد أنواع المخارج فتضرب في نفسها مرتين $3 \times 3 \times 3$ ، فتكون احتمالات تركيب الكلمة من هذه الأنواع سبعة وعشرين احتمالاً. فإذا دللنا على أنواع المخارج بالأرقام بدل الأوصاف، فجعلنا الرقم 1 للأدنى والرقم 2 للأوسط والرقم 3 للأعلى، صار في وسعنا أن نعبر عن التواليف الممكنة وغير الممكنة على السواء، وأن نصور ذلك على النحو التالي¹:

111 ×	112 ل و م	113 ق و م
211 ف و ر	212 ن م ل	213 ع ب د

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 268-269).

311 فوق	312 د م ع	313 ع م هـ
121 ف د م	122 رس م	123 ع د ب
221 ب در	222 در رس	223 ع رس
321 ب د ع	322 ن ت ق	323 ع ل هـ
131 ف ع م	132 د ع م	133 ح ق و
231 ب ع د	232 ن ع ل	233 ع هـ د
321 وق ح	332 رق ع	333 ×

وعلى الرغم من الاستقصاء الإحصائي الذي قام به تمام حسان فإن السيوطي والشيخ بهاء الدين لم يكونا بحاجة لهذا الاستقصاء، لأنهما كانا في معرض بيان درجات الفصاحة من حيث ابتعاد المخارج فكان يكفي لذلك ما يفى بالغرض من الأمثلة، كما أن تمام حسان لم يجد مثلاً لكلمة ثلاثية حروفها الثلاثة مخرجها أقصى الحلق (333)، وكذلك الحال بالنسبة للشفتين (111)، ويستنتج تمام حسان من خلال استقصائه السابق بعض الملاحظات حيث يقول: "وبالتأمل في هذا التوزيع الشامل لإمكانات تجاوز أنواع المخارج" لأن مادة البحث هنا أنواع المخارج أي: مجموعات الثلاث لا المخارج المفردة ولا الحروف" يمكن أن نستنبط الحقائق الآتية¹:

أ- إن فكرة تقارب المخارج وتباعدها هي فعلاً أساس هذه الظاهرة في اللغة العربية الفصحى "ظاهرة التأليف" فبحسبها تتجاوز الحروف في الكلمة أو لا تتجاوز، وهذه الظاهرة هي التي استعان بها القدماء من نقّاد الأدب في الكشف عمّا سموه "التنافر اللفظي"، وعلى أساسها بنوا نقدهم لكلمة "مستشزرات" التي وردت في معلقة امرئ القيس، ولعبارة "وليس قرب قبر حرب قبر". ومرجع كل ذلك كما ذكرنا إنما هو إلى الذوق العربي الذي يتجه إلى ما اصطلاحنا على تسميته "كراهية التضاد أو التنافر".

ب- إن عبارة ابن دريد القائلة: "إذا تباعدت مخارج الحروف حسن تأليفها" أكثر صدقاً وأقل تورطاً من قوله: "اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخرجها كانت أثقل

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 269-270).

على اللسان منها إذا تباعدت" لأن العبارة الأولى لم تتورط كما فعلت العبارة الثانية في ادعاء نقل الكلمات المؤلفة من حروف متقاربة تقارباً لا تتافر فيه مثل:

ر س م - د ر س - ب د ر - ف ق و - وق ح, ونحوها.

وليس في كلام ابن دريد خطأ؛ لأن ابن دريد لم يقل هي ثقيلة على اللسان، وإنما قال هي أثقل من متباعدة المخارج، ولهذا يمكن أن نعكس الكلام ويكون صحيحاً، فنقول: إن الكلمات بعيدة المخارج أسهل في النطق من الكلمات قريبة المخارج، فالمقارنة هنا بين عنصرين وليست الصفات على إطلاقها.

ج- إن عبارة الشيخ بهاء الدين المفصلة لا تحكي القصة كلها، بدليل ما استدركته أنا عليه من تواليف لم يذكرها، وهي التي وضعت تحتها خطأً في الجدول الذي سبق، ولهذا أرفض أن تكون مقالته شاملة.

وبالفعل فإن محاولة الشيخ بهاء الدين لم تكن كاملة؛ لأن هدفه كما ذكرنا

لم يكن الاستقصاء بقدر ما كان هدفه التمثيل للظاهرة بما يفي بالغرض.

د- إن دراسة ظاهرة التأليف إذا بنيت على المخارج العشرة التي ذكرناها سابقاً كل منها على حدة، فلربما كانت أجدى في شمول هذه الظاهرة الموقعية من دراستها مؤسّسة على هذه المناطق الثلاث التي يشتمل كل منها على مخارج متعددة.

لا أعتقد أن ذلك سيكون ذا فائدة كبيرة، لأن المخارج متقاربة جداً بالنسبة للحروف؛ لذلك ستكون النتيجة واحدة، فما يتتافر مع الراء يتتافر مع اللام، وهكذا، فتبدو الأمثلة غير ذات جدوى فعلية لذلك كان استخدام المناطق أنسب.

ه- ولربما كان من الممكن أن يضاف إلى الاعتبار العضوي المخرجي في هذه الدراسة اعتبار القيمة الصوتية من تفخيم وترقيق، فيمكن بهذا أن تدعي مثلاً ندرة تجاور أحد المطبقات مع أحد الغاريات وهي أشد الحروف استقلاً.

و- هذه الظاهرة الموقعية "التأليف" مرتبطة أشد الارتباط بدراسة المستعمل والمهجور من مواد اللغة، وهي بهذا المعنى ترتبط بمعنى الكلمة العربية الفصحى نوع ارتباط.

6-3-2- الوقف:

وظاهرة الوقف هي إحدى الظواهر السياقية التي يعدّها تمام حسان "ظاهرة موقعية من موقعيات السياق العربي ترجع إلى كراهية توالي الأضداد، أو "كراهية التنافر" إن شئت اسمًا آخر لهذا المظهر من مظاهر الذوق العربي، فالحركة مظهر من مظاهر الاستمرار في الأداء، والصمت الذي يأتي عن تمام المعنى جزئيًا أو كليًا أو عن انقطاع النفس أو لأي سبب يدعو إلى قصد الوقف يعتبر عكس الحركة تمامًا فبينه وبين الحركة تنافر"¹.

وللوقف وسائل متعددة غير الإسكان، فله غير الإسكان الرّوم والإشمام والإبدال والزيادة والحذف والنقل والتضعيف²، ويشرح تمام حسان هذه الأنواع بقوله: "فالرّوم إضعاف صوت الحركة دون أن تختفي تمامًا على الأذن، والإشمام عدم النطق بالضمّة، ولكن مع الإشارة بالشفّتين إليها، فلا يدركه إلا من يرى شفّتي المتكلم، أي: إن الإشمام لا قيمة له بالنسبة للأعمى ولا المبصر عند الإظلام، ويذكر النحاة أن معناه مرتبط بالفرق بين الساكن أصلًا فلا إشمام فيه وبين المسكن بالوقف ففيه الإشمام. وأما الإبدال فهو إبدال الألف من تنوين المنصوب وتنوين إذاً ومن نون التوكيد الخفيفة، وكذلك إبدال الهاء من تاء التأنيث التي تلحق الأسماء. وأما الزيادة فهي زيادة هاء السكت بعد الفعل المعتل المحذوف الآخر نحو أعطه وأرجه وعه وقه، وكذلك بعد ما الاستفهامية لحاجة الصيغة إليها في كل ذلك بعد أن انتقصها نظام اللغة، وذلك لإشباعها في الكلام. وأما الحذف فهو حذف التنوين من آخر المنون مرفوعًا كان أو مجرورًا، ومن آخر المقصور مطلقًا، وحذف إشباع الضمير في به وله، وحذف ياء المنقوص مع التنوين في الاسم المنقوص المنكر، وفي لغة ترد الياء دور التنوين. وأما النقل فتحويل حركة الحرف الأخير من الكلام إلى الساكن قبله لبيان حركة الإعراب أو التخلص من التقاء الساكنين إلا إذا كان ما قبل

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 270-271).

² أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، (1420هـ- 1999م)، (ص: 282).

الآخر ممنوعاً تحريكه. وأما التشديد فليس المقصود به تضعيف الحرف وإنما هو شبيهة بقلقلة بطيئة للحرف الموقوف عليه، وهو يلاحظ في يومنا هذا في إلقاء "الإملاء" على التلاميذ، وفي كلام المحاضرين المتأنين والمتأنقين، ويلاحظ في وقف الدكتور طه حسين على جمل كلامه حين يحاضر، فهو يجعل تشديد الحرف الأخير المسكّن للوقف وسيلة من وسائل الإبلاغ السمعي لإرادة التأكيد، أو أي معنى آخر مناسب. ويزعم النحاة أن التائي في نطق هذا الحرف الساكن الأخير هو من قبيل التشديد، وأن سببه هو بيان أنه متحرك أصلاً فيتحرك عند الوصل، ويقولون: إن هذه الظاهرة لا تكون في الحرف الأخير إذا كان همزة كبناء؛ لأن القصر يغني عنها، والنبر قرينة على وجودها عند عدم القصر، والعرب لا تضعف الهمزة إلا إذا كانت عيناً في الكلمة. وهذه الظاهرة لا تكون أيضاً في حرف لين جاء بعد حرف متحرك كما في: سرو وبقي والقاضي، ولا في الحرف الآخر الصحيح إذا سبق بحرف صحيح ساكن نحو: "بُكْرٌ"¹.

وهذه أيضاً ظواهر صوتية أنتجها السياق وطبيعة تلك الأصوات؛ وذلك لأن الوقف يقتضي انقطاع الصوت، والحروف من هذه الناحية متفاوتة في الاستجابة لذلك، وهذا ما أدى إلى ظهور ظواهر، مثل الإسكان والروم والإشمام، أما الزيادة فقد اقتضاها وضوح الصوت عند الوقف على بعض الحروف؛ وذلك لأن الوقف عليها دون الزيادة يوحي بأن الحرف ما زال متحركاً، وأما الإبدال فإن الجهد الصوتي في البديل أخف من المبدل منه، وفيه انقطاع متدرج للنفس، وكذلك الحال بالنسبة للحذف.

6-3-3- المناسبات:

والمناسبة علة غائية يقتضيها السياق فيتغير تركيب الكلمات عما كانت عليه من قبل، وقد يبرر بها النحاة بعض الظواهر الصوتية، وعن مفهوم المناسبات يقول تمام حسان: "ومما يعود في الذوق العربي أيضاً إلى كراهية التنافر ما يسمونه ظاهرة المناسبات، فالمعروف أن الفتحة وألف المد من قبيل صوتي واحد، وأن الكسرة وياء

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 271-272).

المد من قبيل آخر، وأن الضمة وواو المد من قبيل ثالث، فكل حركة من هذه الحركات الثلاث تناسب ما كان من قبيلها. ولقد لاحظ النحاة أن موقعا ما قد يتطلب حركة معينة بحكم النظام، أي: بحسب القاعدة، ولكن هذه الحركة المطلوبة قد تتنافر مع ما يجاورها، أو على الأقل لا تناسبه، ومن هنا يبدو السياق وقد اتخذ في مكان هذه الحركة حركة أخرى تتناسب مع ما يجاورها"¹.

ثم يقول بعد ذلك "لقد سجل النحاة تحت عنوان: المناسبة حركة واحدة هي الكسرة قبل ياء المتكلم من نحو: "هذا كتابي" ولكننا نستطيع أن نضيف إلى ذلك عددًا من حركات المناسبة في مواقع أخرى، ومن هذه الحركات ما يلي²:

أ- بناء الماضي على الضم لمناسبة واو الجماعة في نحو: ضربوا، فهذه الضمة لا يمكن تفسيرها إلا تحت عنوان المناسبة.

ب- تحريك لام المضارع المسند إلى واو الجماعة بالضمّ في جميع حالاته الإعرابية نحو: يضربون ولن يضربوا ولم يضربوا، فهذه الضمة للمناسبة أيضًا.

ج- تحريك لام فعل الأمر بالضمّ عند إسناده إلى الواو نحو: اضربوه، وذلك للمناسبة كذلك.

د- تحريك لام الفعل المضارع المسند إلى ياء المخاطبة بالكسر لمناسبة الياء في جميع الحالات الإعرابية نحو: تضربين ولن تضربي ولم تضربي.

هـ- تحريك لام فعل الأمر عند إسناده إلى ياء المخاطبة بكسرة لمناسبة الياء نحو: اضربي.

و- تحريك أواخر هذه الأفعال جميعًا بالفتحة عند إسنادها إلى ألف الاثنين نحو قولك: ضربا - يضربان - لن يضربا - لم يضربا - اضربا.

ز- إذا كان الفعل معتل الآخر بالألف، فإن الفتحة التي على عين الكلمة والتي تعتبر الألف مد لها تبقى بعد حذف الألف في بعض تصريفات الفعل لتكون قرينة على الألف المحذوفة، ويسميتها النحاة حينئذ "حركة الدليل"، ومن تعبيراتهم المحفوظة في ذلك قولهم: "والفتحة قبلها دليل عليها". فهذه الألف في الحقيقة حركة

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:273).

²المرجع نفسه، (ص:273-274).

لمناسبة الألف؛ لأنه لا يوجد فعل معتل الآخر بالألف دون أن تكون عين الكلمة فيه مفتوحة لمناسبة هذه الألف، ولا تُسمَّى هذه الفتحة "حركة الدليل" إلا بعد حذف الألف، أما والألف موجودة فهي للمناسبة.

ح- مما يدخل تحت المناسبة أيضًا إعراب المجاورة كما في "جرر ضب خرب"؛ حيث يتضح المعنى بقرينة معنوية هي قرينة الصلاحية للإسناد وعدمها، فيصبح اعتبار المناسبة الموسيقية للحركات أهم من المحافظة على إعراب القاعدة.

ط- ومما يُعدُّ من قبيل المناسبة أيضًا ما يسميه النحاة: "الاتباع على اللفظ" فليس لهذا النوع من الاتباع مبرر من القاعدة، ولهذا السبب لا يمكن تفسير الاتباع على اللفظ إلا في ضوء المناسبة الصوتية الموسيقية بين صوتين حين تتصافر القرائن على بيان المحل، فلا يحتاج إلى حركة التابع بين القرائن الدالة عليه.

ونضيف إلى ما ذكر "تمام حسان" من قبيل المناسبة، الفتحة على المنادى المندوب المبني على الضم المقدر، "نحو:

وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

موطن الشاهد: "يا عمرا".

وجه الاستشهاد: مجيء "عمرا" مختتما بألف الندبة، وثبوت هذه الألف دليل على أنه مندوب؛ لأنه لو كان منادى؛ لبني على الضم؛ لأنه مفرد علم؛ وهو هنا مبني على الضم المقدر، منع من ظهوره الفتحة المناسبة للألف، واستعملت "يا" للندبة في هذا البيت؛ لأمن اللبس، بوجود الألف؛ التي دلت على أنه مندوب، لا منادى¹.

ونلاحظ على الأفعال التي ذكرها تمام حسان أنها جميعاً خرجها النحاة على البناء، لذلك لم يحتاجوا إلى عبارة المناسبة؛ لأن عبارة المناسبة إنما جاء بها النحاة تبريراً لإشكال نحوي، فالمضاف إلى ياء المتكلم إذا وقع خبراً مثلاً كان الواجب أن

¹أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ص:48).

يرفع، ولا سبيل إلى القول بأن هذا الموضع موضع بناء على الكسر؛ لذلك اضطر النحاة إلى القول بمناسبة الكسر للياء؛ لأنها خالفت الحركة المتوقعة والواجبة الاتباع حسب القاعدة، أما في الأمثلة التي ذكرها تمام حسان للأفعال فما هي الحركة التي تفرضها القاعدة والتي جاءت هذه الحركة بدلاً عنها؟ وبهذا يأخذ مفهوم المناسبة خصوصية في الاستخدام، فالمناسبة لا تستخدم إلا في موضع يقتضي حركة أو حرف جاء في السياق بديلاً عنه، وعلى هذا يمكن قبول "جر ضبٍ خربٍ" والإتباع على اللفظ ضمن المناسبة مما ذكره تمام حسان؛ لأن القواعد تقتضي حركات غير ما جاء في السياق.

6-3-4- الإعلال والإبدال:

الإعلال "تغيير حرف العلة للتخفيف، ويجمعه القلب والحذف والإسكان، وحروفه الألف والواو والياء، ولا يكون الألف أصلاً في متمكن ولا في فعل، ولكن عن واو أو ياء"¹.

والإبدال "إزالة حرف، ووضع آخر مكانه، فهو يُشبه الإعلال من حيث أنّ كلاً منهما تغيير في الموضع إلا أنّ الإعلال خاصٌ بأحرف العلة، فيقلب أحدها إلى الآخر، وأما الإبدال، فيكون في الحروف الصحيحة، بجعل أحدهما مكان الآخر، وفي الأحرف العلية، بجعل مكان حرف العلة حرفاً صحيحاً"².

ثم يتحدث "تمام حسان" عن الإعلال والإبدال باعتبارهما ظاهرتين سياقيتين بقوله: "قد يبدو للقارئ من أول وهلة أن هذا العنوان "الإبدال والإعلال" يحمل في طيه زعمًا بأن العرب كانوا ينطقون شيئاً ثم أبدلوا به شيئاً آخر أو أعلوه. وهذا الظن أبعد ما يكون عن الصواب، فالتقابل هنا ليس بين مستعملٍ قديم متروكٍ ومستعملٍ جديد

¹ الشافية في علمي التصريف والخط، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: 646هـ)، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، ط2010، م1، مكتبة الآداب - القاهرة، (ص:88).

² جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلابي (المتوفى: 1364هـ)، ط28، (1414 هـ - 1993 م)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت (ص:120).

منطوق، وإنما التقابل كما ذكرنا من قبل هو بين ما يقرره النظام وما يتطلبه السياق، أي: بين القواعد الصوتية وبين الظواهر الموقعية¹.

وليس صحيحاً ما يذهب إليه تمام حسان من نفي الأصل كما في قول النحاة أن الأصل في "مصون" "مصوون" أن العرب عدلت عنه، أول أن ما ذهب إليه النحاة يوافق طبيعة اللغة، فاللغة متغيرة، وهي في كثير من الأحيان تنجح إلى التسهيل، ثمة ظواهر سجل النحاة فيها الانتقال من أصل إلى فرع بداعي التسهيل كالهمز وعدمه، فقد عرف عن تميم أنهم يهمزون بينما قريش لا تهمز، وهذا معناه أن قريش تركت الهمز للتسهيل، فقالوا في "بئر" "بير". وهل ينكر تمام حسان حذف التاء من المضارع المبدوء بالتاء كما في قوله تعالى: "فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى"² أي تتلظى، أو ليست التاء كانت موجودة ثم حذفت؟ ثم إنه يمكن اتخاذ اللهجات الحديثة دليلاً على وجود الأصول، فقد استخدمت بعض اللهجات العربية الحديثة صيغة "مصوون" بدلاً عن "مصون"، وفي هذا يقول إبراهيم أنيس: "وقد يصعب علينا إدراك تطور المعاني في اللهجات القديمة، لبعد العهد بيننا وبين الزمن الذي تم فيه هذا التطور، ولجهلنا التام بتاريخ الكلمات العربية قبل الإسلام، ولكننا حين نتتبع معاني كثير من الكلمات العربية الأصل، ونقارنها بما صارت إليه في لهجة كلامنا نستطيع بسهولة أن ندرك كيف يمكن أن يتطور معنى الكلمة ويتغير"³، ومع إيماننا بأن اللغة لها منطقتها الخاص إلا أن ادعاء النحاة لوجود أصل يبقى كلاماً منطقياً تدل عليه اطراد القواعد وثبوت التغير في اللغة.

ويرى تمام حسان أن الإبدال في اللغة العربية يتخذ الصور الآتية⁴:

أ- إبدال الصحيح بالصحيح: كإبدال الطاء من تاء الافتعال إذا كانت فاءه حرفاً مطبقاً وهو الصاد والضاد والطاء والظاء، وكإبدال الدال بهذه التاء إذا كانت

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 275).

² سورة الليل، (الآية: 14).

³ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ط3، 1965م مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (ص: 204).

⁴ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 275).

فاء الكلمة دالاً أو ذالاً أو زايًا؛ فمثال الأربعة الأوائل: اصطرِب واضطر واطلع واطظلم، ومثال الثلاثة الأخيرة: اذَّان واذَّكر وازداد.

ب- إبدال الصحيح باللين: وذلك كإبدال الهمزة بالواو والياء في كساء وقائل وصحائف وقوائل، وإبدال الهمزة أيضًا بأولى الواوين في أول الكلمة مثل: أوائل وأواق وأواصل والأولى، ومن ذلك أيضًا إبدال التاء بالواو إذا كانت الواو فاءً للافتعال نحو: اتَّكل.

ج- إبدال المد بالصحيح: كجعل ثنائية الهمزتين حين تكون ساكنة في الكلمة نفسها مد لحركة أولها نحو: آثر وايتمن.

د- إبدال اللين باللين: كجعل الواو ياء في رضيّ وحديّة وعبادة وديار وحياض وأعطيت ولي ونَيْمٍ وعصيّ، وكجعل الياء واوًا في موسر وقضو ومرموة ورموان وخورى وتقوى وحُزوى.

هـ- إبدال اللين بالمد: كجعل الألف ياء في غزِيل.

و- إبدال المد بالمد: كجعل الألف ياء مد في دنانير ومصابيح، وجعلها واوًا ممدودة في بويج وقوتل.

ويحلو للنحاة أن يسموا الصور أ، ب، ح، صو "إزالة"، والصور د، هـ، و، صو "إحالة"¹.

ثم يتحدث تمام حسان عن الإعلال بقوله: "نحن نعلم أن الحرف اللين إذا تحرّك فقد يصحح كما في أقوال وبيان، وقد يعتل كما في قال وبان، وإذا سكن فقد يصحّح كما في قول وبيع، وقد يعتل كما في صورة وحيلة. فالاعتلال وارد على حرف اللين سواء أكان متحرّكًا أم ساكنًا، ولكن هذا الاعتلال يعرف لدى النحاة "بالإعلال"، وهو الظاهرة الموقعية التي سنحاول شرحها الآن. وموضوع الإعلال هو الحرف اللين وهو الواو والياء "دون الألف"، ويكون الإعلال في هذين الحرفين بإحدى طرائق ثلاث²:

¹ شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: 1351هـ)، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض، (ص: 122).

² اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 276-277).

أ- القلب: وملخصه أن الواو والياء إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما قُلِبَتَا أَلْفًا كما في قال وباع ونوى ورمى وغزا، ولا تقلبان إذا سكن ما بعدهما أو كانتا عَيْنًا لفعل كحور وعين، أو لفعل الذي الوصف منه على وزن أفعل نحو: عور وعين، أو افتعل الواوي كاجتوروا، أو ما آخره زيادة تختص بالأسماء كدوران، أو كانت إحداهما أول حرفين مستحقين لهذا القلب نحو: حَيَوَان.

ب- النقل: فإذا كانت الواو أو الياء عَيْنًا للفعل أو الاسم الجاري مجرى المضارع مسبوقة بساكن صحيح نقلت حركتها إلى الساكن الصحيح قبلها نحو: يقوم ويبيع ومقول ومبيع، إِلَّا إذا كان الفعل تعجبًا أو مضَعَّف اللام نحو: ما أَقْوَلَهُ وَيَبْيِضُّ، فإذا أعلت عين المصدر هذا الإعلال بالنقل نقلت حركتها إلى الفاء وقلبت الواو أو الياء أَلْفًا نحو: استقامة وإقامة، وحذفت من المصدر إحدى الألفين لالتقاء الساكنين فيكون هذا النوع من المصادر مجالًا للقلب والنقل والحذف جميعًا.

ج- الحذف: تحذف الواو والياء عند التقاء الساكنين كما في "قاصٍ" و"غازٍ"، والاستثقال ونقل الحركة أو حذفها هو الذي يؤدي إلى التقاء الساكنين، وتكون الواو أو الياء أول هذين الساكنين فتحذفان في هذا الموقع، بعكس ما يحدث في الحروف الصحيحة التي إذا التقى ساكنان منها حُرِّكَ أولهما بالكسر كما شرحنا ذلك في حينه فلا يحذف الصحيح في هذه الحالة، ولا يدخل حذفه حين يحدث بحسب القواعد الأخرى في نطاق ظاهرة الإعلال، وإنما يعالج تحت عنوان ظاهرة حذف الصحيح.

ومما يتصل كذلك بموقعه الإعلال "بالحذف" حذف فاء الثلاثي في المضارع المفتوح حرف المضارعة نحو: يعد، والأمر نحو: عد، والمصدر المكسور الفاء الساكن العين نحو: عدة، وكذلك حذف الهمزة من المضارع واسم الفاعل واسم المفعول مما عدى بالهمزة نحو: يكرم، فهو: مكرم ومكرم.

ونلاحظ أن اللهجات العامية الحديثة قد عادت إلى الأصل في نحو "وعد- يعد" فقد صارت "يُعد" والأمر منها "أُعد" بدلاً عن "عد"، وهذا يدعم فكرة الأصل التي أنكرها تمام حسان؛ لأن اختيار العاميات لهذه الصيغ لم يأت من فراغ.

وعموماً فإن الإعلال والإبدال هما من مقتضيات سياق الاستخدام، والذي فرض صيغاً على حساب صيغاً أخرى لأهداف وغايات متعددة كالنقل والكراهة وغير ذلك.

6-3-5- التوصل:

ويشرح "تمام حسان" مفهوم التوصل بقوله: "إن نظام اللغة العربية يأذن لبعض الكلمات أن يبدأ بالساكن من الناحية النظرية، ومن ذلك أداة التعريف التي يروى فيها ابن مالك أن "أل حرف تعريف أو اللام فقط"¹ فتكون اللام فقط هي أداة التعريف يجعلها ساكنة في بداية الكلمة المعرفة، ومن ذلك أمر الثلاثي كاضرب، وأمر الخماسي كانطلق، وأمر السداسي كاستخرج، ومصادر الخماسي والسداسي كانطلق واستخرج، وغير ذلك من الكلمات المحفوظة، ولقد اصطلح الإملائيون على أن يضعوا قبل الحرف الساكن الذي تبدأ به هذه الكلمات ألفاً² لا صلة لها بتركيب الكلمة نظرياً، ولا ينطقها عملياً، ولا معنى لها إلا الدلالة على الموقع المعين الذي كتبت لتدل عليه مثلها في ذلك مثل: الألف التي تكتب أمام واو الجماعة في نحو: "ضربوا" و"قاموا" و"قعدوا"، فالألفان ليستا من بنية الكلمة، والألفان لا تتطقان، ولكن إحداهما تتقدم الساكن الذي بدأت به الكلمة لتدل عليه، وثانيتها تتلو الواو التي أسند إليها الفعل لتدل عليها، وعلى أنها واو الجماعة، وليست واو الجمع التي حذف النون بعدها للإضافة، ويظهر ذلك من موازنة: "ضاربوا زيداً" و"ضاربو زيد"³.

ولعل ما يدعم الرأي القائل بأن أداة التعريف في العربية هي اللام أن أداة التعريف في بعض اللغات السامية هي صوت واحد، "ففي اللهجة السبئية يعبر عن أداة التعريف بزيادة النون في آخر الاسم، وفي الأرامية يعبر عن أداة التعريف بزيادة (آ) في آخر الاسم"⁴.

¹ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجباني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، دار التعاون، (ص:16).

²يقصد همزة الوصل، وسميت بذلك لوصول المتكلم بها إلى النطق بالساكن، واعترض عليهم بأنه كان من اللائق حينئذ أن تسمى همزة الوصل أو التوصل، لا الوصل. (دراسات في علم اللغة، كمال بشر، ص:104).

³اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:277).

⁴الأدب السامية، محمد عطية الأبرشي، ط1، (1365هـ-1946م)، دار إحياء الكتب العربية، (ص:17).

فنظام اللغة "يسمح إداً بالبءء بالساكن، ولكن السياق الاستعمالي "أي الكلامي" يكره توالي الصمت والسكون: الصمت الذي سبق الكلام مباشرة، والسكون الذي اتصف به الحرف الساكن الذي بدأت به الكلمة فحين توالي -وكلاهما "سكون"- أصبعا في نظر الذوق العربي أشبه ما يكونان بالقاء الساكنين الذي ترى مطالب الاستعمال أنه ينبغي التخلص منه. ومن هنا جاءت اللغة بقاعدة فرعية لهذا الموقع فقالت: "إنه لا يجوز الابتداء بالساكن"، والمقصود هنا في الاستعمال، أما في نظام اللغة فهو موجود فعلاً، والكلمات في نظام اللغة تبدأ بالساكن"¹.

وإذا سلمنا مع تمام حسان بأن نظام اللغة سمح بالابتداء بالساكن، فإن السياق قد رفض ذلك لصعوبة الانتقال من سكون إلى سكون، وهذه حقيقة، أنه لا يمكن الانتقال من سكون الصمت إلى نطق الحرف الساكن، ولهذا لا بد من حركة، هذه الحركة هي الهمزة، وعلى هذا يكون الابتداء بالساكن عملياً غير ممكن؛ ولهذا تصبح القضية مسألة رسم كتابي فقط، فاللغات التي لا تسمح بالابتداء بالساكن -كما هو الحال في العربية الفصحى- تلزم إملاءها بكتابة همزة قبل الحرف الساكن (همزة الوصل) أما اللغات التي تسمح بالابتداء بالساكن فهي لا تلزم إملاءها بكتابة همزة قبل الحرف الساكن حيث تضمن هذه الهمزة في الحرف الساكن.

ومعنى هذا أن بعض الكلمات يبدأ بحرف ساكن، وأنه ينبغي للمتكلّم أن يتحاشى النطق بالكلمة على الصورة التي قرّرها لها نظام اللغة، وعلى المتكلّم في هذه الحالة أن يتوصّل إلى النطق بهذا الساكن الذي بدأت به الكلمة بواسطة وسيلة صوتية طارئة ليست من بنية الكلمة، وقد جاءت همزة الوصل في الكلام لتكون وسيلة هذا التوصّل إلى النطق بالساكن، فمثلها في النطق وعدم حسابها في البنية مثل الألف في الكتابة وعدم حسابها في البنية أيضاً. والمعنى الذي نأخذه من هذا الشرح هو أن الزوائد في "استفعل" هي السين والتاء فقط، وليست الألف إلا وسيلة إملائية، كما أن الهمزة المكسورة في النطق وسيلة نطقية في بداية الصيغة، ويترتب على ذلك أن تكون الزيادة في "انفعل" هي النون الساكنة فقط"².

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 277-278).

² المرجع نفسه، (ص: 278).

ويجب أن نشير هنا إلى النطق بالكلمة المبدوءة بحرف ساكن لا يمكن النطق بها وفق ما يقرر نظام اللغة، وعليه يكون كلام تمام حسان "وأنه ينبغي للمتكلم أن يتحاشى النطق بالكلمة على الصورة التي قررها لها نظام اللغة" من باب تحصيل الحاصل؛ لأنه لا يمكن النطق بها أصلاً وفق هذا النظام، وعليه يصبح ما يقرره السياق أمراً ضرورياً "فإذا وقعت إحدى الكلمات المبدوءة بالساكن حسب نظام البنية في أول الكلام قدّم المتكلم لنطقها بهمزة تسمى همزة الوصل، تنتوع حركاتها بحسب ظاهرة المناسبة كما بينته كتب الصرف، أما إذا وقعت هذه الكلمة في وسط الكلام فلن تكون هناك حاجة إلى الهمزة؛ لأن الحرف الأخير في الكلمة السابقة التي تلاها الساكن المذكور مباشرة سيقوم بتحمّل وظيفة الوصل بواسطة الحركة التي يشكل بها، فيقوم هو مقام الهمزة، وتقوم حركته مقام حركة الهمزة. فكلمة "المؤلف" حين يبدأ بها الكلام تتحمل الهمزة، ولكن الهمزة نفسها تختفي في وسط الكلام في نحو: "قال المؤلف"، ويحل لام قال وحركته محلها ومحل حركتها. ومن ذلك أيضاً أن الكلمة المعرّفة بلام التعريف إذا كانت هي نفسها مبدوءة بالساكن مثل كلمة "استقلال"، فإن لام التعريف الساكنة الداخلة على الكلمة تصبح وسيلةً للتوصّل إلى النطق بالساكن التي في بداية "استقلال"، وبذا تصبح أداة التعريف متحركة غير ساكنة، وتنتطق الكلمة على صورة "استقلال"، فمطالب السياق هنا غيرت صورة الرمز وأبقت على وظيفته، فصيرت الأداة "ل" بدل "ال"، ولكن التعريف هو الوظيفة في الحالتين. والوظيفة التي تدل عليها همزة الوصل أينما وجدت في بداية الكلام هي أنها علامة على هذه البداية -بداية النطق- وليس بداية الجملة بالضرورة، وهذه دون شك دلالة على الموقع تجعل الهمزة ذات صلة بالهيكل العام للمعنى"¹.

لكن ابتداء النطق بالساكن بوصفه إمكانية صوتية ورد عن بعض العلماء أنه "أمر ليس متعذراً أو مستحيلاً لا في الواقع أو التصور أو كليهما. كما لا نظن أن العربي في الماضي أو الحاضر يعجز جهازه النطقي عن أداء هذه الظاهرة الصوتية، وقد جاءت عبارة بعضهم بما يفيد إمكانية هذا النطق وبما يوحي بجواز وقوعه، يروي الصبان عن السيد الجرجاني والكافيجي أن النطق بالساكن في ابتداء

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:278-279).

الكلام "ممكن لكنه مُستثقل"¹. بل هناك ما هو أوضح من هذا وأصرح، حيث ورد عن بعضهم ما يشير -بالنص- إلى وقوع ذلك بالفعل في اللغة العربية. يروي الشيخ شمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز أن "الابتداء بالساكن إذا كان مصوتاً أعني حرف مد ممتنع بالاتفاق. وأما الابتداء بالساكن الصامت أعني غير حرف المد فقد جوزة قوم"².

والملاحظ على النص أن عبارته غير جازمة بإمكانية النطق بالساكن، فقد استخدم عبارات من نحو "لا نظن" و "بما يفيد" أي ليس قولاً صريحاً بل مستنتجاً من كلامهم، وحتى الكلام الذي قيل عنه صريح في هذا الموضوع والذي نسب إلى الشيخ شمس الدين أحمد فقد ختم بعبارة باهتة، وهي "جوزه قوم"، وعلى ذلك فليس في هذه النصوص أدلة صريحة على إمكانية الابتداء بالساكن؛ لأنه يكون فيه انتقال من صمت إلى صمت أو سكون، وهذا ما لا تستطيع أن تؤديه أعضاء النطق.

غير أن الدكتور كمال بشر يبني على تلك الرواية أو هذا النص حقيقة وإمكانية النطق بالساكن في العربية، ويؤيد الرأي القائل بإمكانية الابتداء بالساكن، يقول في ذلك: "وهذا الذي ذكره هذا الشيخ لا يخلو من واحد من اثنين. فهو إما تجويز من المتكلمين" أو بعضهم على حد هذه الرواية" أي: وقوعه منهم، وهذا أهم شيء في الموضوع، إذ المتكلم -في نظرنا- هو مصدر القواعد اللغوية وأساسها الأول، وإما أنه تجويز من بعض العلماء، وهو احتمال يؤدي إلى النتيجة نفسها، إذ من المفروض -بل من المحتم- أن يستتبط العلماء قواعدهم من الواقع اللغوي المنطوق بالفعل، ومعنى ذلك في الحالتين أن النطق بالساكن في ابتداء الكلام ظاهرة حقيقية وقعت في كلام الناس في فترة من تاريخ العربية، غاية الأمر أن بعض الدارسين استطاعوا بقوة ملاحظتهم ودقة حسهم أن يدركوا هذه الظاهرة الصوتية، على حين عجز آخرون عن هذا الإدراك، إما لصعوبة ذلك عليهم، أو لعيوب ترجع إلى ذوات

¹حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: 1206هـ)، ط1، (1417 هـ - 1997م)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان (ص:232).

²شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف، شمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز أو دنقوز (المتوفى: 855هـ)، ط3، (1379 هـ - 1959م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (ص:120).

أنفسهم، ولكن ذلك بالطبع لا يقدر في حقيقة الموضوع، وهي حدوث ظاهرة النطق بالساكن في ابتداء الكلام في العربية أو إحدى لهجاتها، كما تشير إلى ذلك تلك الرواية السابقة¹.

وعبارة "جوزه قوم" والتي وردت في كلام الشيخ شمس الدين والتي جعل كمال بشر أحد احتمالاتها أن هؤلاء القوم هم المتكلمون، نقول إن العبارة لا يمكن أن تشير إلى المتكلمين، لأن المتكلمين لا يجوزون بل يستخدمون، وأن مسألة الجواز وعدمه هي مسألة قواعد، والقواعد لا تنسب للمتكلمين وإنما تنسب للعلماء، أما التفسير الثاني وهو الصحيح وهو الإشارة للعلماء فإن الشيخ شمس الدين لم يسمهم ولم يذكر أدلتهم على ذلك، وهذا كله يضعف العبارة كما ذكرنا، ومن العجيب أن يجعلها كمال بشر حقيقة ويقول في ابتداء الكلام في العربية أو إحدى لهجاتها.

6-3-6- الإدغام:

الإدغام هو "أن تأتي بحرفين، ساكن فمتحرك، من مخرج واحد من غير فصل، ويكون في المثليين والمتقاربين"²، أو "هو وصلك حرفاً ساكناً بحرفٍ مثله من موضعهِ من غير حركةٍ تفصلُ بينهما ولا وقف فيصيرانِ بتداخلهما كحرفٍ واحدٍ ترفعُ اللسانَ عنهما رفعةً واحدةً ويشتدُّ الحرفُ ألا ترى أنَّ كُلَّ حرفٍ شديدٍ يقومُ في العروضِ والوزنِ مقامَ حرفينِ الأولُ منهما ساكنٌ، والإدغامُ في الكلامِ يجيءُ على نوعين: أحدهما: إدغامُ حرفٍ في حرفٍ يتكررُ والآخِرُ: إدغامُ حرفٍ في حرفٍ يقاربه"³.

يقول تمام حسان عن أثر السياق في الإدغام: "وقد يصادف النظام مشاكل في تطبيقه حين يتعارض مع مطالب السياق، فالتعارض بين قواعد النظام ومطالب السياق أمر مألوف في اللغات جميعاً، وهو مألوف في اللغة العربية أيضاً، من ذلك التقاء الدال الساكنة والتاء بعدها، فالنظام يقول: إن الدال الساكنة مجهورة، وينبغي أن تظلَّ كذلك باطراد، ولكن السياق الذي جاء بعدها بالتاء له مطالب في هذا الموقع

¹دراسات في علم اللغة، كمال بشر(ص:105).

²الشافعية في علمي التصريف والخط، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: 646هـ)، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، ط1، 2010 م مكتبة الآداب - القاهرة، (ص:95).

³الأصول في النحو، ابن السراج، (ص:405).

تتعارض مع قاعدة النظام، فالسياق هنا يتطلب الإدغام الذي يصير الدال الساكنة وبعدها التاء على صورة تاء مشددة. ولقد اهتم سيبويه بظاهرة الإدغام هذه حتى جعلها مناط دراسته للأصوات العربية كلها¹.

ويلخص تمام حسان نظرة سيبويه إلى ظاهرة الإدغام²، نوره فيما يلي مختصراً؛ لأن فيه تفصيل ليس هنا مجاله.

الإدغام في نظر سيبويه³ أنواع:

أ- الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه - كالميم بعد الميم في كلمتين متتاليتين. ومن لك أيضاً توال حروف خمسة متحركة أدغم ثالثها في رابعها، ومن أمثلتها جَعَلَ لَكَ = جَعَلَ لَكَ، وَقَعَلَ لَبِيد = وَقَعَلَ لَبِيد، والبيان أي: التحريك في ذلك عربي جيد وحجازي كما يزعم سيبويه.

ب- الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين - كالجيم بعد الشين والباء بعد النون.

يقسم الإدغام في هذا المجال إلى ثلاثة أقسام بحسب سلوك مجموعات الحروف:

- فمن الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه، كما لم يدغم من قبل في مثله "ء ا و ي" ومن ذلك: رأيت قاضي جابر، ودلو مالك، وغلامي جابر، وأخرج ياسر.

ب- ومن الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولكن يدغم فيه مقاربه "م ف ر ش"، ومن ذلك: الميم لا تدغم في الباء نحو: أكرم به، بل إن النون تصير إليها قبل الباء نحو: "العنبر" و"من بدا لك"، ولكن الباء تدغم في الميم نحو: "اصحمتراً = اصحب مطراً".

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 279).

² المرجع نفسه، (ص: 280-295).

³ الكتاب، سيبويه، (ص: 341).

ج- ومن الحروف ما يدغم في مقاربه ويدغم فيه مقاربه، ومن ذلك: العين والحاء، ويقعان من حيث التقدم والتأخر على صورتين:

ع ح = ح ح نحو: اقطَحَّمَا = اقطع حملا، والإدغام هنا حسن لأنهما من مخرج واحد، والبيان حسن كذلك.

ح ح = ح ح نحو: امدح حرفة = امدح عرفة، ولكن البيان أحسن.

ج- الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا -كالدال بعد الطاء، والثاء بعد

التاء، والضاد بعد التاء و...، ومن ذلك: الدال وما يسبقها، نحو:

ظ ز = ذ ذ نحو: احفظ ذلك، والإدغام أكثر وأجود.

ث ذ = ذ ذ نحو: ابعث ذلك، والإدغام أكثر وأجود.

د ذ = ذ ذ نحو: أبعد ذلك.

د- الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه أو من غير موضعه كالدال بعد

الصاد أو الشين أو الجيم، و"هذا النوع حسب عبارة سيبويه "الحرف الذي

يضارع به حرف من موضعه. والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس

من موضعه"، وملخص ذلك أن الصاد والشين والجيم إذا تلتها الدال ألحق بها

نوع من الإدغام يتناول الصفة ولا يتناول المخرج؛ لأن المخرج في كل

الأحوال مقارب ولا يتغير، فالصاد والشين يلحقهما الجهر والجيم تلحقها

الرخاوة إذا جاءت الدال بعدهن، مثال ذلك:

مصدر مزد "بتفخيم الزاي".

أشدق أجدق.

وقد يضارعون بالصاد الساكنة قبل الدال صادات متحركة لا تتبعها الدال كما

في "مصادر مزادر" و"صراط زراط".

ه- قلب السين صادًا في بعض اللغات لوجود القاف أو الغين أو الخاء بعدها في

كلمة واحدة:

وذلك نحو: صبقت وصبقت والصلق وصالخ وصلخ، وذلك كما قالوا في ساطع

صاطع لقرب المخرجين والإطباق".

و الشاذّ الذي خَفَّفوه على ألسنتهم وليس بمطَّرد. وذلك نحو: ستٌ = سدس, وكأنه مر بمرحلة كان فيها سِدَّتٌ, وعند تميم وَدٌ = وتد".

ومن خلال هذا العرض يتضح لنا أن الإدغام مطلب من مطالب السياق، وأن السياق يتدخل ليغير من مسار النظام بما يتوافق والذوق النطقي العربي، ولهذا عدّه تمام حسان من الظواهر السياقية التي لا تنتمي إلى النظام بقدر ما تنتمي إلى السياق.

6-3-7- التلخص:

ويشرح "تمام حسان" مفهوم التلخص بقوله: "يقف السكون وحده في النظام الصوتي للغة العربية في مقابل الحركة أيًا كانت هذه الحركة فتحة أو كسرة أو ضمة فيكون بينهما قيمة خلافية، فالنظام الصوتي يشتمل على السكون بهذا الوصف. وهو يشتمل على السكون أيضًا في القواعد الصوتية الخاصة نحو: "ليس في اللغة ابتداء النطق بالسكان" و"ليس في اللغة التقاء الساكنين" و"من قواعد اللغة الوقف بالسكون" وهلمّ جرا... ولكن السياق ديناميكي متحرك، ويأتي عن حركته أن تكون له بعض المطالب، فقد تكون الكلمة السابقة مبنية على السكون والكلمة اللاحقة مبدوءة بحرف ساكن كما في قولك: "عرض اقتراحك" فالكلمة الثانية تبدأ بحرف ساكن هو القاف، وليست الألف التي قبلها إلا علامة إملائية على الوصل ولا تنطق الألف هنا، وإنما ينتقل المتكلم من الضاد إلى القاف بواسطة كسرة التلخص، وقد تكون الكلمة السابقة مجزومة بالسكون واللاحقة مبدوءة بالسكان نحو: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا} أو "لم يطل انتظاري"، فيتطلب السياق في هذه الحالة شيئًا غير الذي قدره النظام؛ لأن النظام قرر السكون، ولكن السياق قرّر التلخص من هذا السكون، وعمدت اللغة إلى أن تجعل من مطلب السياق قاعدة فرعية خاصة أو نظامًا فرعيًا ضيقًا يسمّى التلخص من التقاء الساكنين"¹.

وقضية التلخص لا تختلف في شيء عن الابتداء بالسكان، ففي كليهما وجود سكون متتالٍ، في حالة الابتداء يكون الساكنان في بداية الكلمة. أما في حالة التلخص فيكون الساكنان في وسط الكلمة، وقضية التلخص من التقاء الساكنين تدعم

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:296).

ما ذهبنا إليه من عدم إمكانية الابتداء بالساكن؛ لأن التقاء الساكنين في وسط الكلمة أخف في النطق من التقائهما في بداية الكلمة، فإذا كان السياق قد فرض التخلص من التقاء الساكنين في الوسط فما ذاك إلا لعدم إمكانية نطقهما معاً؛ ولهذا أوجبوا التخلص من التقاء الساكنين بعدة وسائل .

ومن وسائل التخلص من التقاء الساكنين ما ذكره ابن الحاجب في قوله: "الأصل في التخلص من التقاء الساكنين "الكسر، فإن خولف فلعارض، كجوب الضمّ في ميم الجمع و (مذ)، وكاختيار الفتح في "الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾"¹، وكجواز الضمّ إذا كان بعد الثاني منهما ضمّة أصلية في كلمته، نحو "وَقَالَتِ الْخُرُجُ"² و (قالت اغزي)، بخلاف "إِنَامُرُو"³، و (قالت ارموا) و "إِنَّ الْحُكْمُ"⁴، واختياره في نحو (اخشوا القوم) عكس "لَوَاسْتَطَعْنَا"⁵6.

وقد ورد في المفصل أن: "التنوين ساكن أبداً إلا أن يلاقي ساكناً فيكسر أو يضم كقوله تعالى: "وعذابنا ركض"⁷ وقد قرئ بالضم"⁸.

ويحذف الساكن الأول لفظاً لا خطأً إن كانا في كلمتين، وكان الأول مدة، نحو يغزو الجيش، ويرمي الرجل"⁹.

6-3-8- الحذف:

ويشرح "تمام حسان" مفهوم الحذف كأحد الظواهر السياقية بقوله: "لا ينبغي لنا أن نفهم الحذف على معنى أن عنصراً كان موجوداً في الكلام ثم حذف بعد

¹ سورة آل عمران، (الآية: 1-2).

² سورة يوسف، (الآية: 31).

³ سورة النساء، (الآية: 176).

⁴ سورة الأنعام، (الآية: 57). سورة يوسف، (الآية: 40).

⁵ سورة التوبة، (الآية: 42).

⁶ الشافية في علمي التصريف والخط، ابن الحاجب، (ص: 78).

⁷ هذا هو النص نطقاً، وأصله "واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسنى الشيطان بنصبٍ وعذابٍ، ازكض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب"، (الآية: 41-42).

⁸ المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، ط1، 1993م، مكتبة الهلال - بيروت، (ص: 456).

⁹ شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، (ص: 147).

وجوده، ولكن المعنى الذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون هو الفارق بين مقررات النظام اللغوي وبين مطالب السياق الكلامي الاستعمالي، فنظام اللغة مثلاً يقرر أن المضارع المرفوع المسند إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة ينتهي بنون تسمى نون الرفع، ويقرر كذلك أن توكيد المضارع يجري بنون مشددة مركبة من عنصرين أولهما نون ساكنة وثانيهما نون متحركة، ولو أنّ المضارع المسند إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة أكد بالنون الثقيلة لكان معنى ذلك أن النظام اللغوي قضى بتوالي ثلاث نونات: نون الرفع ثم "نون ساكنة × نون متحركة = نون مشددة"، وهذا مما يصطدم بالذوق العربي الذي يكره توالي الأمثال، ومن هنا يتدخل هذا الذوق الاستعمالي بحذف نون الرفع وترك نونين إحداهما ساكنة والأخرى متحركة تبدوان معاً في صورة وحدة صوتية واحدة مشددة. ويعمد الاستعمال إلى اتخاذ هذا الإجراء إجراء مطرداً يحدث كلما حدث الموقع الذي يتطلبه، ومن هنا يكون قاعدة فرعية أو نظاماً فرعياً بالنسبة للنظام اللغوي العام¹.

وعلى الرغم من أنه لا يوجد شاهد قديم أو حديث يدعم قاعدة النظام يمكن أن يقال على ضوءه أنه بالفعل كان ذلك مستخدماً ثم عدل عنه إلا أن إمكانية النطق متوفرة لهذا النموذج، فيمكننا نطق عبارة "يضربانن" بثلاث نونات، ولهذا يصبح القول في الحالتين سواء: قول النحاة وقول تمام حسان.

والنموذج الآخر الذي يذكره تمام حسان للحذف هو نموذج تاء التفاعل وتاء المضارع، وهذه قد ذكرناها سابقاً، والاصل فيها واضح، وهي مستخدمة في الكلام الحالي، يقول تمام حسان: "ومن أمثلة ذلك أيضاً أن نظام اللغة يقرر أن التاء حرف من حروف المضارعة، وأن التفاعل يبدأ بتاء زائدة هي تاء التفاعل، ومعنى ذلك أن التفاعل إذا جاء على صورة المضارع المبدوء بالتاء فقد توالى في الفعل تاءان ملحقتان بأوله؛ هما تاء المضارعة وتاء التفاعل، وعندئذ تظهر مطالب الاستعمال التي يكره توالي الأمثال، فتجعل حذف التاء الثانية خير الصياغتين نحو قوله تعالى: {وَلَا تَتَّابِرُوا بِالأَلْقَابِ} وقول الحديث "لا تتازعوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ... وكونوا عباد الله إخواناً" فحذف تاء التفاعل هنا أفضل من الإبقاء عليها. ولكن قد يحدث

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:298).

أيضاً أن تكون فاء الكلمة في هذا المضارع تاء، وعندئذ تتوالى ثلاث تاءات، فيكره الذوق الاستعمالي توالي هذه التاءات الثلاثة، ويصبح حذف تاء التفاعل أمراً أكثر تفضيلاً وذلك نحو: "ولا تتابعوا في الشر"¹.

ويمكن أن يضاف إلى الحذف ما أورده ابن مالك في النسب إلى عليّ، يقول ابن مالك: "والأصل عَلِيّ، فاستثقل فيه ما استثقل في الأول ولم تكن الأوليان زائدتين فاقصر على حذف الزائد، فبقي عَلِيّ ثُمَّ كمل التخفيف بإبدال الكسرة فتحةً، والياء واواً؛ فراراً من توالي الأمثال"².

ففي هذه الأمثلة يقتضي السياق الحذف بغرض التخفيف، وفراراً من الثقل في النطق، فيخالف السياق بذلك مطالب النظام، ويقتضي نظاماً فرعياً، غير أن هذه النماذج في معظمها كان التحول فيها عن أصل مستخدم عدل عنه.

6-3-9- الإسكان:

ثم يتحدث "تمام حسان" عن الإسكان كأحد الظواهر السياقية بقوله: "مرة أخرى ليس الإسكان تغييراً يطرأ على الاستعمال، بمعنى أن تستعمل العرب شيئاً متحركاً ثم تعدل عن الحركة إلى الإسكان، ولكن المقصود بالإسكان هنا: هو فرق ما بين مقررات النظام اللغوي ومطالب السياق الاستعمالي، فالنظام اللغوي يقرر أن الفعل الماضي يُبنى على الفتح، وقد أخذ النظام ذلك من الماضي المسند إلى المفرد الغائب الذي اعتبره النحاة صورة قياسية تعتبر نقطة بداية أو أصلاً للنظر إلى كل ما يدل على الفعل الماضي من صيغ تصريف الفعل. ومن الضمائر التي يسند الماضي ضمائر متصلة متحركة أو مبدوءة بحركة، فإذا علمنا أن الصيغة القياسية "فعل" تشتمل على حركات ثلاث، وأن الضمير الذي يسند إليه الفعل الماضي قد يكون متحركاً، عرفنا أننا أمام صورة من الصور التي قررها نظام اللغة مما تتوالى فيه أربعة حروف متحركة، وهذه مشكلة من مشاكل التطبيق على نظام اللغة، من هنا

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:298).

² إيجاز التعريف في علم التصريف، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، ط1، (1422هـ/ 2002م)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (ص:137).

يلجأ الذوق الاستعمالي العربي إلى إسكان لام الفعل التي عليها علامة البناء, فيصبح الفعل مبنياً على السكون بعد أن كان مبنياً على الفتح. يفعل الذوق الاستعمالي ذلك لأنه يكره توالي أربعة متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة, وهذا الإسكان ملحوظ في الإسنادات الآتية¹:

- أ- إسناد الماضي إلى تاء المتكلم نحو: ضربتُ.
- ب- إسناد الماضي إلى "نا" المتكلمين نحو: ضربنا.
- ج- إسناد الماضي إلى تاء المخاطب نحو: ضربتَ.
- د- إسناد الماضي إلى تاء المخاطبة نحو: ضربتِ.
- هـ- إسناد الماضي إلى ضمير المخاطبين نحو: ضربتما.
- و- إسناد الماضي إلى ضمير المخاطبين نحو: ضربتم.
- ز- إسناد الماضي إلى ضمير المخاطبات نحو: ضربتُنَّ.
- ح- إسناد الماضي إلى ضمير الغائبات نحو: ضربن.

ويردد تمام حسان أن هذه الصيغ من مقتضيات السياق والنظام، وأنها لم تكن على أصل ثم تحولت حيث يقول: "كل صيغة من هذه أوجدها الاستعمال كذلك منذ البداية, فلم تكن الصيغة مفتوحة اللام على الألسنة ثم سكنت لأمرها, بل الصيغ المفتوحة اللام موجودة أيضاً ويمكن رؤيتها نحو: ضرب، ضربت، ضرباً، ضربتاً؛ فالنظام يقرر أن الفتح للجميع, والاستعمال يوزع الصيغ بين الفتح والإسكان بحسب كراهية توالي المتحركات"².

والحقيقة أن القضية كلها محض افتراض، فما يكون من مقتضيات النظام أصلاً الفتح في حالات والسكون في حالات أخرى، آخذين في الحسبان أن تمام حسان يرفض اعتبار الزمن في الفعل الماضي على صيغة "فَعَلَ" في حالتها الصرفية، ثم يأتي هنا ويجعلها قياساً في الإسناد، يضاف إلى ذلك أن علة توالي المتحركات غير كافية، وهي محض افتراض، فقد جاء في همع الهوامع أن: "هذه

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:299-300).

²المرجع نفسه، (ص:300).

العلّة (توالي أربعة متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة) قَاصِرَةٌ إِذْ لَا يُوجَدُ التَّوَالِي إِلاَّ فِي الثَّلَاثِي الصَّحِيحِ وَبَعْضِ الْخَمَاسِي نَحْوِ انْطَلَقَ، وَالْكَثِيرَ لَا يَتَّوَالِي فِيهِ فَمِرَاعَاتِهِ أُولَى¹.

6-3-10- الكمية:

يشرح "تمام حسان مفهوم الكمية بقوله: "المقصود بالكمية اعتبار القيمتين الخلافتين اللتين تسميان "الطول والقصر"؛ فالطول في الحروف الصحيحة تشديد، والقصر أفراد، والطول في حروف العلة مد، والقصر حركة، وليس يخفى ما للكمية من صلة في التفريق بين الصيغة والصيغة، وبين الكلمة والكلمة، فالفرق بين فَعَلَ وفَعَّلَ فرق في الأفراد والتشديد، والفرق بين فَعَلَ وفَاعَلَ فرق في الحركة والمد، والفرق بين لم ولام فرق في الحركة والمد أيضاً، وبذلك تكون الكمية عظيمة الأهمية في مجال القيم الخلافية في اللغة، ومن ثمَّ تكون ذات صلة عظيمة بالمعنى، أو على الأصح بالجانب السلبي العدمي من هذا المعنى، أي: إن الجزء السلبي من معنى "لم" أنها ليست "لام"، ولا غيرها مما يستبدل بها في التركيب من اللام والحركة أو المد، والميم. وأما الجزء الإيجابي من معناها فهو وظيفتها التي تؤديها في إطار اللغة من كونها للنفي والمعاني الأخرى².

ويمثل للكمية بقوله: "مما يتصل بالكمية ما يلاحظ في الكلمات المنتهية بألف أو واو أو ياء، وتتلوها كلمات مبدوءة بالساكن على نحو ما سبق في ظاهرة التوصل، وذلك نحو: "الفتى العربي" و"القاضي الفاضل" و"يدعو الله" فالألف في المثال الأول تفقد كميتها وتصبح من ناحية المدة في طول الفتحة، والياء في المثال الثاني تفقد الكمية وتصبح في طول الكسرة، والواو في المثال الثالث تفقد طولها وتصبح في مقدار الضمة"³.

¹ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر، (ص:226).

² اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:300-301).

³ المرجع نفسه، (ص:301).

والذي يبدو لي أن الجزء الثاني من هذه الظاهرة (القصر) قريب إلى ظاهرة الحذف لكن الفرق بين الحذف والكمية هو أن الحذف -كما قال تمام حسان- هو الفارق بين مقررات النظام اللغوي وبين مطالب السياق الكلامي الاستعمالي، أي أن المحذوف لم يكن موجوداً ثم حذف بعد وجوده وإنما ورد هكذا محذوفاً في السياق، أما الكمية يستفاد منها في مجال القيم الخلافية في اللغة، فالكلمتان مستخدمتان في اللغة كل في سياقها، وكون الكلمة في صورة معينة يعني هذا أنها ليست غيرها من الكلمات التي يمكن أن تستبدل بها في التركيب.

6-3-11- الإشباع والإضعاف:

وحول مفهوم الإشباع والإضعاف يقول تمام حسان: "أقصد بالإشباع تقوية النطق بالصوت وعكسه الإضعاف، وهما يرتبطان بالموقع في السياق... وربما كانت ظاهرة الإشباع والإضعاف هي التفسير المقبول الوحيد لعدد من الظواهر المفردة المبعثرة في العربية الفصحى وجمعاً لها تحت عنوان واحد وفي إطار ظاهرة واحدة، ومن ذلك ما يأتي¹:

أ- يمكن أن نرجع تقسيم الضمائر بين الاتصال والانفصال إلى هذه الظاهرة، فالضمير المنفصل مشبع والضمير المتصل مضعف.

ب- ويمكن في حدود الضمائر المنفصلة فقط أن نلاحظ أن الضمير الواحد المنفصل ربما كان له نطقان: نطق مشبع ونطق مضعف بحسب موقعة من الكلام كما يبدو مما يلي:

الإضعاف	الإشباع
وَهُوَ	وَهُوَ
فَهُوَ	فَهُوَ
لَهُوَ	لَهُوَ
أَهُوَ	أَهُوَ
أل - اللذُّ	الذي

¹ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص: 302-303).

هذا	ذا
هذه	هذى ذي
هؤلاء	أولاء
إياك	ك

1-ربما كان للاختلاف في صور بعض الظروف والأدوات تفسير في ضوء هذه الظاهرة كما يلي¹:

منذ	مذ
لدى	لدى لد
لكي	كي
من	م
على	ع
ما	م
"الاستفهامية"	
لعل	عل
لكنَّ وإن	لكنْ وإن
وأن الثقيلتان	وأن المخففتان

2-وكذلك نلاحظ هذه الظاهرة في المقابلات الآتية²:

ربي	رب
سوف	س، سف، سو
يشفيني	يشفين

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:303).

²المرجع نفسه،(ص:304).

هم	همو
كتابكم	كتابكمو
كتابي	كتابي كتابيه
لم يك	لم يكن
فَحَذ	فَحِذ
يأمركم	يأمركم
"بالاختلاس"	"بالتحريك"

ويختم حديثه عن ظاهرة الإشباع والإضعاف بقوله "إن ضم هذه الظواهر المبعثرة في العربية الفصحى تحت عنوان واحد ليجعلها أسهل فهمًا وأوغل في طرق النمطية اللغوية"¹.

قد يبدو اقتراح تمام حسان مقبولاً أن نجمع هذه الظواهر المبعثرة تحت عنوان واحد، ولكن يبقى سؤال: هل السياق هو ما اقتضى الإشباع حيناً والإضعاف حيناً آخر؟ إذا كانت الإجابة بنعم، فما هي مبررات اقتضاء السياق لذلك؟ وقد لاحظنا أن جميع ما ذكر سابقاً كان هناك مبررٌ لمخالفة السياق مقتضى النظام، فالذي يبدو لي أن هذه المسألة لا تمت إلى السياق بصلة، وإنما هي ناتجة عن عوامل أخرى، كاختلاف لهجات العرب وما إلى ذلك، فمن العرب من يقول: "فهو" بالتحريك، ومنهم من يقول: "فهو" بالتسكين، تدل على ذلك القراءات القرآنية والتي تفرعت لتوافق اختلاف نطق الأعراب.

6-3-12- النبر:

يتناول "تمام حسان" النبر هنا كأحد الظواهر السياقية، ومن ذلك قوله: "يصادف نظام النبر بعض المشكلات في التطبيق، وتأتي حلول هذه المشكلات في صورة حل صوتي للمشكلة هو اختلاف في البنية المقطعية بين ما قررته القاعدة،

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:304).

وما تطلبه سياق الكلام، وهنا فقط يعتبر النبر ظاهرة سياقية، ومن أمثلة هذه الحلول لمشكلات تطبيق النبر عندما ورد في الكلام عن ظاهرة "التوصل" أن الكلمة المبدوءة بالساكن إذا وقعت في بداية الكلام توصل المتكلم إلى الساكن الذي في أولها بواسطة همزة الوصل، وفي هذه الحالة تتغير بنية المقطع الأقصر وهو الحرف الساكن الذي بدأت به الكلمة وكان على صورة "ص"، وتصبح مقطعاً متوسطاً مقفلاً على صورة "ص ح ص"، فالصاد الأولى هي همزة الوصل، والحاء حركتها، والصاد الثانية هي الساكن الذي توصلنا إلى النطق به والذي كان بمفرده مقطعاً مستقلاً بحسب القاعدة التي في نظام اللغة. والمقطع على صورته الأخيرة "ص ح ص" مقطع كلامي لا لغوي، فإذا جاءت الكلمة وسطاً في الكلام تطلبت حلاً من طراز آخر، فإذا كان لدينا كلمة "المؤلف" فإنها تبدأ بالهمزة في بداية الكلام في نحو قولك: "المؤلف يقول"، وهنا يكون أول مقطع كلامي منها مكوناً من الهمزة والحركة واللام "ص ح ص"، ولكن هذه الكلمة في وسط الكلام تختلف عن ذلك. فإذا نظرنا إلى الفعل الماضي "قال" مبنياً على الفتح وجدناه مكوناً من مقطعين أحدهما "قا" وهو يساوي "ص م" والثاني "ل" وهو يساوي "ص ح"، فإذا وضعنا كلمتي: "قال" و"المؤلف" معاً تغيرت البنية المقطعية في كلٍ منهما بحسب مطالب السياق، ويصبح التركيب المقطعي الكلامي مخالفاً للتركيب المقطعي اللغوي الذي شرحناه، وتكون الصورة الكلامية للمقاطع في الكلمتين هي:

قا+ لل + م + وُل + لف

والمقطع الثاني هنا هو موضع الظاهرة الموقعية حيث امتد المقطع الكلامي من نهاية كلمة سابقة إلى بداية كلمة لاحقة وحلَّ محل مقطعين من مقاطع نظام اللغة هما ل، ل، أي: المقطع الأخير من "قال" والأول من "المؤلف"¹.

إن السبب في اختلاف بنية المقطع راجع إلى حذف همزة الوصل في وسط الكلام؛ لأن همزة الوصل غايتها التوصل للنطق بالساكن، وفي وسط الكلام فإن إمكانية النطق بالساكن لا تحتاج لهمزة الوصل. أما افتراض أن المقطع في أول الكلمة (أعني المقطع الساكن) كان في النظام على هيئة "ص" ثم تغير بعد دخول

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:304-305).

همزة الوصل إلى "ص ح ص" فهذا مجرد افتراض، لأنه لم يثبت الابتداء بالساكن أصلاً، ولهذا تكون همزة الوصل جزء من النظام وليست من مقتضيات السياق، وعليه فإن أصل هذا المقطع في العربية هو "ص ح ص"، أما في وسط الكلمة فهذا بالتأكيد سياق.

ويضرب تمام حسان مثلاً آخر للنبر كأحد الظواهر السياقية حيث يقول: "لا تعطي اللغة العربية النبر معنىً وظيفياً في الصيغة أو في الكلمة، ولكنها تمنحه معنى وظيفياً في الكلام، أي: في معنى الجملة، ويتضح ذلك إذا قارنا في النطق بين جملتي:

اذكر الله، واذكري الله

فالمعروف أن هذا الموقع من المواقع التي تفقد فيها الياء كميتها فتصبح بمقدار الكسرة في الكلام مثلها في ذلك مثل الياء في عبارة "القاضي الفاضل"، ومن هنا تصبح أحوال الأصوات في الجملتين واحدة، وتصبح فرصة اللبس سانحة هنا، فلا يعرف السامع ما إذا كان المتكلم يخاطب رجلاً أو امرأة، هنا يتدخل النبر فيفرق بين الإسنادين؛ فيكون النبر في الجملة الأولى على مقطع همزة الوصل، ويكون في الجملة الثانية على مقطع الكاف ليدل على طول الياء؛ لأنَّ النبر يقع على ما قبل الآخر إذا كان المقطع الأخير متوسطاً "ري" وما قبل الآخر قصيراً، فيكون النبر هنا ذا وظيفة تشبه وظيفة حركة الدليل على المحذوف في نحو: "تسعون" حيث تدل الفتحة على ألف "سعى" المحذوفة¹.

6-3-13 - التنغيم:

هل يعد التنغيم جزءاً من النظام النحوي أم أنه ظاهرة سياقية؟ يتضح ذلك من قول تمام حسان: "يبدو التنغيم جزءاً من النظام النحوي للغة، ومن الواضح أن النظام ثابت وتحليلي، وأن الظواهر السياقية تركيبية، فما الوجه الذي يبرر إحصاء التنغيم بين الظواهر السياقية إذًا؟ من الممكن أن يجاب عن ذلك من وجوه²:

¹اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (ص:308).

²المرجع نفسه، (ص:308-310).

أ- إن كل نوعٍ من أنواع الجمل يتفق مع هيكل تنغمي خاص يقف منه في إطار النظام النحوي موقف الصيغة الصرفية من المثال، أي: كموقف "استفعل" مثلاً من "استخرج" من حيث تقوم الصيغة مقام القلب بالنسبة للمثال، ولكن اللغة لها جانبان: الجانب التعاملي والجانب الإفصاحي، وأولهما أقرب إلى الاستعمال الموضوعي للغة، وثانيهما أقرب إلى الجانب الذاتي. وهذا الجانب الإفصاحي يغلب عليه الطابع التأثري، ومن أمثله التعجب والمدح والذم وخوالب الإخاله وخوالب الأصوات، وكل هذه تتحقق غالباً في صورة صيحات انفعالية تأثرية. وقد يكون المتكلم بهذه اللغة الإفصاحية في مقام يتطلب منه أن يغير وظيفة الجملة من التعامل إلى الإفصاح؛ كالذي يحدث من المعلقين على مباريات كرة القدم، فبدل أن يصيح باللفظ الإفصاحي "هيه" كما يصيح أي متفرج يحرص على أن يستمر في الجملة الإخبارية التعمالية التي كان يقولها، ولكنه يغير وظيفتها إلى الإفصاح، وتعطيها نغمة فقط "هيه" عندما يرى الكرة دخلت فعلاً إلى منطقة الهدف وهو لم يكمل الجملة. وقد يقول: "جول" بنغمة "هيه" فيخبر ويفصح في الوقت نفسه. وهذا حل صوتي لمشكلة من مشكلات النظام عند تطبيقه، ويعارضه أثناء التطبيق مع مطالب السياق. والمعلق ينقل رسالتين بهذه الطريقة إلى السامعين أولاهما الإخبار عن النتيجة "وللإخبار نغمة خاصة في نظام التنغيم"، وذلك بواسطة جملة خبرية التركيب، وثانيتها نقل الانفعال باعتباره دعوة إلى الجمهور للمشاركة فيه، وذلك بواسطة إعطاء التركيب الخبري المذكور نغمة إفصاحية تأثرية كنغمة صيحات المشجعين في مدرج الملعب.

ولا أعتقد أن هذا المثال الذي أورده تمام حسان ينتسب إلى السياق، بل يرجع إلى النظام؛ لأن نظام اللغة يسمح بتحميل الجملة أكثر من مضمون، فإذا احتملت الجملة أكثر من مضمون فسوف يتغير التقسيم المصاحب لها، خذ مثلاً الاستفهام الإنكاري والذي يحمل نغمة الاستفهام مع نغمة التعجب، فالنظام يقتضيها معاً وليس كل واحد منهما على حدة، مما يعنى أنها مطالب نظام لا بد أن يكون كسر مبرر للنظام.

ومن هذا القبيل ما يحدث من أن يحي المرء شخصا يكرهه هو ويود أن لو اختفى عن ناظره فيحتفظ بالعبارة العرفية للتحية ولكنه يغير وظيفتها ويحملها من نغمة الكراهية وتعبيرات الملامح التي تصاحبها ما يجعل التنغيم هنا ظاهرة سياقية، وذلك كأن يجعل المتكلم شفثيه على صورتها التي ينطقان بها "الكسرة"، ويضيق عينيه ويقلص ما بين حاجبيه حين ينطق التحية بنغمة الكراهية قائلاً: "كيف حالك يا عزيزي".

وهذا يقتضي أن يكون للكراهية نغمة، وليس للكراهية نغمة محددة، لا في اللغة ولا في السياق، ولهذا فإن نطق التحية مع اختلاف تقاسيم الوجه لا يخرجها عن النغمات القياسية المعروفة.

ب- من المواطن التي يصير فيها التنغيم ظاهرة موقعية في السياق أن يعمد المتكلم إلى التظاهر بأمر هو عكس ما يتطلب الموقف من تنغيم كأن يقص المتكلم أمر حادثة مات فيها عدد من أصحابه وأقربائه، ولكنه يريد أن يبدو هادئاً في سرد القصة لئلا يثير أحزان السامعين بصورة أشد، فيصطنع لهذا الكلام الذي يحتمل نغمة الحسرة والجزع نغمة أخرى فيها هدوء وتماسك. فهنا تعطى الجملة وظيفة جديدة ونغمة غير نغمتها التي في النظام، ويكون التنغيم ظاهرة سياقية.

ج- يحدث أحياناً أن يستعمل المتكلم النغمة على صورة تقوى من العلاقة بين إحدى كلمات السياق وبين معناها الذي سيقته له، فإذا قال: "بلاد بعيدة" عبّر عن شدة البعد بمد الياء مدّاً طويلاً، وكذلك الفتحة التي بعدها من كلمة "بعيدة"، ونطق الياء والفتحة على نغمة واحدة مسطحة عالية نوعاً ما. وإذا أراد أن يقول: إنه قذف حجر إلى أعلى فوصل إلى علوّ شاهق فربما منح ذلك التنغيم نفسه لكلمة "فوق" فمد حرف المد منها بصورة ملحوظة ورفع الصوت به. وهذه الظاهرة يستغلها ملحنو الأغاني كثيراً. وإذا أراد التعبير عن التراوح بين مكانين بقوله: "رايح جاي" أعطى كلاً من الكلمتين نغمة خاصة كان يجعل نغمة "رايح" أعلى من نغمة "جاي"، ثم يكرر الكلمتين كلاً منهما بنغمتهما مقويًا معنى تكرار الرواح والمجيء بهذا النوع من التنغيم.

الذي يشير إليه تمام حسان في هذه الفقرة ليس تنغيماً، ولا أدري كيف فات ذلك على تمام حسان، فالذي يشير إليه هنا هو فونيم مستقل بذاته يسمى فونيم الطول، وهذا الفونيم موجود في لهجتنا العامية، حيث نقول مثلاً:

أ- حار - ح:.....:ر (أي حار جداً).

ب- بعيد - بع:.....:د (أي بعيد جداً).

ج- عجوز - عج:.....:ز (أي عجوز جداً).

ويشار إليه عادة بتكرار نقطتين راسيتين، فهذا فونيم معروف عند اللسانيين يسمى فونيم الطول.

ومن خلال العرض السابق يتضح لنا مفهوم السياق عند تمام حسان ودوره في تحديد دلالة المنطوقات، مترسماً في ذلك خطى أستاذه جون فيرث في دراسة السياق، أو بعبارة أدق تحديد المعنى من خلال تتبع التدرجات السياقية للمنطوقات ابتداءً من الأصوات فالنحو والصرف والدلالة المعجمية، ومن ثم دلالة المنطوقات في سياق التركيب اللغوي، والذي يحدد ما تعدد من دلالات للمفردات في المعاجم، ثم بعد ذلك ينتقل تمام حسان إلى سياق أوسع وهو سياق المقام، وهو سياق التواصل اللغوي، والذي يشمل كثيراً من الجوانب الاجتماعية ذات الصلة بالتواصل اللغوي، فيوضح تمام حسان أنواع المقامات الاجتماعية ودورها في تحديد معاني المنطوقات، ثم يفصل القول في كثير من الظواهر التي يقتضيها السياق، وهذه الظواهر العديدة التي أوردها تدل على مدى اهتمامه بجانب السياق، وتفتح آفاقاً للدراسات حول دور السياق في تحديد المعنى، ودوره في تسهيل الأداء اللغوي، فالمعطيات التي قدمت من ظواهر سياقية تدل على أن للسياق دوراً كبيراً في تسهيل الأداء اللغوي، وتطويع الظواهر اللغوية وفق إمكانات الواقع الصوتية.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبذكره تنتزل الرحمات، وبشكره تزيد الخيرات، والصلاة والسلام على فخر الكائنات، وسيد السادات، إمام المتقين، وشفيع المذنبين، سيدنا وحبينا محمد وعلى آله الغر الميامين، و صحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

الحمد لله على إتمام هذا البحث الذي تناول الدلالة وسياقاتها عند تمام حسان فقد تناول الجهود الدلالية عنده، ومدى تأثيره في ذلك بالدراسات اللغوية الغربية، وبالتراث العربي القديم، وقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

النتائج:

ومن خلال ماسبق توصل البحث إلى بعض النتائج يمكن إيرادها في الآتي:

- شيوع مصطلحات السياق في التراث اللغوي العربي، وهي تتطابق مع المصطلحات الغربية الحديثة أحياناً وتبتعد عنها أحياناً أخرى.
- أهمية السياق كقرينة لتوضيح المعنى، بل يعدّ قرينة أساسية لمعرفة الإعراب في حال غياب القرائن الأخرى.
- كان تمام حسان في بداياته يتطلع إلى تطوير منهج دراسة اللغويين للغة، ولكن في دراساته الأخيرة انقلب تراثياً خالصاً.
- قسم تمام حسان الكلم إلى سبعة أقسام بدلاً عن تقسيم النحاة الثلاثي للكلم موضحاً أنهم بهذا التقسيم لم يستطيعوا تفسير بعض الظواهر اللغوية المهمة.
- عدّ تمام حسان العامل قاصراً عن تفسير الظواهر النحوية والعلاقات السياقية جميعها، وأبدله بفكرة القرائن التي -على حد تعبيره- توزع اهتمامها بالقسطاس بين قرائن التعليق النحوي معنويها ولفظيها، ولا تعطي للعلامة الإعرابية منها أكثر مما تعطيه لأية قرينة أخرى من الاهتمام.

- اتبع تمام حسان طريقة أستاذه جون فيرث في دراسة السياق، وذلك في تحديد المعنى من خلال تتبع التدرجات السياقية للمنطوقات ابتداءً من الأصوات فالنحو والصرف والدلالة المعجمية، ومن ثم دلالة المنطوقات في سياق التركيب اللغوي وسياق المقام.
- أولى تمام حسان السياق اهتماماً كبيراً، فقد حمّله مسؤولية تحديد المعنى وتخصيصه وإزالة صفة العموم الموجودة في المعنى المعجمي عن الكلمة، ثم تناول ما أسماه الظواهر السياقية تناولاً أعطى معظم هذه الظواهر صبغة جديدة بجعلها ذات دور فاعل في تحديد المعنى.

التوصيات:

- علم الدلالة معين لا ينضب، لذا نوصي بإفراده بالمزيد من الدراسات.
- تسليط الضوء على الجهود اللغوية لتمام حسان.
- للسياق دور كبير في تحديد المعنى وتخصيصه، لذا نوصي بإفراده بدراسات تطبيقية على نصوص كالقرآن الكريم وغيره.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

أ- القرآن الكريم.

ب- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة (1334هـ).

ثانياً- المراجع:

- 1-الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحيى أحمد، عالم الفكر.
- 2-اجتهادات لغوية، تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة ، الطبعة الأولى.
- 3-الآداب السامية، محمد عطية الأبرشي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، (1365هـ- 1946م).
- 4-إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول،الجزء الثاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس، والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى (1419هـ - 1999م).
- 5-أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى (1420هـ- 1999م).
- 6-أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر، نشر: عالم الكتب، الطبعة الثامنة (1419هـ-1998م).
- 7-الأصول (دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، طبعة (2009م).
- 8-الأصول الثقافية للمعرفة البشرية، ميشيل توماسيللو، ترجمة شوقي جلال، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، (2006م).

- 9-الأصول في النحو، الجزء الثاني، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: 316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
- 10- الأضداد، تأليف: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَرَوَة بن قَطْن بن دعامة الأنباري (المتوفى: 328هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان (1407 هـ - 1987م).
- 11- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، تأليف فرما، عالم المعرفة، الكويت، (1398هـ - 1977م).
- 12- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقى، تقديم: تمام حسان، مكتبة الخانجي-القاهرة، الطبعة الثانية، (2008م).
- 13- ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، دار التعاون.
- 14- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف أبو محمد جمال الدين ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 15- إيجاز التعريف في علم التصريف، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، (1422هـ - 2002م).
- 16- البسيط في شرح جمل الزجاج، الجزء الأول، ابن أبي الربيع، تحقيق: عياد الثبتي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروتس، (1407هـ).
- 17- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى (1994م).

- 18- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى، (1993م).
- 19- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، القاهرة، (1985م).
- 20- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، دار الهداية.
- 21- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، تأليف الدكتور: محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة الثانية (2011م).
- 22- التطور الدلالي الإشكال والأشكال والأمثال، تأليف: الدكتور مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى (2002م-1424هـ).
- 23- تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "يونسكو"، اللسانيات التطبيقية في العالم العربي، محمود إسماعيل صيني، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى.
- 24- تمام حسان رائداً لغوياً، عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى، (2002م).
- 25- تمام حسان في معيار النقد اللساني، خالد خليل هادي، مؤيد آل صوينت، الأسقاط، 2012م.
- 26- التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤف بن المناوي، ط1، 1410-1990م، عالم الكتب، القاهرة.
- 27- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (المتوفى: 1364هـ)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة: الثامنة والعشرون، (1414 هـ - 1993 م).

- 28- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: 1206هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى (1417 هـ -1997م).
- 29- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة، الجزء الأول.
- 30- الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الثانية، (2004م).
- 31- الخلاف بين العلماء، محمد بن صالح العثيمين، دار القاسم الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، (1428هـ).
- 32- دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- 33- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة السادسة عشر (2004م).
- 34- دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة، إبراهيم محمد أبو سكين.
- 35- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الأولى (1995م).
- 36- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة محمد عبدالكريم حسان، مصر.
- 37- الدلالة دراسة وتطبيقاً، نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الأولى، (1995م).
- 38- دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، (2003م).
- 39- الدلالة السياقية، عواطف كنوش المصطفى، دار السياب، الطبعة الأولى، لندن 2007م.

- 40- دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، الطبعة الثالثة، القاهرة.
- 41- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى (1421هـ- 2000م).
- 42- السياق وأثره في المعنى، المهدي إبراهيم الغويل، أكاديمية الفكر الجماهيري، دار الكتب الوطنية، ليبيا- بنغازي (2011م).
- 43- السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، مؤسسة السياح -لندن.
- 44- الشافية في علمي التصريف والخط، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي، (المتوفى: 646هـ)، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة الأولى (2010م).
- 45- شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملوي (المتوفى: 1351هـ)، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض.
- 46- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث- القاهرة (1426-2005).
- 47- شرح الرضي على الكافية الجزء الأول، رضي الدين الأسترابادي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس (1978م).
- 48- شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف، شمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز أو دنقوز (المتوفى: 855هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثالثة، (1379هـ- 1959م).
- 49- الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، نشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى (1418هـ- 1997م).

- 50- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت (1419 هـ).
- 51- الظاهرة الدلالية عند علماء اللغة القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، تأليف: د.صلاح الدين زرال، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى: (2008م-1429).
- 52- العبارة والإشارة (دراسة في نظرية الاتصال)، محمد العبد، مكتبة الآداب، الطبعة الثانية، القاهرة، (2007م).
- 53- علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب: القاهرة (2000م).
- 54- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الخامسة، (1998م).
- 55- علم اللسانيات الحديثة، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، (1422هـ - 2002م).
- 56- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دارالفكر العربي- القاهرة، الطبعة الثالثة، (1999م).
- 57- علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، دار غريب- القاهرة، الطبعة الثالثة (1997م).
- 58- علم اللغة العام، فردينان ديوسوسير، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، (1985م).
- 59- علم اللغة العربية، محمود فهمى حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- 60- الفكر اللغوي الجديد، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى.
- 61- في التحليل اللغوي، خليل أحمد عمارة، سليمان حسن، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى (1407هـ-1987م).

- 62- في نحو اللغة وتراكيبها، خليل أحمد عميرة، ط1404، 1-1984، عالم المعرفة، جدة.
- 63- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، (1408هـ-1988م).
- 64- الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، (1980م).
- 65- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف- القاهرة.
- 66- اللسانيات الاجتماعية عند العرب، هادي نهر، دار الأمل، الطبعة الأولى، الأردن، (1998م).
- 67- اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، (1993م).
- 68- اللغة، جوزيف فنديس (المتوفى: 1380هـ)، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، (1950م).
- 69- اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الرابعة (1427هـ-2006م).
- 70- اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، دار النهضة العربية، الطبعة: الأولى.
- 71- اللغة والفكر، نوري جعفر، مكتبة التومي، الرباط، (1971م).
- 72- اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، (1965م).
- 73- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، جامعة الشارقة، (2008م).
- 74- المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، الجزء السابع، محمد صالح العثيمين، نشر: دار ابن حزم الطبعة: الأولى، (1422هـ - 2002م).

- 75- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة ، (1997م).
- 76- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، (1418هـ - 1998م).
- 77- مسالك القول، صلاح الدين الرعيلاوي، الشركة العربية المتحدة، الطبعة الأولى، (1404هـ - 1984م).
- 78- مصطلحات الدلالة العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، جاسم محمد عبد العبود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (2007م).
- 79- المطالعة التوجيهية، أحمد أمين وآخرون، دار المعارف - مصر.
- 80- معجم علم اللغة النظري، محمود علي الخولي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى - بيروت (1982م).
- 81- معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (بمساعدة فريق عمل)، عالم الكتب، القاهرة: الطبعة الأولى (1429هـ - 2008م).
- 82- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار)، دار الدعوة.
- 83- المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس علي، ط2، 2007م، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان.
- 84- المغني الجديد في علم الصرف، محمد خير حلواني، دار الشرق العربي، بيروت - لبنان.
- 85- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ)، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، (1407هـ - 1987م).

- 86- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى (1412هـ).
- 87- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، (1993م).
- 88- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية.
- 89- المنجد في اللغة، علي بن الحسن الهنائي الأزدي المشهور بكراع النمل.
- 90- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد بن حسن ابن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية (1986م).
- 91- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى (1996م).
- 92- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، (1997م).
- 93- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر.

الرسائل الجامعية:

- 1- أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية (تاج العروس نموذجاً)، تأليف: عبد الرازق بن حمودة القادوسي، رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم- قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة حلوان، (1431هـ / 2010م).

2-البلغة إلى أصول اللغة، تأليف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي (المتوفى: 1307هـ)، تحقيق: سهاد حمدان أحمد السامرائي (رسالة ماجستير من كلية التربية للبنات - جامعة تكريت بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد خطاب العمر)، نشر: جامعة تكريت.

برنامج تلفزيوني:

حديث الذكريات (برنامج حوارى)، حاور تمام حسان: جاسم المطوع، المشرف العام على شبكة العلماء الالكترونية، كان التسجيل في (2003/1/1م).